كتاب

الرحلة المدرسية . والمدرسة السيارة

في نهج الهدى

الجزء الثاني

رجاء مؤكد

أؤكد الرجاء ممن له انتقاد . او اعتراض او إفادة .
او بحث في مطالب هذا الكتاب ان يتلطف
بالكتابة بما عنده . ويعاون على العلم
وطلب الحقيقة . والله خبير
بمنّه وهو الموفق

المكاتبة لنا بتوسط المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف

الطبعة الثانية

طبع على نفقة الحاج شيخ محمد صادق الكتبي واخيه الشيخ
محمد إبراهيم حفظهما الله ومن اراد هذين الجزئين فليطلبهما
من مكتبتهما في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد كما هو اهله وهو المستعان والصلوة والسلام على رسله وانبيائه واوليائه

دين الأسلام والقرآن

﴿ اليعازر ﴾ يا سيدي القس اني ربّما التفت إلى دين الأسلام فاكاد ان استحسنه حينما انظر إلى صفاء توحيده . ونزاهة عرفانه . وإستقامة تعاليمه . وسلامة كتابه مما ذكرناه من كتب العهدين وازءبا عنافياته لجلال الله وقدس الأنبياء . . ولكن يا سيدي إذا نظرت إلى قيامه بقوة السيف وغلبة القسوة نفرت منه . خصوصاً إذا كان يقطع علاقتي بالدين المسيحي . ويكدّر صفاء إيماني بالسيد المسيح . ويشوش محبتي له وإعتصامي به . فهل يسمح لي سيدي بان ننظر في دين الأسلام . ونخوض في امره وامر كتابه . وهل يسمح لي سيدي بان يجاهر في الحقيقة بصريح البيان

﴿ القس ﴾ يا اليعازر قد جئت في هذا الكلام بفصول كثيرة . كل فصل منها يحتاج إلى إيضاح وتحقيق . وربّما كان الوقت والحال لا يسمحان ببيان بعض الفصول

﴿ اليعازر ﴾ يا سيدي لي الثقة بان عندك علماً كبيراً يضمن لنا إيضاح روح الحقائق . ويثبت اقدامنا في موقف الحق اليقين . ولكن بالاسف أراك تحيد عن المجاهرة بالبيان . واني لا أتهم قداستك بكتمان الحق والأغماض عن إرشاد الجاهل ولكني أراك تنتظر الفرصة في تعليمنا وإرشادنا . . يا سيدي والعمر قصير فهل اعلل نفسي بالفرصة بعد الموت .

فان كنت تحذر من هيجان التعصب فينا . فلك علينا كل عهد وثيق ان نضع كل تعصب تحت اقدامنا

﴿ القس ﴾ يا اليعازر اما ما ذكرته من صفاء توحيد الأسلام . ونزاهة عرفانه وإستقامة تعاليمه . وسلامة كتابه فهو امر لايكفي في جوابه « لا . اخطأت » ولا « نعم . اصبت واحسنت » بل يحتاج إلى ان ندرس معارف الأسلام من القرآن والتاريخ بكل إتقان علمي . وليس من الحسن ان نخوض في معارف القرآن وحدنا . بل لابد من ان نحضر معنا واحداً من علماء المسلمين لكي ينبهنا على ما يخفيه علينا الجهل بالقرآن — واما الأمور التي إقتضت نفرتك من دين الأسلام فانه يمكن البحث فيها فلسفياً وتاريخياً بسهولة

﴿ ملخص تاريخ الأسلام . من بدء دعوته إلى حين إنتشاره ﴾

يا عمانوئيل هل لك إطلاع على تاريخ الأسلام من اول دعوته إلى حين إنتشاره . لكي تذكر لأبيك شيئاً يتعلق بغرضه — على شرط ان تذكر ماهو معلوم ومتفق عليه من التاريخ لا ما يختص به واحد دون واحد

﴿ دعوة الأسلام ﴾

(عمانوئيل) هل يخفى على سيدي ان بلاد العرب كانت على اقبح جانب من العبادة الوثنية الأهوائية . والعوائد القاسية الوحشية . وخشونة الظلم والجور . وإدمان الحروب والغارات . قد إمتازت كل قبيلة بجبروت رياستها . واستقلت بعصبية قوميتها . حتى ان كل قبيلة إختصت بصنم معبود . لئلا تخضع إلى قبيلة اخرى . واستمروا على ذلك اجيالاً متعددة تتراكم عليهم فيها ظلمات الوحشية . وضلالات الوثنية . وعوائد الظلم . وقساوة العداوة . والحروب المبيدة الفظيعة — بل كانت الدنيا بأسرها مرتبكة بين العبادة الأوثانيه الصريحة . وبين التثليث وتجسيد الأله

والسجود للأيقونات « الصور . والتماثيل » وإن جرى لفظ التوحيد على بعض الألسن لفظاً بلا معنى . حتى انك رأيت معارف التورية الدارجة في الألهيات وعرفت انها من مبادىء وثنية يجب ان ينزه عنها جلال الله

وعند تراكم هذه الظلمات والضلالات . وهيجان براكينها الهائلة نبغ صاحب دعوة الأسلام والتوحيد الحقيقي (محمد) واعلن بين العرب بادئ بدء بدعوة الأسلام التي هي اثقل عليهم من الجبال . فدعاهم جهاراً إلى رفض معبوداتهم من الأوثان . وترك عوائدهم الوحشية . وإلى الخضوع لعدل المدنية . والتجمل بالاخلاق الفاضلة والآداب الراقية . واستمر على هذه الدعوة في مكة نحو ثلاثة عشر سنة . وفي السنة الثالثة من دعواه الرسالة اعلن بدعوته لعامة الناس إعلاماً تاماً . وصار ينادي بدعوته في جميع ايامه في المحافل والمواسم بجميل الموعظة . وقاطع الحجة . والأنذار بالعقاب والبشرى بالثواب . وحسن الترغيب والترهيب . وتلاوة القرآن . والأعذار بالنصيحة . لم يهب في دعوته طاغوتاً ولم يستحقر فيها صعلوكاً . يدعو الشريف والحقير والمرأة والعبد . وقد آمن في خلال هذه الدعوة بدعوته الثقيلة على الأهواء من كل وجهة خلق كثير من اهل مكة وضواحيها من قريش وغيرهم . وإحتملوا في سبيل ذلك اشد الأضطهاد والهوان والجلاء عن الأوطان إلى الحبشة وغيرها . فكم من شريف في قبيلته عزيز في اهله وقومه صار بأسلامه مهاناً مضطهداً . وكل هذا لم يصد الناس عن الأسلام . لا يصد الضعيف ما يقاسيه من العذاب ولا يصد الشريف العزيز ما يلاقيه من الهوان . يرون الأسلام هو العز والشرف والحيوة والسعادة . : في السنة الخامسة هاجر إلى الحبشة من جملة المؤمنين إثنان وثمانون رجلاً من معاريف قريش واتباعهم

وذوي العزة ومعهم مثلهم او اكثر منهم من النساء المسلمات الشريفات وبقي كثير من المؤمنين في مكة وغيرها . يقاسي اكثرهم سوء العذاب . وكل هذا لا يصد الناس عن إظهار الأسلام . وقد اقبل على الأعانة بدعوة (محمد) وهو بمكة قبائل الأوس . والخزرج . وغفار . ومزينة . وجهينة . واسلم . وخزاعة — ولا يخفى ان محمداً كان عزيز قريش من بيت سيادتها وعزها تسميه قريش (الصادق . الأمين) يودع عنده مشركو قريش والعرب ذخائرهم إلى حين هجرته . ومع ذلك كان يقاسي الأذى الشديد من المشركين والأستهزاء والتكذيب لدعوته والحبس مع بني هاشم في الشعب . وهو مع ذلك متمسك بالتحمل والصبر الجميل وهدوء السلم لايفتر عن دعوته ونشرها وبث تعاليمه الفاضلة . وحماية التوحيد وإبطال الوثنية — حتى إذا اشتد عليه الأضطهاد وتعاقد المشركون على قتله عزم على ان يقطع مادة الفساد ويحافظ على دعوة التوحيد والاصلاح ويعتزل عن بلاده وهيجان المشركين للشر . فهاجر إلى المدنية لنشر دعوته . وجمع المسلمين في حماية جمعية واحدة . فانتظم له في هجرته زيادةً على من ذكرنا إسلامه إسلام كثير من العرب بالطوع والرغبة ومن جملتهم قبائل اليمن . وحضرموت . والبحرين . بل ما من قبيلة من القبائل التي حاربته إلا ويذكر التاريخ المعلوم إن اناساً منها اسلموا بالطوع والرغبة . فمنهم من تجاهر باسلامه ومنهم من تستر به إلى حين

حروب رسول الأسلام

يا والدي واما حروبه التي تشير اليها في كلامك فان اساس التاريخ الذي يذكرها يقرنها بذكر اسبابها التي يعلم منها انه لم يكن حرب من حروبه إبتدائياً لمحض الدعوة إلى الأسلام . وإن جاز ذلك الاصلاح الديني

والمدني . وتثبيت نظام العدل والمدنية . ورفع الظلم والعوائد الوحشية الجائرة القاسية . لكن دعوته الصالحة الفاضلة تجنبت هذا المسلك وسلكت فيما هو ارقى منه وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن . كما جاء هذا التعليم الأساسي في الآية السادسة والعشرين من سورة النحل المكية . وقد إستمرت سيرته الصالحة على ذلك . فكانت حروبه باجمعها دفاعاً لعدوان المشركين الظالمين عن التوحيد وشريعة الأصلاح والمسلمين

ومع ذلك فهو يسلك في دفاعه احسن طريقة يسلكها المدافعون : واقربها إلى السلام والصلاح . يقدّم الوعظة ويدعو إلى الصلاح والسلام ويجنح إلى السلم ويجيب إلى الهدنة ويقبل عهد الصلح . مع عرفانه بأنه المظفر المنصور — وهاك ما ينادي به التاريخ من اسباب حروبه وغزواته

حرب بدر . واسبابها

فاول حروبه المعروفة بعد هجرته هي حرب بدر وهي في السنة الثانية من الهجرة . وسببها ان المشركين من قريش إشتد إضطهادهم للمسلمين ومن يريد الأسلام بمكة . ومنعوهم عن الهجرة والفرار بدينهم حتى ضيقوا عليهم بقساوة الأضطهاد والحبس لكي يردوهم إلى شرك الوثنية وعوائد الضلال . فانهم عرفوا من سيرة ﴿ محمد ﴾ انه لا يحب إثارة الحرب فزاد طغيانهم لما أمنوا جانبه . فاراد ان يرهبهم بالقوة والمنعة . ويهددهم بالتعرض لسبيل تجارتهم إلى الشام لكي تلجئهم الضرورة الأقتصادية وحاجتهم لتجارة الشام إلى الكف عن ضلالهم في إضطهاد المؤمنين بمكة ومنعهم عن الهجرة والفرار بدينهم . فندب إلى ذلك بعض اصحابه فنهض منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً على اضعف عدة لم يكن معهم إلا سبعون بعيراً يتعاقبون عليها واسياف قليلة . فقصدوا قافلة قريش المقبلة من الشام

. فسمع بذلك رئيس القافلة ابو سفيان وارسل إلى مكة يستصرخ قريشاً لتخليصها فخرجوا بعدة كاملة من الخيل والسيوف والدروع وكانوا نحو الف رجل . وإتفق ان قافلة قريش نجت من اصحاب ﴿ محمد ﴾ ولكن قريشاً لم يكتفوا بنجاة قافلتهم . بل قصدوا محمداً واصحابه إغتراراً بكثرة عددهم وقوة عدتهم . وقد منعهم عقلاؤهم عن قصد ﴿ محمد ﴾ فلم يقبلوا حتى إجتمعوا مع المسلمين في مكان يسمى « بدراً » وإبتدؤا بالقتال . فانتصر المسلمون إنتصاراً باهراً وقتلوا من صناديد قريش سبعين وامروا سبعين ورجعت قريش إلى مكة بالأنكسار

غزوة بني القينقاع

ولما قدم ﴿ محمد ﴾ في هجرته إلى المدينة رأى ان موقع الأسلام والمسلمين بين اليهود خطر . فانهم كانوا محدقين بالمدينة وهم بنو النضير وبنو قريظة . وبنو قينقاع . فكان اول اعمال ﴿ محمد ﴾ في هجرته انه عاهد هؤلاء اليهود على السلم وامانة الجوار وان لا يكيدوا المسلمين ولا يخونوهم ولا يساعدوا عليهم عدواً . ولكن بني قينقاع غدروا بعد وقعة بدر وصاروا يكاتبون المشركين وانشبوا حرباً بينهم وبين المسلمين فنزلهم محمد وانتصر عليهم فطلبوا النجاة بالجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك

حرب احد

ثم تجمعت قريش بعدتها وعديدها وغزوا ﴿ محمد ﴾ واصحابه إلى المدينة في السنة الثالثة من الهجرة حتى وصلوا إلى مكان يقال له « احد » وهو عن المدينة باميال يسيرة

تأكيد العهد مع اليهود . وجلاء بني النضير

ورأى محمد ان اليهود لا يكادون يثبتون على عهدهم فقصدهم هو واصحابه لتأكيد العهد واخذ الميثاق منهم . فأبى بنوا النضير فعدل عنهم إلى بني

قريضة فاعطوه عهودهم مجدداً على ان لا يغدروا بهم ولا يساعدوا المشركين عليهم . فرجع عنهم إلى بنى النضير وحاصرهم على إعطاء العهد فاختاروا الجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك حفظاً للسلام بين البشر فحملوا كل ما يقدرون على حمله . ونزل اكثرهم في « خيبر » لكي يكيدوا محمداً عن قرب

﴿ حرب الأحزاب ﴾

ثم جمعت قريش في السنة الرابعة من الهجرة جموعها منها ومن احلافها من القبائل . وكذلك « غطفان » واهل نجد وتحزبوا على قتال (محمد) واصحابه . وكان الساعي فى هذا التحزب وإجتماع غطفان واهل نجد مع قريش على الحرب هم جماعة من يهود بني النضير الذين اجلاهم محمد ونزلوا خيبر منهم آل ابي الحقيق وغيرهم فقصدوا المدينة بجيش عظيم يعد بنحو عشرين الفاً فخندق (محمد) على المدينة وحاربهم . وقد كانوا كاتبوا بنى قريضة على الغدر بمحمد والنهوض إلى حربه فخف بنو قريضة إلى الغدر ونقض العهد وبدى منهم الأعتداء فارسل اليهم (محمد) حليفهم سعد إبن معاذ رئيس الأوس مع جماعة من الأوس والخزرج فوجدوهم على اقبح الغدر . حتى صار بعضهم يغير على بيوت المدينة ومجامع العيالات

﴿ غزوة بنى قريضة ﴾

وحينما إنكسرت قريش وانحل جيش الأحزاب عطف محمد واصحابه على الغدرة بنى قريضة فحاصروهم فجعل بنو قريضة حكمهم إلى سعد إبن معاذ رئيس الخزرج لأنهم كانوا حلفائه قبل الأسلام وظنوا ان سعداً يتساهل معهم فوافقهم محمد على ذلك ولم يصمم على حربهم . فحكم سعد بقتلهم فنفذ حكمه فى الغادرين . ولو انهم إختاروا الجلاء إلى حيث يؤمن غدرهم لسمح لهم (محمد) كما سمح لبنى قينقاع وبنى النضير ولو شفع

فيهم سعد لتركهم له . فان المعلوم من حال (محمد) انه كان يحب السلم وصلاح البشر والعفو إذا أمن من فساده . ولم ينصبغ العفو بصبغة الضعف والوهن

حرب بنى المصطلق

وفى السنة الخامسة او السادسة صار بنو المصطلق يستعدون لحرب (محمد) فغزاهم وظفر بهم

صلح الحديبية

وفى ذى القعدة من سنة ست قصد مكة للحج والطواف بالبيت ومعه من اصحابه نحو سبعمائة رجل . وقدموا ذبائح العبادة سبعين بعيراً جعلوا عليها علائم الهدى لكعبتهم ورسوم العبادة ولكي يطمئن اهل مكة بالسلم . فصدّه اهل مكة واستعدوا لحربه وطلبوا رجوعه . فسمح لهم بما طلبوا وتساهل معهم بالصلح حسبما يقتضيه حب السلم ونحر فى مكانه هديه للكعبة ورجع

حرب خيبر

وإن بنى النضير الذين نزلوا بعد جلائهم في خيبر وخضع لهم اهلها لم يزالوا يسعون في حرب (محمد) وقطع اثره . وهم الذين سعوا في حرب الأحزاب ولم يزالوا على إثارة الفتن فغزاهم فى اواخر السنة السادسة ففتح حصونا لبنى النضير . منها . حصن ناعم . ومنها القموص حصن بنى ابي الحقيق . ومنها حصن الصعب إبن معاذ . وباقي حصون خيبر . إلا حصنين « الوطيح . والسلالم » فان اهلها طلبوا من (محمد) ان يسيرهم ويحقن دماءهم فسمح لهم بذلك

فتح مكة

وقد كان فى صلح الحديبية ان خزاعة دخلت فى حلف (محمد) . وبنى

بكر دخلت في حلف قريش . فمدت بني بكر وقريش على خزاعة بالحرب العدواني . فجاء مستصرخ خزاعة إلى (محمد) فتوجه في سنة ثمان بجيشه إلى مكة في عشرة آلاف بعدة كاملة . ولما خافت منه قريش واحلافها وضعفوا عن مقاومته لم تحمله سوء افعالهم معه على الأنتقام منهم . بل دخل مكة بارأف دخول واكرم معاملة . فكانه ساق إلى قريش جيش العفو وامتنان الرحمة وكرم الأخلاق

حرب هوازن

ولما سمعت هوازن بفتح مكة جمعت جموعها لحرب (محمد) . فقصدهم وحاربهم وغنم اموالهم وذراريهم . فوفد رجالهم عليه بعد ان اسلموا في هزيمتهم طوعاً . فاسترحموه . فخيرهم بين ردّ السبي ورد الأموال . فاختاروا ردّ السبي . فاسترضى المسلمين في ذلك فاجابوه . فردّ السبي وكان نحو ستة آلاف ما بين إمرأة وطفل — وقد كانت ثقيف من جملة المنهزمين من جيش هوازن فرجعوا إلى الطائف وتحصنوا بحصونهم لحرب (محمد) فوجه اليهم بعض جيشه

حرب موته . وحرب تبوك

واما بعثه الجيش إلى الشام حيث حاربوا جيش الروم والعرب والرومانيين في « البلقا » شرقي بحيرة لوط . ومسيره بجيشه إلى تبوك فكان الداعي لذلك ان هؤلآء تظاهروا بالعداوة للاسلام و (محمد) واستخفوا بحرمته وقتلوا رسله الذين أرسل معهم كتبه لدعوة التوحيد . مع ان العادة المستمرة ان الرسول حامل الكتاب محترم لايقتل . ولايقتله إلا من تجاهر بالطغيان والعداوة لمن ارسله . فان (محمداً) كاتب ملك الروم في الدعوة إلى صلاح الأسلام وتوحيده الحقيقي حينما كان قيصر راجعاً مع جيشه من إنتصاره على الفرس . فتجرّء شرحبيل الغساني على قتل الرسول حامل

الكتاب . واستعد الروم واتباعهم لعداء (محمد) وحربه فأستعد لدفاعهم وعدم الخضوع لجرائمهم التي تهدد دعوة التوحيد والأصلاح

سراياه . وتجريداته

واما سرايا (محمد) وتجريداته فكلها كانت دفاعية . يرد بها كيد الغادرين ويدافع بها من يستعد لحربه . ويسعى في الفساد والبغي . ولم تكن فيها مهاجمة إبتدائية على هادىء مسالم كما يشهد بذلك معلوم التاريخ

سيرة محمد في دفاعه

وقد كانت حروبه الدفاعية محدودةً بالحدود الصالحة فيما قبلها وما بعدها . كانت محدودةً فيما قبلها بالدعوة إلى التوحيد الحقيقي ومدنية العدل . والكف عن عوائد الظلم والوحشية . ثم بالدعوة إلى الصلح وحفظ السلام . والمعاهدة والمهادنة . ومحدودةً في آخرها بقبول العدو لدعوة التوحيد والعدل . أو طلبه للصلح او المهادنة . وقد كان (محمد) في جميع ذلك يشدد النهي عن قتل النساء والأطفال والمشائخ العاجزين والرهبان المعتزلين . وكان يجمع بين الرحمة وحقوق اصحابه المجاهدين فيسمح برحمته بكل ما يسمح به اصحابه من السبي والغنائم . ويرعى للاسير الشريف حرمة شرفه . ويطيب قلوب الأسرى بلسانه وقرآنه . ويوصي اصحابه بهم ويرغبهم في عتقهم حتى ان العتق في شريعته من العبادات الواجبة في بعض المواضيع

هذا ملخص سيرة (محمد) في دعوة الأسلام — يا والدي ولا بد من انك عرفت من تاريخ العرب المدون . ومعالم الورث الذي نشاهده انهم امة حرب وتحزب وشدة طغيان وتعصب وقد كانوا في عصر الدعوة الأسلامية قبائل فوضى لا تصدهم عن طغيانهم وظلمهم سلطة سياسة ولا قانون حكومة . بل كانت كل فرقة تدافع عن نفسها بنفسها . فليس

من الممكن في العادة ان تستقيم بينهم دعوة صالحة تضاد عباداتهم وعوائدهم وترفض وثنيتهم واوثانهم وتهدد تحزبهم الوحشي وفوضويتهم وعصبية رياستهم العدوانية وتلوي اعناقهم إلى الخضوع إلى عدل المدنية وناموس السلام ما لم تكن تلك الدعوة معتزةً بقوة دفاعية

﴿ دعوة المسيح ﴾

يا والدي ألا ترى ان دعوة المسيح في بني إسرائيل لم يكن فيها مايبهضهم في اصول دياناتهم وعباداتهم وناموس شريعتهم . بل كان اساس دعوته هو الحث على لزوم التوحيد وحق العمل بالشريعة وحفظ وصايا التورية . والتعليم بمكارم الأخلاق وحسن العدل . وهذا مما يرتاح له نوع بني إسرائيل . ولم يكن في دعوة المسيح إلا انها كانت تتعرض لرياء الكهنة والكتبة وجبروتهم في الرياسة الدينية . واكلهم الدنيا باسم الدين وهذا ايضاً مما ترتاح اليه نفوس العامة . ولكن لمحض ذلك قامت قيامة الكهنة والكتبة وانصارهم . وجرى من اعمالهم مع المسيح والمؤمنين به ما تسمعه من التاريخ والأناجيل من انواع الأضطهاد مع ان قدرتهم كانت محدودةً بالسياسة الرومانية لا يستطيعون ان يعملوا شيئاً إلا بالمحاكمة والتطبيق على قوانين السياسة بالأستعانة بالكذب وشهادة الزور وبذلك صالوا على المسيح والذين من بعده من اصحابه

فكيف حال الدعوة الأسلامية التي سمعت حالها مع العرب الوثنيين المتوحشين الذين شرحنا لك حالهم . فهل يمكن في العادة ان تستقيم بدون دفاع . وهل يصح في حكمة الأصلاح الديني والأجتماعي ان لا تمتاز هذه الدعوة بالدفاع . وهل يجوز ان تسلم امرها بالوهن إلى التلاشي بعدوان اضدادها

﴿ إستعداد المسيح للدفاع بالسيف ﴾

يا سيدي إن الأناجيل قد ذكرت وهن التلاميذ وضعفهم عن الصبر على الشدائد . وتفرقهم عن المسيح عند هجوم اليهود عليه كما اخبرهم به المسيح قبل ذلك . وقد احصى هذا كله من الأناجيل فى الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٣٠ و ٣١ فراجعه فانك تعرف ان الوفا من امثالهم لايقومون مقام واحد من اصحاب (محمد) فى الصبر والثبات على الأيمان والتفادي فى سبيله — ومع ذلك فانجيل لوقا يذكر فى العدد السادس والثلاثين من الفصل الثاني والعشرين ان المسيح اراد من تلاميذه الاستعداد للدفاع بالسيف وقال لهم « من ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً » ولكن يا للأسف لم يحيوا امره المؤكد لهم جميعاً بالسمع والطاعة . بل قالوا قول المتثاقل المتشبث بالمعاذير « ههنا سفيان » فلم ير المسيح في جواب تثاقلهم إلا ان يقول « يكفي » وظاهره ان جوابكم يكفي فى بيان وهنكم — يا والدى ان اليهود والنصارى يعتقدون ان التورية الموجودة هو كتاب الله الذى جاء بشريعة الله فى كلام الله لموسى رسوله . وقد كثر في هذه التورية الأمر بالمهاجمات الحربية الابتدائية فى الحروب القاسية الآمرة بذبح الأطفال والنساء . والتورية وكتاب يشوع « يوشع » يذكر ان موسى الرسول ويشوع مختار الله قد عملا بهذا الامر القاسي على اقسى وجوهه كما مر في الجزء الأول فى صحيفة ٦٩ مع ان التورية وكتاب يشوع لم يذكرا ان ذلك كان لاجل الدعوة إلى التوحيد والايمان والأصلاح . بل لم تذكر التورية غاية لهذه الحروب القاسية إلا انتهاب الارض من سكانها المطمئنين بها واعطائها لشعب بنى إسرائيل الذين لم يستقروا على التوحيد والشريعة والطاعة جيلاً واحداً

يا والدي فهل من الصواب وشرف الأنصاف ان نغض الطرف عن هذا كله ونعترض على الاسلام دين التوحيد الحقيقي والاصلاح والمدنية حيث

إضطرته الأحوال إلى ان يدافع دن صلاحه عدوان الوثنية وفساد الوحشية — يا والدي إنك إذا تأملت في فلسفة الأصلاح الديني والأجتماعي بل وعواطف الاجتماع رأيتها بوجدانك تسوّغ لمحمد في عصره المظلم بالظلمات المتراكمة ان يبتدء بالمهاجمة في سبيل إصلاحه . فكيف نعترض عليه إذا سلك ارقى مسلك في الأصلاح . الا . وهو الدفاع الجميل الذي تقوم به الحجة . ويحدده الصلاح وعواطف الرحمة بأكرم الحدود واشرفها

خلاصة الكلام في دفاع الاسلام

يا والدي وفي آخر الكلام اقول لك انك إذا نظرت إلى التاريخ نظر حرّ تجد ان الذين نالهم السيف من الذين دافعهم (محمد) لا يبلغون عشر الذين آمنوا به بالطوع والرغبة وفدوا انفسهم وكل غال دون دعوته الكريمة — وإن هؤلآء الذين إنقادوا إلى الاسلام بالسيف لما تشرفوا بنعمة الأسلام صار (محمد) أحب الناس اليهم . وذلك لما وجدوه من صلاح دعوته وحسن سيرته في تبليغها وإجرآء شريعتها فيما عاملهم به من التحمل والملاينة . وجميل الدفاع وعواطف الرحمة وكرم المروة وحسن الخلق وحسن الولاية . وان حروبه معهم وإن كانت لأجل اشرف الغايات لم تكن إلا دفاعاً جميلاً لحماية الاصلاح الديني والمدني مقرونةً بحسن المعاملة وجميل الصفح وعظيم المن وايادي الرحمة مما لا يتصور من محارب مظفر معتز بنصيحة اصحابه وتفاديهم في سبيل نصره — نعم كان كثير من النائين عن مركز (محمد) ينتظرون باسلامهم قوة الأسلام وإرتفاع الموانع بينهم وبينه . ولاجل ذلك تقاطرت اليه قبائلهم بالطوع والرغبة عند ما ارتفعت الموانع

﴿ اليعازر ﴾ إن من اهم النظر في التاريخ وفلسفة الحقائق لابد له من

ان يعترف بما تقول وإن كان النصارى الغربيون يودعون فى اذهان العوام ان (محمد) كان على اعظم جانب من القساوة الحربية والتهاجم العدواني وان دينه لم ينتشر إلا بالسيف المدواني القاسي . وان ديانته وثنية وحشية ولكن لما تقدمت فى النظر إلى التاريخ وتحققت فى دين الأسلام وجدت الحقيقة على ما شرحه ولدي عمانوئيل . وان توحيد الأسلام هو التوحيد الحقيقى . ولكنى قلت ما قلت لكي ارى ما يقوله عمانوئيل ويرتضيه سيدنا القس لأكون على ثقة وبصيرة من معلوماتي

الأسلام والمسيح

﴿ عمانوئيل ﴾ يا والدي واما قولك فى اسباب نفرتك من الأسلام « خصوصاً إذا كان يقطع علاقتي بالدين المسيحي ويكدّر صفاء إيماني بالسيد المسيح ويشوش محبتي له وإعتصامي به » فهلاّ يا سيدي ان الأسلام لا يقطع إلا علاقتك بالتثليث . وسر الفداء . وحمل آثامنا ولعنات الناموس على سيدنا المسيح وحاشاه كما مر فى الجزء الاول فى صحيفة ٨٤ إلى ٨٨ فهل تريد يا والدي ان تعبد إلهاً مثلثاً متجسداً . وتنادي « المسيح إفتدانا من لعنة الناموس إذصار لعنةً لأجلنا » ألست نفرت من هذه التعاليم فى بحثنا فيها — نعم يا والدي ويقطع الأسلام علاقتك بما نسبته الأناجيل إلى المسيح وحاشاه من القول بتعدد الارباب . وتعدد الآلهة بتلك الحجة الواهية والتحريف الصريح للفظ المزامير ومعناها كما مر في الجزء الاول فى صحيفة ٧٢ و ٧٣ و ٧٤

يا والدي إن الأسلام بقرآنه وبيانه يمجد رسالة المسيح . وينادي بقدسه . وطهارته . وبرّه . وكماله . ويبرئه عما لوثت به الاناجيل قدسه . فكيف يكدر صفاء إيمانك به . نعم ان الاسلام ينفى الوهية المسيح . فهل انت تريد الايمان بالوهية البشر المضطهد . ولعلما ينقدح فى نفسك

ان الأسلام إضطهد الكنيسة الشرقية الزاهرة — فاعلم انه لم يرد منها إلا ان تتنزه عن شرك التثليث البرهمي وعبادة الصور والايقونات . وزخرف التسابيح الموسيقية . وخداع الغفرانات وتأثيراته التي تعرفها — وهل كانت زهرة الكنيسة إلا بهذه الأمور المظلمة — يا والدي الم تعلم ان الأسلام جعل للكنيسة ان تبقى على صورتها بضمان حمايته بشرط ان تعطيه عهداً على السلم وعدم الغدر وان لا تتجاهر بالمنكرات وشرب الخمر ومضادة الاسلام . الم تبق الكنيسة فى الشرق حين قوة الاسلام الحربية آمنة مطمئنة يصدح ناقوسها مع اذانهم ويجلس قسوسها محترمين مع علمائهم . تجري في اعيادها ومواسمها على رسومها

النظر فى دين الأسلام . ورسالته وقرآنه

(اليعازر) كفانا ما مر من النظر فى العهدين والديانة اليهودية والديانة النصرانية . فهلا ننظر في دين الأسلام . ورسالته . وقرآنه . ونرى معارف القرآن

(القس) لا بد لنا من ذلك . ولكن لا بد لنا من ان نحضر معنا مسلماً عارفاً بالقرآن والاسلام لكي نجري البحث والكلام على الحقوق

(اليعازر) إن القرآن كلام عربي ونحن قد تربينا فى بلاد العرب وعرفنا لسانهم

(القس) إن الذي لا يتخذ القرآن اساساً لتعاليمه بل ينظر اليه نظراً سطحياً لا يعطيه حقه من فهم معانيه . ولا يدري بما فى زواياه من المعارف . ولا يستحضر ما فيه من الفوائد . وان الانصاف لا يسمح لمن ينظر إلى القرآن نظر مستخف ان يجري حكوماته وتحكماته فيه

(عمانوئيل) يا سيدي لأصحابنا النصارى على القرآن إعتراضات كثيرة . وربما كان الناظر اليها فى اول الامر يراها ثمينة قوية وها هي الاعتراضات

مذكورة في كتاب هاشم العربي . وكتاب جمعية الهداية والكتاب المسمى حسن الأيجاز . وغيرها من كتب النصارى . ولكن لما نظرت في كتاب الهدى . وكتاب نفحات الأعجاز (١) عرفت ببيانهما ان تلك الأعتراضات في غاية الوهن . واتضح ان القرآن في موارد هذه الاعتراضات تتدفق منه ينابيع البلاغة والفصاحة . وتشرق انوار الحقائق السامية . والمعاني الراقية . بحيث صارت إعتراضات اصحابنا النصارى سبباً لأن يلتفت كتاب الهدى وكتاب نفحات الاعجاز انظارنا إلى فضيلة القرآن في مطالبه العالية . وسلامته من كل إعتراض . والأعتراضات وأجوبتها المسكتة والمقنعة لذي المعرفة ها هي في كتاب الهدى في الجزء الأول من صحيفة ٣٢١ إلى ٣٨٢ وفي الجزء الثاني من صحيفة ٢ إلى ٢٤٣

﴿ اليعازر ﴾ إذا احضرتم معنا مسلماً فاني اخشى ان يطول الجدال وتهيج العصبية ويكثر القيل والقال . فتخفى بذلك علينا الحقيقة . ويلتبس علينا الطريق ويطول السير

﴿ عمانوئيل ﴾ إنا نبحث لنجاة انفسنا وننظر بنور عقولنا مستمدين إلى إرشاد سيدنا القس . وقد رفضنا كل عصبية وتقليد . فاذا لم يوافق طريقتنا ذلك المسلم تركناه وإستبدلنا به غيره ممن نرضى طريقته وعامه

﴿ مثلنا الشيخ (محمد علي) عن ناحية القرآن والأسلام ﴾

(عمانوئيل) يا شيخ إنكم معاشر المسلمين تقولون إن التوراة الموجودة محرفة بحيث سقطت عن الأعتبار . مع ان قرآنكم الذي تؤمنون بانه كلام الله يصدقها ويعتبرها كتاباً إلهياً نبوياً فماذا تقول

(١) للعالم الكبير والمتحلي في شبابه بفضيلة المشائخ سيدنا السيد ابي القاسم الخوئي النجفي دام فضله

﴿ الشيخ ﴾ يا اصحابنا إن بيان الحق في هذا الموضوع ربما يصعب عليكم فهل تسامحونني فيما اقول.

﴿ القس ﴾ يا شيخ ان قرآنكم يقول (وجادلهم بالتي هي احسن) ويقول في مقام آخر (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وإذا تأدبت بادآب القرآن فلا عليك إذا اغتاظ المتعصب . بل قل ما عندك من الحق فلعلك تصادف نفساً كريمة وقلباً نقياً

﴿ الشيخ ﴾ لايخفى على من نظر في القرآن بنظر حر انه جرى بكرامة منهجه على حقيقة الحكمة واللطف في الدعوة الى حقيقة التوحيد وشريعة العدل والمدنية اللذين هما المقصود الأصلي والمطلب الأساسي . فسلك في امرهما احسن مسلك في الحجة فلم يهاجم في الأمور الثانوية العرضية بصراحة تثير العصبية فتكون معثرة في سبيل المقصود الاصلي وروح الأصلاح مهما امكن البيان لاولي العقول بنحو جميل — وليس من حكمة الدعوة لأهل الكتاب ان يجاهرهم بالصراحة بأن كتبهم التي بايديهم قد كثر فيها التحريف والتبديل والكفر الوثني والخرافات الكثيرة والتناقض الظاهر . اذ لايخفى ان المجاهرة بذلك تهيج داء العصبية المهلك وتنفر عن الاقبال إلى الايمان الصحيح وتصرف عن الأصغاء إلى بيان الحق

(عمانوئيل) عجباً يا شيخ . هل يصح للقرآن إذا كان كتاب الله الهادى الى الحق ان لايبين هذا الأمر الكبير

﴿ الشيخ ﴾ لا ينحصر البيان بالمجاهرة التي ذكرناها . بل انه اظهر ذلك وبينه واوضحه بأحسن بيان واجمل ايضاح . فاوقف ذوى العقول على بعض موارد التبديل والتحريف والزيادة بخصوصياتها بحيث تتنبه عقولهم ووجدانهم لذلك على حين غفلة من هياج العصبية . فتعرض

لذكر القصص التي لها نحو وقوع في التاريخ فنزّهها من الخرافات والأغلاط الزائدة . واوردها على الحقيقة المعقولة استلفاتاً للعقول الى الخرافات الدخيلة في الوحي . واما مالم يكن له نحو وقوع فلم يتعرض لتكذيبه بالصراحة لكنه اودع في معارفه مايوضح تكذيبه

﴿ عمانوئيل ﴾ هذا شيء في غاية الحكمة بحسن الأرشاد . لكن يا شيخ اين موارد ذلك في القرآن . فاوضحها

(الشيخ) اني عرفت دراستكم في كتب المهدين وعرفت اخذ التوفيق بايديكم والتفاتكم الى مانبه عليه القرآن من خلل المهدين الرائجين حتى انكم كتبتم ذلك وطبعتموه في الجزء الأول . ولأجل الأختصار اشير بحسب صحائف المطبوع إلى ماذكرتموه من الانتقاد وكرامة القرآن الكريم في تنزيه الحقائق وحسن التنبيه على الخلل

فمن ذلك مامرّ في الجزء الأول في صحيفة ٧ إلى ١٠ قصة آدم والشجرة والحية والكذب . وما مرّ في صحيفة ١١ من كرامة القرآن في نقل القصة الواقعة على حقيقتها المنزهة — واما مامرّ في صحيفة ١٢ إلى ١٥ من خرافة التمشي والأختباء والسؤآل . والمحاذرة من آدم لانه صار كواحد من الآلهة . وكذا مامرّ في صحيفة ٢٢ من خرافة برج بابل والمحاذرة من ذرية نوح . وفي صحيفة ٥٣ ومن خرافة مصارعة يعقوب مع الله وما فيها من الكلمات الوثنية فان القرآن يوضح بطلان هذه الخرافات بما تضمنته معارفه وتعاليمه بحقيقة التوحيد وجلال الله وقدسه وانه الواحد القهار

ومن ذلك مامرّ في صحيفة ٣٠ و ٣١ من ان هرون صنع العجل الوثني لكي يتخذه بنو إسرائيل إلهاً ويعبدوه من دون الله وصنع امام العجل مذبحاً لعبادته . مع ان الله في ذلك الحين كان يكلم موسى في تقديس

هرون بالكلام الطويل لرياسة الدين والشريعة . وان الله كلم هرون في امور الدين والشريعة مع موسى ومنفرداً قبل واقعة العجل وبعدها — وقد مرّ في صحيفة ٢٩ و ٣٠ ان القرآن ينسب عمل العجل والدعوة للشرك إلى السامري « الشمروني » من عشيرة شمرون ابن يساكر ابن يعقوب الذين كان منهم مع موسى الوف — كما مرّ في صحيفة ٣٣ ان القرآن يبرّء هرون من امر العجل ويوضح انه نصح بني إسرائيل ونهاهم عن عبادته واخبرهم بفتنتهم وضلالهم — فالقرآن اوضح حال الخرافة الجامعة بين نبوّة هرون وتقديس الله له والدوام على تكليمه وبين كون هرون يدعو الى الشرك ويصنع العجل الوثني ويبني له مشعر العبادة

وقد مر في صحيفة ٤١ و ٤٢ حكاية شك إبراهيم صريحاً في وعد الله له بامر ممكن عادي الوقوع . ومر ايضاً ذكر العلامة التي يقول كاتب التوراة الرائجة إن الله اعطاها لأبراهيم لكي يعلم بصدق الوعد ويرتفع شكه . وهي العلامة التي لا يعلم احد محصلها ولا ربطها بالكلام — ومر ايضاً إن القرآن يذكر ان إبراهيم طلب ان يرى بعينه احياء الله للموتى ليؤكد بذلك إيمانه بيوم المعاد ويطمئن قلبه بهذه الحقيقة بسبب تعاضد الحس والوحي — فجرى القرآن على الحقيقة المناسبة لأيمان إبراهيم خليل الله . وجلال الله في إعطاء العلامة المعقولة

وقد مر في صحيفة ٤٣ و ٤٤ حكاية الذين جاؤا إلى إبراهيم وإلى لوط وإضطراب التوراة الرائجة في عددهم وفي انهم الله او ملائكة . وذكرت انهم اكلوا من طعام إبراهيم ولوط — ومر في صحيفة ٤٦ وبيان كرامة القرآن في ذكره لهذه القصة على الوجه المعقول — وقد عرفت مكالمتي الكريمة في ذلك في صحيفة ٤٦ و ٤٧ ومر ايضاً في صحيفة

٦٢ قول التورية الرائجة إن موسى وهرون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأو الله وتحت رجليه شبه صنعة العقيق ولم يمد الله يده اليهم بل رأوه واكلوا وشربوا . — وذكرتم انتم في صحيفة ٦٢ ايضاً من آيات القرآن ما يكذب هذه الحكاية ويسفهها — مضافاً إلى ان القرآن الكريم يكذب خرافة رؤية الله المتكررة في التورية والعهد القديم . بقوله تعالى في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام المكية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) يا اصحابنا وإن العهد القديم والعهد الجديد قد نصا على نبوة يعقوب وموسى وهرون وداود وسليمان وارميا والمسيح عليهم السلام وإنهم اكرموا بالوحي والقداسة والأمر بارشاد للناس . ومع ذلك ينسب العهدان إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما ينافي مقام النبوة والأمامة في الناس للارشاد والتعليم — وقد اشار القرآن الكريم إلى كذب هذه النسبة الساقطة بقوله تعالى في الآية الثامنة عشر بعد المائة من سورة البقرة (وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن « كما تقتضيه الحكمة وجلال الله وقدسه » قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين) فان الكذب . والخديعة . والجرئة وسوء الأدب مع الله . وخيانته . وعدم الأيمان به . والأستهزاء بوعده . ونسبة الخداع والكذب اليه . والزنا الفاحش بالمحصنات . والغدر بالمؤمنين . والدعوة إلى الشرك بالله . وعبادة غيره وبناء مشاعر الأوثان . والقول بتعدد الأرباب والآلهة . والتحريف هذه كلها من اقبح الظلم . ومرتكبها من الظالمين . والعقل والوجدان يقبحان إئتمان الظالم على الرسالة والنبوة وإمامة الدين والتوحيد والشريعة . كما مر في المثال المذكور في صحيفة ٣٣ فالقرآن بجميل إشارته ووضوح حجته يشير إلى كذب جملة من منقولات العهدين الرائجين —

منها ما مر في صحيفة ٥١ و ٥٢ من ان يعقوب عليه السلام خادع اباه إسحق وكذب عليه مراراً لكي يأخذه منه البركة . وفي صحيفة ٥٩ في ذكر ما نسب إلى موسى عليه السلام من الجرئة على الله بالخطاب والشك في وعده . وفي صحيفة ٣٠ و ٣١ في ذكر هرون وعمل العجل . وفي صحيفة ٦٩ من امر موسى بقتل الأطفال وجعله شريعة جرى عليها خليفته يشوع « يوشع » وفي صحيفة ٦٥ و ٦٦ في قول التورنة الرائجة عن الله جل شأنه ان موسى وهرون عليهما السلام لم يؤمنا بالله وعصياه وخاناه . وفي صحيفة ٥٥ من الأشارة إلى ما ذكره الفصل الحادي عشر من صموئيل الثاني في نسبة الزنا بأمرأة اوريا إلى داود . ع . مع الغدر باوريا المؤمن المجاهد الناصح . ويالها من نسبة شنيعة . وفي صحيفة ٣٢ فيما نسب إلى سليمان ع من إتباع الأوثان وعبادتها وبناء مشاعرها . وفي صحيفة ٦٦ من ان ارميا نسب الخداع والكذب إلى الله جل شأنه ومنها ما مر في صحيفة ٧٣ من ان إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح ع قوله بتعدد الآلهة مع الاحتجاج الساقط والتحريف الواهي . وإن اناجيل متى ومرقس ولوقا تنسب إلى المسيح القول بتعدد الأرباب مع الاحتجاج الساقط والتحريف الكبير

ومنها ما مر في صحيفة ١٢٦ و ١٢٧ فيما تذكره الأناجيل في احوال تلاميذ المسيح مما لا ينفك عن الظلم ولو بمحض خذلانهم للمسيح ونكولهم عن مواساته التي طلبها منهم مراراً بالتأكيد ــ فالقرآن باية العهد المتقدمة يوضح ان الاناجيل قد خالفت الحقيقة باحد امرين . اما بوصف التلاميذ بما مر من صفات الذم . واما بارسال المسيح للتلاميذ بعده ليعلموا جميع الامم ويعظوا العالم اجمع بالانجيل وانه ارسلهم كما ان الله ارسله . كما مر في صحيفة ١٢٧ وهذا هو الامامة في الناس . وقال

للتلاميذ ايضاً ان كل ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولاً في السموات . مت ١٨ : ١٨ . وكيف يجتمع في كتاب الوحي ان المسيح يقول لبطرس إذهب عني يا شيطان انت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس مع قول المسيح له انت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي واعطاه امامة الحل والربط في الديانة كما تقدم لسائر للتلاميذ انظر مت ١٦ : ١٦ — ٢٤

ومنها ما مر في صحيفة ١٨٤ و ١٨٥ من ان بولس كان ضداً للكنيسة وكان يهجم على البيوت ويجر المؤمنين بالمسيح نساءً ورجالاً إلى السجن ويقتلهم ويعاقبهم ويضطرهم إلى التجديف « الكفر بالمسيح وشتمه » وكان مجدفاً ومضطهداً ومفترياً — وكيف يجتمع هذا مع ما يذكره العهد الجديد في اعمال الرسل والرسائل المنسوبة إلى بولس ان بولس صار رسولاً وإماماً . بل كان النفوذ لأمامته في النصرانية فقد قالت رسائله ما شائت من إبطال شريعة التورية وعيبها وذمها كما مر في صحيفة ٩٨ و ٩٩ فالقرآن يوضح ان التلاميذ وبولس ان كانوا رسلاً وانبياءً وائمة فوصفهم بما يؤدي إلى كونهم ظالمين كاذب . وإن كانوا كما وصفوا به فوصفهم بالرسالة والنبوة والأمامة كاذب . وهذا العهد الجديد قد جمع بين المتنافيين فان الظالم لا يكون إماماً

بر المسيح بوالدته المقدسة . والأناجيل

وايضاً إن اناجيل مق ١٢ : ٤٧ — ٥٠ ومرقس ٣ : ٣١ — ٣٥ ولوقا ٨ : ١٩ — ٢١ تقول إن المقدسة أم المسيح جائت إلى خارج البيت الذي فيه المسيح وتلاميذه فارسلت اليه تطلب منه ان يخرج اليها لكي تراه حسب شوق الامهات الحواني فقال من هي امي ومد يده إلى

تلاميذه وقال ها هي امي لأن من يصنع مشيئة الله هي امي . فالأناجيل تقول إن المسيح عليه السلام إستهزء بأمه وبطلبتها ولم يرأف بلهفة حنوها ولم يبرّها . بل قد قدح بقداستها وفضل عليها التلاميذ الذين ذكرتم حالهم في صحيفة ١٢٦ و ١٢٧ — والقرآن يشير إلى مخالفة الأناجيل فيما ذكرت للحقيقة ويقول في سورة مريم المكية عن قول المسيح ع المعجز في طفوليته في الآية ٣٣ (وبراً بوالدتي)

يا اصحابنا فالقرآن الكريم بقصصه وقانونه المعقول في الأمامة الدينية يوضح ان القسم الكبير من العهدين الرائجين مخالف للحقيقة والمعقول . فكيف تقولون انه يصدقها . غاية الامر انه اوضح ذلك بألطف إيضاح من غير تهاجم يثير العصبية بصراحة التكذيب .

﴿ ما هو معنى كون القرآن مصدقاً لما مع اهل الكتاب ﴾

(عمانوئيل) إن القرآن تكرر منه التصريح بانه مصدق لما مع اهل الكتاب . كما في الأيات التاسعه والثلاثين . والثالثة والثمانين . والخامسة والثمانين . والخامسة والتسعين من سورة البقرة . والخمسين من سورة النساء

﴿ الشيخ ﴾ هذا الكلام في الاحتجاج على ان القرآن يصدق العهدين الرائجين قد رأيناه في كتاب الغريب إبن العجيب في صحيفة ١٢ وهو من مثل الغريب غير غريب . ولكنه غريب منك يا حرّ الفهم والضمير . متى صرحت الآيات المشار اليها بان القرآن مصدق لما مع اليهود والنصارى من العهدين الرائجين في زمان نزول القرآن ؟ هل يكون الشاهد على هذه الدعوى ما تقدم من ان قصص القرآن وقانونه في الامامة ومعارفه في التوحيد وتمجيد جلال الله وقدسه كلها تشهد باوضح الشهادة والبيان بان القسم الكبير من العهدين مخالف للحقيقة المعقولة ؟ ؟ بل ان

هذه الشهادة توضح بدلالتها ان المراد هو كون القرآن مصدقاً لما مع اهل الكتاب من التوحيد وبطلان الوثنية ومن الأعتقاد بالوحي ونبوة الانبياء الصالحين ونزول الكتب المقدسة ويوم القيامة

﴿ القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ﴾

(عمانوئيل) إن القرآن ايضاً يصرّح بانه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه كما في الآية الثانية والخمسين من سورة المائدة

﴿ الشيخ ﴾ لا يخفى ان الشيء الذي يكون له مكان يتحيز هو فيه كزيد والبيت فانه يصح ان يقال (بين يديه) بمعنى امامه وقدامه في المكان . فيراد من الذي بين يديه هو ما كان مقارناً له في الزمان وقدامه وامامه في المكان . واما مثل القرآن الذي هو كلام الله المنزل على رسوله صَ فلا يكون له قدام وامام وخلف بحسب المكان . فلا يكون معنى قوله تعالى (بين يديه) إلا بمعنى التقدم في الزمان . فالكتاب الذي بين يدي القرآن هو ما تقدم على زمان نزوله على الرسول ع . والقرآن يصدّق الكتاب الذي أنزل على موسى ع والذي أنزل على المسيح ع . واين هذا من تصديقه لخصوص النسخ المجتمعة معه في زمان نزوله التي تسمى باسم التورية والأنجيل . . بل إن القرآن قال (مصدقاً لما معهم . ولما معكم) على الأجمال ولم يقل ما معهم من نسخ الكتاب ولما نص على تصديق الكتاب خص التصديق بالكتاب الذي بين يديه اي قبله في الوجود . وهذا كله حياد عن تصديق النسخ الموجودة في زمانه مع غض النظر عن الصراحة المزعجة بتكذيبها

﴿ ما معنى كون القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب ﴾

(عمانوئيل) هل يمكن ان نقول ان اليهود والنصارى قد حرفوا كتاباً جاء القرآن مهيمناً عليه وقد قال المفسرون إن معنى (مهيمناً) رقيباً على

سائر الكتب يحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات . فهل يمكن لك ان تقول ان اليهود والنصارى حرفوا تلك الكتب بالرغم على محافظة القرآن عليها

﴿ الشيخ ﴾ يا عمانوئيل هذا الكلام الذي تقوله انت قد رأيناه في كتاب الغريب ابن العجيب في صحيفة ١٠ و ١١ وقد اخذه ممن قبله . فهل انت لا تدري بأن القرآن كلام منزل فيه بيان الهدى انزل على الرسول ع بعد المسيح بنحو ستمائة سنة . وليس القرآن رجلاً بيده سيف وهو متجرد للمراقبة إلى زمان نزوله من زمان القضاة لبني إسرائيل . وفي ايام ملوكهم . وعند إرتداداتهم عن التوحيد . وعند تخريبهم لبيت المقدس وتنجيسه وجعله بيتاً للأصنام . وعند مهاجمات المشركين على الأمة الأسرائيلية . وعند نهب مقدساتهم . وعند إحراق بيت المقدس وبيوت اور شليم . وملاشات الأمة بالقتل والأسر . وعند تفرد حلقيا وعزرا بأظهار التورية . وبعد سبي بابل . وبعد زمان المسيح . وحينما كانت كتب العهدين محجوبة في كل ادوارها ونشئاتها عن اعين العموم بسبب إستقلال الروحانيين برؤيتها . فيكون القرآن ذلك الرجل الشاهر سيفه المتجرد للمراقبة . مترصداً في جميع تلك الاوقات والاحوال يقطع يد كل من يمد يده إلى كتب العهدين بالأعدام او تجديد الولادة او التحريف — يا عمانوئيل هل تقول ان القرآن إذا كان مهيمناً على التورية والانجيل فلا بد من ان يعمل بسيفه كما ذكرناه قبل نزوله في مدة ألفي سنة

﴿ عمانوئيل ﴾ لا يا شيخ لا يمكن ان اقول ذلك ولا يقبله شعوري فان لي والحمد لله من الشعور ما اعرف به ان القرآن كلام هدى وبيان لا سيف قدرة او سلطان . وإنما يكون مهيمناً وحافظا ببيانه في زمان وجوده —

لكن يا شيخ اليس من اللازم عليك ان تبين معنىً معقولاً لكون القرآن بعد نزوله مهيمناً على ما تقدم عليه من نوع الكتاب المقدس

﴿ الشيخ ﴾ إن القرآن الكريم بحكمة بيانه ولطائف إشاراته لأولي الألباب قد قام لكتب الوحى الحقيقية بحماية ومحافظة كبيرة فكان مهيمناً عليها ببيانه بعد نزوله لئلا تتلوث معارفها الألهية وقدس انبيائها وكرامة قصصها بخرافات الشرك وتعاليم الوثنية وسخافة الأختلاف والتناقض . فذكر قصص آدم وإبراهيم وواقعة العجل على حقيقتها المعقولة واشار بذلك إلى براءة كتب الوحى مما ادخل على هذه القصص وشوه صورتها . وذكر قول الله جل إسمه لأبراهيم فى الأمامة والرياسة الدينية (لا ينال عهدي الظالمين) واشار بذلك إلى براءة الكتب الحقيقية مما لوثت به الكتب الرائجة قدس لوط ويعقوب وموسى وهرون وداود وسليمان والمسيح عليهم السلام هؤلاء الأنبياء الكرام الذين شهد القرآن ايضاً بنبوتهم وقدسهم وصلاحهم

وقال فى الآية الرابعة والثمانين من سورة النساء (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً) واشار بذلك إلى براءة الكتب الألهية الحقيقية من وصمة الأختلاف والتناقض كما يوجد في التورية والاناجيل الرائجة وغيرها . فانظر اقلاً الجزء الأول من كتاب الهدى فى صحيفة ١٩٧ الى ٢٣٤

وقال فى الآية السابعة والخمسين من سورة آل عمران (قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً) اي لا تتخذ من البشر ارباباً — وقال فى الآية الثالثة والسبعين والرابعة والسبعين من سورة آل عمران ايضاً (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة

ثم يقول للناس كونوا عباداً لي — ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً ايأمركم بالكفر) فالقرآن بهذا الكلام يبرّء المسيح عليه السلام وإنجيله الحقيقي مما تقدّم ذكره في الجزء الأول فى صحيفة ٧٣ عن اناجيل متى ومرقس ولوقا من نسبتها الى المسيح قوله بتعدد الأرباب وإحتجاجه بالتحريف للمزامير

وقال فى الآية الثالثة عشر من سورة التغابن المكية (الله لاإله إلا هو) وفى الآية الثانية والعشرين والثالثة . والعشرين من سورة الحشر المكية (هو الله الذي لاإله إلا هو) وفى الآية المائة والثمان وخمسين من سورة البقرة ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ﴾ وايضاً في الآية السادسة والخمسين بعد المأتين منها (الله لاإله إلا هو) وقد تكرر هذا في القرآن الكريم اكثر من اربعين مرّة . وقال في سورة النمل المكية فى الآية الحادية والستين إلى الخامسة والستين فى مقام التوبيخ الشديد خمس مرات (ءإله مع الله) — (بل اكثرهم لايعلمون — قليلاً ماتذكرون — تعالى الله عما يشركون) والقرآن بمثل هذا وبشهادته برسالة المسيح وقدسه يشير إلى برائته وبرائة الانجيل الحقيقى من القول بتعدد الآلهة والأحتجاج الواهي له مع تبديل معنى المزامير كما مر فى الجزء الأول فى صحيفة ٧٣

وقال فى الآية الثالثه بعد المائة من سورة الأعراف فى جلال الله جل إسمه (لا تدركه الأبصار) وبهذا يشير إلى برائة التورية الحقيقية من قول التورية الرائجة . إن يعقوب رأى الله وجهاً لوجه : وإن موسى وهرون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأو إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق — فرأو الله واكلوا وشربوا . كما مر فى الجزء الأول فى صحيفة ٥٣ و ٦٢ — يا اصحابنا فالقرآن ببيان هذه الأمور

وهداه باشاراته خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ لشرفها من ان يلصق باسمها هذا الذي ذكرناه إذا وجه التوفيق العقول السليمة إلى المقابلة بين القرآن الكريم وبين العهدين في المعارف الألهية وقدس الأنبياء والقصص التاريخية

لا مبدل لكلمات الله

(عمانوئيل) إن القرآن شهد بايات عديدة ان التورية والأنجيل كلام الله . وصرّح ايضاً بايات عديدة بان كلام الله لا يبدل كما في سورة الأنعام . ويونس . والكهف . وغير ذلك من الآيات الشاهدة بان كلام الله لا يمكن تبديله ولا تحريفه لفظياً

﴿ الشيخ ﴾ لم يقل القرآن ان كلام الله لا يمكن تبديله وتحريفه . وإنما قال إن كلمات الله في وعده وتقديره تقع وتتم كما وعد وقدر . لا تتبدل ولا مبدّل لها — قال في الآية الرابعة والثلاثين من سورة الأنعام (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا « اي فاصبر على التكذيب والأذى ولك البشرى بالنصر كما نصر الله الرسل من قبلك » ولا مبدّل لكلمات الله) افلا ترى يا عمانوئيل انه لا يناسب في الآية الشريفة إلا ان تقول لا مبدل لكلمات الله في وعده لرسله بالنصر وظهور الحق — وفي الآية الخامسة عشر بعد المائة من سورة الانعام ايضاً (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته) وهل يناسب هذه الآية إلا ان تقول إن كلمات الله في وعده وتقديره الذي لابد ان تتم ويظهر صدقها لا مبدل لها . ومن ذا الذي يبدلها — وفي الآية الخامسة والستين من سورة يونس في شأن المؤمنين المتقين (لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وهل يحسن او يمكن في هذه الآية إلا ان تقول لاتبديل

لوعد الله بالبشرى — وفى الآية السادسة والعشرين من سورة الكهف المكية (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) والمعنى انه قد قال الله لك ووعدك البشرى فى الآية الرابعة والتسعين والخامسة والتسعين من سورة الحجر المكية (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) المكذبين لك والمستهزئين بك ولا تخش ضياع الدعوة باستهزائهم وتكذيبهم (إنا كفيناك المستهزئين) ووعدك الله بان يظهرك على الدين كله ولو كره المشركون كما فى الآية التاسعة من سورة الصف المكية . فاتل ما اوحى اليك من كتاب ربك فانه قد وعدك بالكفاية والنصر وظهور الدين ولا مبدل لكلماته فى وعده وبشراه — ياعمانوئيل وإنك اشرت إلى هذه الآيات إتباعاً للغريب ابن العجيب فيما لفقه فى رحلته فى صحيفة ١٣ وتبعته في قوله اخيراً « إلى غير ذلك من الآيات الشاهدة بان كلام الله لا يمكن تبديله وتحريفه لفظياً . يا عمانوئيل اين هذه الآيات الشاهدة لدعوالك . الا تدري ان الأتباع الأعمى يكسر ظهر الشرف

(عمانوئيل) الشيخ غريب ابن عجيب قال فى رحلته الحجازية صحيفة ١٣ . قال الأمام البخاري فى صحيحه فى تفسير الآية (يحرفون الكلم عن مواضعه) يزيلون وليس احد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يحرفونه اي يأولونه على غير تأويله . ونقل الشيخ غريب فى رحلته فى صحيفة ١٣ — ١٧ عن البيضاوي والرازي ما يؤدي إلى ان التحريف إنما هو بالتأويل . وفى صحيفة ١٨ و ١٩ عن ابن تيمية إن للعلماء في التحريف قولين . الأول . تبديل الالفاظ . والثاني تبديل المعاني واحتج للثاني . وعن الزرقاني ان الفقهاء إختلفوا فى ان التحريف للتورة والانجيل هل هو بالزيادة والنقص او بالتأويل والتفسير على غير المراد . فما ذا تصنع

يا شيخ بهذه الأنقال

﴿ الشيخ ﴾ اما ما نقله عن البخارى فى صحيحه فاني تتبعت صحيحه في كتاب التفسير وتصفحته فلم اجد لهذا النقل اثراً . بل ان البخاري في صحيحه في اواخر كتاب الأعتصام بالكتاب والسنة روى مسنداً عن ابن عباس ان رسول (ص) حدثهم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . فهل البخاري يفسر برأيه مضادة لما يرويه هو في صحيحه — ياعمانوئيل إذا اعرضنا عن كل شيء فان هذه الرواية فى جامع البخاري تكون حجة على البيضاوي والرازي وابن تيمية والعلماء والفقهاء الذين قالوا بأن التحريف بالتأويل . ياعمانوئيل هل بعد ماوجدناه وذكرناه من مخالفات المعقول الباهضة فى جلال الله وقدس انبيائه ورسله ومن الأختلاف والتناقض تريد ان تحتج علي وعلى جامعة المسلمين وعلمائهم ومحققيهم بنقل الغريب ابن العجيب عن البيضاي وابن تيمية وجماعة يفسرون بالرأي

(عمانوئيل) يا شيخ إنك تدري بما كتبناه وطبعناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب عند دراستنا فى التورية والأنجيل بحيث كشفنا للعيان والوجدان ان اكثر الموجود في العهدين لا تعقل نسبته إلى وحى الله لأنبيائه وان القسم الباقي لا نقدر ان نجد له سنداً يوصله إلى الأنبياء والوحى . ولكني الآن احب ان اعرف الوجه فيما ينقل عن البيضاوي وابن تيمية وبعض المسلمين من دعوى كون التحريف بالتأويل . وكيف يذهبون إلى ذلك

﴿ الشيخ ﴾ يا عمانوئيل هل يخفى عليك ان كتب العهدين كانت مخفية بسيطرة علماء الدين منكم ومن اليهود مستورة حتى على عامة اليهود

والنصارى ولم تظهر وتنتشر باللسان العربي والفارسي إلا قبل قرن او قرنين بعناية البروتستنت واصلاحهم ولم يكن لها اثر في بلاد الأسلام في زمان هؤلآء الذين ينقل عنهم الغريب ابن العجيب ولم يكن لهم نصيب من معرفة امرها إلا السماع بأسمها . فلم يكونوا يدرون بما فيها من كثرة مخالفة المعقول والقرآن والأختلاف الكثير والتناقض الكبير حسبما شرحناه فكان يخيل لهم انها بريئة من ذلك فاخذتهم الشبهات إلى القول بالتحريف في التأويل وحجبتهم عن التبصر بما ذكرناه من رواية البخاري عن ابن عباس وغيرها من الروايات . ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) وقوله تعالى في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنعام (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) فأن القرآن يبين ان اليهود يبدون من التورية ما يوافق اهوائهم ويظهرونه على القراطيس ويخفون كثيراً . . .

التورية فيها حكم الله

﴿ عمانوئيل ﴾ يا شيخ إن القرآن يقول في الآية السابعة والأربعين من سورة المائدة (وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) فالقرآن يصرّح بان التورية التي عند اليهود في عصر نبيكم فيها حكم الله

(الشيخ) نعم إن الذي يسميه اليهود تورية ً فيه شيء من احكام الله التي جائت في التورية الحقيقية . والقرآن ينص في الآية التاسعة والأربعين من سورة المائدة ان الحكم المشار اليه وهو قصاص النفس بالنفس مما نزل في التورية الحقيقيه وكتب على بني إسرائيل وها هو موجود في العدد

العشرين من الفصل التاسع عشر من التثنية — ولم ينص القرآن على ان الكتاب الموجود عند اليهود في ذلك العصر هو كتاب الله الحقيقي المتكفل باحكام الله في شريعة موسى . بل سماه التورية لأن إسم ذلك الكتاب عند اليهود تورية مجاراة لهم في التسمية لكي يجادلهم بالتي هي احسن — وعلى هذا النحو من المجاراة بالتسمية جاء قوله تعالى في الآية السادسة والخمسين بعد المائة من سورة الاعراف (الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والأنجيل) يشير بذلك إلى ما في الفصل الثامن عشر من التثنية كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٧١ إلى ٧٦ وإلى ما في العدد السادس والعشرين من الفصل الخامس عشر وفي العدد السابع إلى الخامس عشر من الفصل السادس عشر من إنجيل يوحنا وهو اللفظ اليوناني (پیر كاوطوس) الذي تعريبه فيرناكلوط بمعنى احمد او محمد . كما يدعيه النصارى ويصححونه (پيراكلي طوس) ويعبرون عنه (فار قليط) كما عن التراجم المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤١ وفي مطبوعة وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٧ على النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٦٦٤ وفي الترجمة العبرانية للأصل اليوناني المطبوعة سنة ١٩٠١ . وابدله بعض التراجم بالمعزى والمسلي . او يشير إلى التصريح الكثير باسمه الشريف (محمد) في إنجيل برنابا الذي حرمه البابا جلاسيوس الأول الذي نال البابوية سنة ٤٩٢ م أو كما يقول البستاني في دائرته في ترجمة برنابا حرمه جلاسيوس الثاني الذي نال البابوية سنة ١١١٨ م وقد سلف في الجزء الأول في صحيفة ١٨٧ إلى ١٩٠ بعض الكلام في إنجيل برنابا

ما هو الذكر الذي يحفظه الله

(عمانوئيل) إن القرآن قد سمي التورية بالذكر حيث قال في الآية

الخامسة بعد المائة من سورة الأنبياء (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) وسمى التورية والأنجيل بالذكر حيث قال فى الآية الخامسة والخمسين من سورة النحل والسابعة من سورة الأنبياء (فاسئلوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) — وقال فى الآية التاسعة من سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فقد وعد الله بحفظ الذكر من التبديل والتحريف والزيادة والضياع وهو اخبار بحفظ التورية والأنجيل من ذلك

﴿الشيخ﴾ المراد من الذكر فى آية الحفظ هو القرآن لقوله تعالى قبل ذلك في نفس سورة الحجر فى الآية السادسة (وقالوا يا ايها الذي نزّل عليه الذكر إنك لمجنون) فالذكر الموعود بحفظه هو القرآن وهو الذكر المعهود فى الآية السادسة . ويشهد لذلك ما تقدم في مكالمتنا من ان جملة من قصص القرآن وكثيراً من آياته تشهد بان التورية والأنجيل لم يحفظا من الزيادة والتحريف والتبديل والضياع . وايضاً يا عمانوئيل ليس المراد من اهل الذكر فى الآيتين السابقتين من سورتي النحل والأنبياء هم اهل التورية والأنجيل . بل هم الراسخون فى العلم من اهل القرآن

تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة

﴿عمانوئيل﴾ يا شيخ إن الأخلاق الفاضلة هى الحيوة الأنسانية وروح المدنية وناموس الأجتماع ومعراج السعادة والرقي . ولا يليق بالكتاب المنسوب إلى الوحى ان يخلو من التعليم بها . فهل تسمعنا شيئاً من تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة وتشرح مراد القرآن فيما تقرئه

(الشيخ) اما القرآئة فاقرء بعون الله . واما الشرح فانى احب ان يكون حضرة القس هو المتولى له بحسب ما يفهمه هو من لفظ القرآن واسلوبه

﴿ الشيخ ﴾ فتحت المصحف الشريف فاطرق القس للاصغاء وابتدأت بالتلاوة من الآية الرابعة والستين من سورة الفرقان المكية وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)

﴿ القس ﴾ عجباً يا اصحابنا ألا ترون كيف اشترط فى الأبرار الذين يريدون السعادة بالانتساب إلى عبودية الرحمن والتحرز من عبودية الهوي والشيطان واوضح ان الرقي إلى فضيلة عبودية الرحمن إنما هو للذين يمشون على الأرض هوناً بحسن السلوك بالأخلاق الفاضلة وكريم الادب مع النفس بتهذيبها ومع الناس بعدل المدنية وبحسن الأجتماع فيسلكون على هونهم فى تحرّى الطريق ولزوم الجادة وإتباع البصيرة . والتوقي من عثرة الأسترسال وورطات الجهل المركب والعجب والغرور . من دون تسرّع يورّطهم فى هفوات الشهوات وطفرات الغضب والظلم ويدنسهم برذائل العجب والغرور . فيزل بهم تسرعهم عن النهج المستقيم . ويضر بسعادة انفسهم وراحة بني نوعهم . فجمعت هذه الكلمة الواحدة للتعليم بكل خير وخلق فاضل يتكفل بالسعادة والعمران الحقيقي وراحة المجتمع الأنساني . والتعليم باجتناب الهرولة إلى بطالة التقشف البارد ومسكنة العجز المضرّتين برقي النفس في الكمال والمعاضدة فى العمران : وإذا تعرض الجاهلون لهؤلاء الفضلاء بكلام الجهل اجابوهم بما فيه السلام حسبما تقتضيه الظروف والأحوال من الملاطفة بالارشاد او الموعظة وما يصلح للجواب بالسلام : إقرأ يا شيخ جزاك الله خيرا

﴿ الشيخ ﴾ فقرأت (والذين يبيتون لربّهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربّنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقراً ومقاماً) .

﴿ القس ﴾ هذه هي المظاهر في الرابطة الحقيقية في عبودية الله والخضوع له وعبادته الخالصة . وحقيقة الرهبة منه . وهي الحقيقة المعقولة الجامعة بين الرغبة في طاعة الله وعبادته لأجل عظمته ومعرفة اهليته للعبادة الصادقة . وبين الرهبة بالالتفات إلى وبال المعصية . وبطلب المعونة من الله والتوفيق للخلاص من المعاصي وإستحقاق عقابها الأليم — يا اصحابنا ما اجلّ قوله في وصف عباد الرحمن (والذين يبيتون لربّهم سجداً وقياماً) فان هذا هو الاخلاص بالعبادة وفيه السلامة من الرياء الذي يسري في العبادة كدبيب النمل فان بعض الناس لا تخطر المرا آت للناس في باله عند عبادته ولكنه ينشط للعبادة بين الناس ويكسل إذا خلا بنفسه . وهذا من دآء الرياء الكامن . واين هؤلآء من عباد الرحمن الذين يغتنمون الخلوات وظلام الليل فينهضون بالنشاط والاقبال إلى عبادة الله . ما اشرف هذا التعليم المحي للروح . إقرأ يا شيخ

﴿ الشيخ ﴾ . (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)

﴿ القس ﴾ يا حبذا هذا التعليم الفائق في نظام المعاش وإعانة النوع ونظم امر العيال ووضع الانفاق مواضعه حسبما تقتضيه الحاجة وتواقع الحكمة . وانه يقول إن هؤلآء الكاملين ينفقون ويكون إنفاقهم مستقيما على الحكمة لا يميل به التقتير إلى التقصير وإتباع رذيلة البخل والاخلال بواجبات النوع . ولا يميل به الاسراف إلى عبث السفه المؤدي إلى القصور عن الواجبات . وإلى إرتكاب الممنوعات . وإلى عادة تقلق على بني النوع نظام معيشتهم . إقرأ يا شيخ

﴿ الشيخ ﴾ (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً . يضاعف له

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً)

﴿ القس ﴾ إن هذه الأمور كانت مندرجة فيما تقدم . ولكنّ اهميتها العظمى في العرفان ونظام الأجتماع اوجبت على الحكيم الهادي ان ينص عليها بشديد الموعظة والتهديد والوعيد

﴿ الشيخ ﴾ . (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاؤلئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى ربّه متاباً)

﴿ القس ﴾ هذا هو التعليم الجاري على الحكمة والداعي إلى الصلاح والهادي إلى الرشد والدال على باب الرحمة والمبين لحقيقة التوبة بتطهير النفس بالأعمال الصالحة والمبشر بالنجاة والفوز والمعرف برحمة الله وجلاله وغناه . والمبين لوجه العفو وحسنه واهلية التائب له . فان من رجع عن كفره وفساده وندم على ما فرط منه ووطن نفسه وعاهد ربّه على عدم التلوث بتلك الرجاسات وتطهر بالأعمال الصالحة ومنها الخروج من عهدة حقوق الناس فانه يزكوا ويرجع إلى الله رجوعاً حقيقياً بالعبودية الصالحة ويندرج في زمرة الأبرار فهو الأهل للعفو عما سلف منه . الا . ان البيان يضيق عما في هذه التعاليم من كشف الحقائق وحسن الأرشاد وسموّ التعليم . وان نورانيتها هي التي تهدي إلى كنوزها الفائقة . إقرأ يا شيخ

﴿ الشيخ ﴾ . (والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً)

﴿ القس ﴾ إنه ليطربني قوله مروا كراماً . فانه يمسلم باداء الوظيفة الصالحة لذلك المرور حسبما يقتضيه الحال والمقام من الأعراض . والموعظة . والنصيحة . واللين . والشدة . والزجر . والتأديب . فان العامل بالوظيفة كريم . والمهمل لها لئيم . إقرأ

﴿ الشيخ ﴾ . (والذين إذا ذكروا بآيات الله لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً)

﴿ القس ﴾ باكياً متضرعاً اللهم لك الحجة البالغة فوفقنا ونوّر قلوبنا واشرح صدورنا واعذنا من صمم الجهل والعناد وعماية العصبية والغواية

﴿ الشيخ ﴾ . (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماماً)

﴿ القس ﴾ ما اكرم هذا التعليم لبقاء النوع الأنساني ودوام الحنان العائلي وكف النفس عن الخيانة مع النساء الأجنبيات والتنزه عن رذيلة الحسد للناس . ومن اهم ما تقرّ به العين من الأزواج والذريات هو لزومهم لجادة التقوى والصلاح ومن ذلك ينشأ الخير والأستراحة بهم : وزاد في تأكيد ما مضى من التعاليم الفاضلة انه ينبغي لعباد الرحمن ان يسعوا في تكميل انفسهم وتهذيب اخلاقهم بان يطلبوا ان يكونوا باقوالهم واحوالهم واعمالهم واخلاقهم قدوةً للمتقين وأدلاء على الخير والهدى . . زدنا يا شيخ من هذه الحكم الروحية والآداب المدنية والأجتماعية والتعاليم السامية

﴿ الشيخ ﴾ فقرأت من سورة المعارج المكية في صفات السعداء واخلاقهم الفاضلة (٢٣ الذين هم على صلوتهم دآئمون)

﴿ القس ﴾ يريد انهم يصلونها عن رغبة في الطاعة ومعرفة بعظمة المعبود وشوق إلى شرف مناجاته . لم تكن صلوتهم عن تكلف فيقطعها الكسل ولا عن رياء فيهملونها في الخلوات

﴿ الشيخ ﴾ . (٢٤ والذين في اموالهم حق معلوم . ٢٥ للسائل والمحروم)

﴿ القس ﴾ يعني إن إعاناتهم لذوي الحاجة من الناس لم تكن بتكلف

تابع للسوانح الوقتية من دواعي الهوى والخجل والرياء فتكون اتفاقية تابعة لهذه السوانح إذا غلبت على الحرص والبخل . بل جعلوا فى اموالهم لأعانة المحتاجين حقاً معلوماً حسب فرض الشريعة وفرض رحمتهم لا ينقصه الشح يعينون به السائل ومن حرمه الناس من المعروف لأجل عفته وعدم سؤآله

﴿ الشيخ ﴾ . (٢٦ والذين يصدّقون بيوم الدين ٢٧ والذين هم من عذاب ربّهم مشفقون)

(القس) هؤلآء الذين تركن النفس إلى كمالهم باطمئنان فان الأنسان فى هذه الدنيا لا يكمل له كرم الأخلاق فى السر والعلن إلا إذا كانت نفسه دائمة الشوق إلى رفعة ونعيم عظيم باق تستحقر دونه زخارف الدنيا الفانية . ودائمة الرهبة من عذاب تهون دونه مصاعب الدنيا المنقضية وشدائد مخالفات الهوى والغضب وحب السمعة . وان المصدق بيوم الدين هو من لا يتغافل عنه ولا يتناساه ولا يتساهل في امر جزائه وثوابه وعقابه بل هو مشفق من عذاب ربه دائماً . فهنيئاً لهؤلآء الكرام

﴿ الشيخ ﴾ . (٢٩ والذين هم لفروجهم حافظون ٣٠ إلاّ على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ٣١ فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

(القس) ما حال العادين على غير ازواجهم والمتعدين حدود الشريعة وشرف الأنسانية . اما ان الزنا اضرّ شيءٌ على المجتمع الأنساني . وحمية النوع والحنان العائلي

﴿ الشيخ ﴾ . (٣٢ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ٣٣ والذين هم بشهاداتهم قائمون)

(القس) . ما اكرم الراعين لأماناتهم فى كلما يؤتمنون عليه . ولعهودهم

مع الله ومع الناس والقائمين بشهاداتهم على حقها وحقيقتها من دون كتمان ولا تبديل ولا تحريف . زدنا يا شيخ زادك الله من فضله

(الشيخ) فقرأت من سورة الحجرات (١٠ إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

(القس) إن الأصلاح بين النـاس هو قوام النظام وحيوة الأجتماع . فليتق الناس ربهم من إهمال الأصلاح وليطلبوا رحمة الله بالنهوض اليه

(الشيخ) . (١١ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الأسم الفسوق بعد الأيمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

(القس) ايها الساخر إن لم تكن لك تقوىً تصدك ولا شرف يردعك فاترك السخرية حذراً من ان يكون من تسخر به خيراً منك عنـد الله وعند الناس فتجلب الهزء والفضيحة على نفسك . ايها العائبون للخلق لا تنبهوا الناس على عيوبكم فلا تلمزوا الناس بالعيب ولا تذكروهم بالقاب السوء

(الشيخ) . (١٢ يا ايها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

(القس) لا ينهى عن ظن الخير الذي تحسن به الروابط وتتأكد به علائق الألفة ويصفو به الأجتماع ولكنه ينهى عن ظن السوء المؤسس للبغضاء والنفرة والمثير للشر . فان بعض الظن إثم وخطأ وظلم البريء وسبب للتهجم بالبغضاء والأذى . وإن التجسس مثار الفساد ومنبع الشر والفتن ومقلق لنظم الأجتماع ومكدر لصفائه . وان الغيبة شر ما يغرس البغضاء . ويقدح بالشرف ويخدش العواطف ويكشف عن رذيلة المغتاب

إذ يغفل عن عيوب نفسه ويذكر عيوب الناس . افلا تنظرون إلى هذا المثل الفائق في المطابقة في التنفير والتوبيخ والأحتجاج إذ يقول ايها المغتاب إن الذي تغتابه اخوك وان عرضه امانة عندك . وهو في غيابه كالميت لا يقدر ان يحمي شرفه وعرضه من لسانك . فلماذا تملأ فمك من غيبته وتنهش عرضه بانياب كلامك . او لست تكره ان تأكل لحم اخيك الميت . فلماذا تفعل مثل ذلك بغيبتك لأخيك الغائب : زدنا يا شيخ من هذه التعاليم الروحية المدنية

﴿ الشيخ ﴾ إن تعاليم القرآن بالأخلاق الفاضلة كثيرة تحتاج إلى عقد فصل لها بالأنفراد بعد ما نفرغ من تعاليم القرآن في الألهيات والنبوة

﴿ القس ﴾ يا شيخ . ألا تذكر لنا ما في القرآن من المعارف الألهية . وتبين من ذلك ما يحتاج إلى البيان . لكي ننظر فيما تذكره ونبحث عن الحقيقة

﴿ الشيخ ﴾ ها انا اذكر بعون الله ما جاء في القرآن الكريم من المعارف وما اورده من حججها بالنهج الواضح الذي يرتاح اليه الوجدان الحر . ويأنس به العامي والفيلاسوف — ولكن هل تسمحون لي بأن اجري على طريقتي الأسلامية في إحترام القرآن الكريم عند ذكره بتمجيده اللازم علينا . وان اقول عند تلاوته (قال الله جل اسمه)

﴿ القس ﴾ لا نمنعك ان تقول ما تقتضيه ديانتك . ولكن هل تريد منا ان نقبل منك كل ما تدعي أنه حجة واضحة . وهل تجبرنا على ان نعترف لك بمجرد قولك . اليس من اللازم ان تكون الحجة معلومة صالحة لان توصلنا إلى العلم بالشيء المجهول والدعوى المجهولة

﴿ الشيخ ﴾ لا بد من ذلك

(عمانوئيل) إني أرى بين اهل هذا القرن والذي قبله حججاً لازالت

تقلقني . لأني اجدها مبنية على تخمينات لا تبلغ اضعف مراتب الظن فيبنون عليها اموراً كبيرةً . ومع ذلك يسمونها (العلم) العفو يا شيخ فاني اقول بحريتي وحرية وجداني وحرية الحقيقة اني ارجو ان لا تأتينا بمثل هذه الحجج

﴿ الشيخ ﴾ . الا تذكر هذه الحجج وتبين وجه إنتقادك فيها . لكي نعرف انك تصيب بالأنتقاد . او انك تهجم على الحجج الصحيحة بدعوى الخلل . فاوضح ما عندك

مذهب داروين في اصل الأنواع

(عمانوئيل) يا شيخ . الست تسمع هذا الصوت العالي والدوي الهائل بين اهل العصر فيما احدثه « داروين » من مسئلة اصل الانواع . وتحول بعضها إلى بعض . ورجوع جميع انواع الحيوانات إلى اصل واحد . وكذا النبات . بحيث صار من المسلمات في هذه المسئلة ان الانسان متحول من القرد المتحول عن غيره — وحين إمتلئت اذناي بهذا الصوت وهذا الدوي قلت إن شرف العلم وناموس الفضيلة وحق الحقيقة وحفظ الشرف تقتضي ان يكون ذلك مستنداً إلى البراهين الكبيرة العالية المستندة إلى واضح الحس وبداهة الوجدان وعلم اليقين . إذن فلا يحسن للأنسان ان يجهل امراً يعتمد على هذه البراهين . . فتصفحت اقوال داروين وبخنر وغيرهما فى ذلك فرأيت الذي ذكروه لذلك من التشبثات اموراً

الأنتخاب الطبيعي

« الأول » الأنتخاب الطبيعي بدعوى ان الطبيعة لا زالت تنتخب الارقى فالارقى من صفات النوع إلى ان يتحول إلى نوع آخر وهكذا « وقال اصحابهم » إلى ان بلغ الأنتخاب إلى ارقى القرود ثم إلى الانسان الاسود.

ثم إلى الأبيض القوقاسي

﴿ اليمازر ﴾ داروين ولد سنة ١٨٠٩ وكل عمره ثلاث وسبعون سنة . فهل شاهد تحول الأنواع بعضها إلى بعض كتحول القرد إلى الأنسان . وهل شاهد كون الطبيعة تنتخب الارقى فالأرقى من صفات النوع من دون خضوعها للتأثيرات الخارجية التي تتجاذبها مرةً إلى التقهقر والانحطاط ومرةً إلى التحسين بحسب إستعداد المؤثرات وفعاليتها كما هو المشاهد بالتجربة . إذن فمن اين علم ان الأنتخاب والتحول سنة في الطبيعة وناموس في الأحياء . . ولو ان داروين شاهد التحول في بعض الانواع مراراً . وشاهد إنتخاب الطبيعة بدون المؤثرات السائدة بناموسها في العالم ونقل له بالنقل القطعي امثال ذلك مراراً . لما حسن منه في شرف العلم التجريبي ان يجعل ذلك سنةً جارية في الطبيعة في جميع الاحياء من مبدء نشئها . فان هذه المشاهدات والمنقولات في بعض الاحياء لو كان لها حقيقة ودامت مائة قرن . لما افادت في دعوى داروين اضعف الظنون الأستقرائية . فان من دون ذلك في قانون العلم وشرف الأدب عقبة لا يمكن عبورها . نعم . ربما يتوهم عبورها بطفرة الخيال وعدم المبالات بالمسؤلية . الا . وإن من تلك العقبات جواز ان تكون تلك المشاهدات وتلك المنقولات التي إفترضناها له إنما هي من تأثيرات روحية جارية على نواميس الخلق الخصوصي . حتى لو فرضنا الخلق الخصوصي الناظر إلى الغايات إحتمالاً تشكيكياً . فكيف به وهو الحقيقة الراهنة المتجلية للبرهان وبداهة الوجدان : ومن العقبات ان تلك المشاهدات والمنقولات التي إفترضناها له خيالياً يجوز ان تكون ناشئة من تأثيرات زمانها الخاص وان كان قروناً متعددةً . تصادف فيها إستعداد موجوداتها الخاصة مع المؤثرات المختص كيانها بتلك القرون . فمن اين يكون ذلك سنةً

جارية » فى الطبيعة

هذا كله لو فرضنا ان داروين شاهد فى قرون كثيرة ما افترضناه له . ونقل له امثال ما شاهد . ولكن من اين هذا الفرض ومن اين يكون خيال هذا الحلم : يا عمانوئيل هل كتب داروين شيئاً يستند اليه لهذه الدعوى الكبيرة المهولة

(عمانوئيل) قد رأيت كتاب داروين « اصل الأنواع » فرأيته يستند إلى تربية الحمام ودراسة احواله بعناية جمعيتين خصوصيتين فى لندن . وقد اشبع الكلام فى الكتاب المذكور فى جهات التباين بين اقسام الحمام . وصرّح بان التباينات بينها متنوعة إلى حد يسوق إلى العجب . ومع ذلك قال « ومهما كانت الفروق بين تولدات الحمام ذات شأن فاني على تمام الأعتقاد بانها متسلسلة من حمام الصخور « الكامباليفا » . . مع انه قال ايضاً « إننا لا نعرف من حمام الصخور سوى نوعين او ثلاثة انواع ليس لها شيء من صفات التولدات الأهلية » اي من انواع الحمام الأهلي . ثم قال « قد آنست من نفسي زمان إشتغالي بتربية الحمام ان صعاباً كثيرةً تحول دون الأعتقاد بنشئها عن اصل اولي معين . لكن جملة من الناس على إعتقاد تام بان التولدات المختلفة نشأت من انواع اولية معينة »

يا والدي إذا إستدل الأنسان بالوجدان والعيان على التباينات العجيبة بكثرتها . وانه ليس لحمام الصخور شيء من صفات الحمام الأهلي . فهل يسمح منه فى شرف العلم ان يطفر بالنتيجة إلى القهقري والعكس ويقول انواع الحمام متسلسلة من حمام الصخور . فانظر معرّب اصل الأنواع صحيفة ٦٧ إلى ٧٩ وهل من شرف العلم ان يقتنع الناس فى هذه الدعوى الكبيرة والنتيجة المعكوسة بقول داروين « إني على تمام الأعتقاد . جملة من الناس على إعتقاد تام »

ولو ان رجلاً إقتصر على فتواه بان انواع الحمام الأهلي متسلسلة من حمام الصخور . ويدعي العلم بزمان تأهلها وتشعب انواعها . والأطلاع على حالات إتصالها وتسلسل تولدها من تلك الحلقات ويكون ذلك بنحو الفتوى المقدسة ثم يفتي بعد ذلك بان جميع الاحياء تنتهى إلى اصل واحد لكان اهون عليه من ان يتعب القلم بذكر المقدمات التي تعاكس دعواه

﴿ اليمازر ﴾ ان الذي تساعد عليه التجربة والمشاهدة هو ان الانواع لها بحسب العوامل المرضية سنة التحسن والأنحطاط المحدودين بان لا تخرج افراد النوع عن صفته . ومن جملة العوامل تأثيرات الصقع والغذاء والتربية وغير ذلك ومنها ما هو سريع التأثير ومنها ما يبطئ لاجل منازعته مع تأثير العامل الأول . فان النسل الزنجي إذا تحول إلى بلاد القوقاس يبطئ تحسنه بمقتضى طبع الصقع إلى اجيال عديدة يتدرج فيها بالتحسن شيئاً فشيئاً . وقد يكون اسرع من ذلك بواسطة التزاوج . وكذا النسل القوقاسي إذا انتقل إلى بلاد الزنج فانه يبطئ إنحاطه التدريجي وقد يكون اسرع بواسطة التزاوج . وربما تكون تأثيرات بعض البلاد تتبدل في البلاد الأخرى إلى تأثيراتها في نحو جيلين . فقد شاهدنا رجالا مع نسائهم من بلاد سنتها علوّ مقدم الرأس على الجبهة وتثليث الرأس وهم على تلك السنة قد إنتقلوا إلى بلاد سنتها إستدارة الرأس واعتدال وضع مقدمه على الجبهة فاخذ نسلهم في هذه البلاد يتحسن بحيث يزيد الولد الثاني على الولد الأول في التحسن حتى صار الجيل الثاني على سنة هذه البلاد . وشاهدنا العكس ايضاً

ومن المعلوم ان للأقاليم تأثيراً تمتاز به في الألوان فانه لا يوجد في خيل بلاد العرب ما نصفه مثلا ابيض خالص البياض والباقي احمر او اشقراً

واسود كما يوجد بكثرة في بلاد الترك

﴿ القس ﴾ ويقول داروين في اصل الأنواع حسبما هو مذكور في تعريبه ص ٦٠ إن الدواجن الحالية قد وجدت صورها في بعض النقوش المصرية القديمة وما عمر من البقاع حول بحيرات سويسرا وإن هذه الصور لا تكاد تختلف مع تولداتها الحالية إختلافاً ما إنتهى كلامه . وهذا الأمر كما يدل على قدم المدنية وإقتناء الدواجن الأهلية فكذلك يكون من اقوى الأدلة على ان النوع لا تغير الأدوار الطويلة والتربية صفاته النوعية بالانتخاب الموهوم . نعم قد يقتضي التزاوج وبعض العوارض ان تتغير بعض صفاته تغيراً ما . ولكن بالتمادي على الاستقامة او زوال العوارض يردّه إلى صفاته الأصلية ناموس الوراثة النوعية بتقدير الله للتناسل فقد شاهدنا من تزاوج الحمام الأبيض والحمام الاحمر ان النسل الاول قد يخرج ملوّنا . ولكن النسل الذي يحصل بتولدات متعددة ترده الوراثة إلى لون واحد من اصوله . ومما يذكره التاريخ ان حمام الرسائل استعمل في حرب طراودة التي لها نحو ثلاثة آلاف سنة فهل وصل الأنتخاب الطبيعي بحمام الرسائل إلى زينة الطاووس اوقوة النسر ؟؟

وفي معرب اصول الأنواع ص ٢٦١ و ٢٦٢ لقد تكلمنا في الفصول الأولى من هذا الكتاب في التغايرات واثبتنا انها كثيرة متعددة الصور متنوعة الأشكال في الكائنات العضوية إذ تحدث بتأثير الايلاف . وانها اقل حدوثاً وتشكلاً إذ تنشأ بتأثير الطبيعة المطلقة وغالب ما نسبنا حدوثها للمصادفة العمياء على ان كلمة « مصادفة » إصطلاح خطأ محض يدل على إعترافنا بالجهل المطلق وقصورنا عن معرفة السبب في حدوث كل تغاير معين يطرء للأحياء انتهى وقال ايضاً ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وكثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكتناه دستور محكم نسترشد

يهديه في ظلمات هذه الأبحاث فقد لاحظ « جفروي » ان بعض التشوهات الخلقية الحادثة بالطبيعة كثيراً ما تتشارك في الوجود وان غيرها يندر تشاركها كل ذلك ونحن غلف لا نعرف سبباً ننسب اليه وجودها على تلك الحال . وأية حالة ابعد تشابكاً في حلقات صلاتها من تبادل النسبة التام بين بياض لون السنانير وصممها

﴿ عمانوئيل ﴾ يا سيدي فياليت هذه الاعترافات الحقيقية قد صدت داروين واتباعه عن طفرة الايمان الغيبي بمسئلة تحول الأنواع وتسلسها عن اصل واحد . بل كان يكفيهم ما يحدده الحس والشعور التاريخي من ان لكل نوع حداً وسطاً تتراوح عليه آثار التحسين والانحطاط بحسب اسبابها إلى حد محدود في الصورة النوعية . ويا ليتهم لم يتركوا الخيال قلقاً من اوهام الحلقات المفقودة دائم الأسف عليها كأنه أنس بها دهراً ثم اصبح ثاكلاً لها . وكم وقع الاساتذة في خجل الخيبة حينما خيل لهم الشوق المستعجل انهم وجدوا حلقة من حلقات الاتصال . كما تجد ذكره في الصحف . اما آن لاهل العلم التجريبي ان يسلوا هذا الفقيد الموهوم هب انا وجدنا في قاع البحار حجراً متضنياً تضنياً طبيعياً لاصناعياً ولا بناموس استحجار الحيوان . او وجدنا في شواطي البحار مادة جلاتينية تهتز بحركة حيوية لاميكانيكية فلماذا نطفر ونؤمن دفعة بأن هذه من حلقات الاتصال في تسلسل الانواع ؟ ثم ننظم سلسلة طويلة وهمية من حلقات وهمية لا تحصى ؟ ولماذا لانقول ان ماوجدناه نوع من الكائنات التي لا يحصي الاستقراء انواعها . ولا تتعدى عن نوعيته حتى يتجلى لنا بالحس تحوله إلى نوع آخر فنثبت ذلك في دفتر العلم التجريبي ونقف بشرف العلم على هذه التجربة حتى يتجلى لنا بالحس تحوله ايضاً إلى نوع آخر . وهكذا . فنتكلم كلاماً

علمياً تجريبياً

يا سيدي وفي معرّب اصل الانواع ايضاً ص ١٣٢ « ان التفريق بين التنوعات والانواع لا يصح إلا بشرطين « اولها » اكتشاف الصور الوسطى التي تربطها » يا سيدي فمن اين اكتشفت الصور الوسطى الرابطة في التحول . هل يكفي افتراضها خيالياً بتربية الحمام عشرين سنة : وايضاً ص ١٣٢ « ثانيها . معرفة مقدار التغايرات المحدودة التي تقع بينها » ولم يأت بشيء في هذا الشرط . بل قال ص ١٣٣ بعد كلام هو اعرف بمحصله في الحجة « بيد انا لا نفقه لها معنىً ولا نكشف عطاء إذا اعتبرنا ان الانواع قد خلقت خلقاً مستقلاً »

يا سيدي إذا قلنا ان الانواع خلقت خلقاً مستقلاً على طبائع تجري على نواميسها في مواليدها فهل يتعذر على العلماء درس طبايعها وعوارضها وما يلائمها وما يضرّها وما يصلحها فلا يفقه العلماء لها معنىً ولا يكشفون عن امرها بدرسهم غطاءً ؟ اذن فكيف درس العلماء طبايع الأحياء واعضائها ودوّنوا طبها وطبيعياتها قبل مذهب داروين . وهل قلب مذهب داروين نظرياتهم السابقة إلى طب داروني وطبيعيات داروينية قد بنى فقهها وكشف غطائها على ارتباط الأحياء بالتسلسل من نوع واحد . متى كان ذلك . اليس كلما في العلم من طب وطبيعيات انما هو من درس اولئك السلف من الاساتذة الذين لم يخطر مذهب داروين ببالهم . وعلى اساسهم بنى الخلف وترقى في اكتشافاته

ام يريد داروين ان التشابهات لايفهم لها معنى بالخلق المستقل للانواع . فهل يمتنع حصول التشابهات في الخلق المستقل . وهل بالقول بتسلسل الانواع الموهوم زاد فقهاً بالتشابهات وكشفاً لغطائها وفاق به القائلين بالخلق الخصوصي سواءً كانوا إلهيين او ماديين ؟

داروين والتنازع في البقاء لحفظ الصفوف العالية

﴿ اليعازر ﴾ ومما يجعلونه في إحتجاجهم على تسلسل الأنواع وتحولاتها مسئلة حفظ الصفوف العالية في التنازع في البقاء وارتباط هذه بمسئلة الانتخاب الطبيعي وقد اشبع داروين فيها الكلام

﴿ عمانوئيل ﴾ يا سيدي وهل ذكر في ذلك إلا ما هو السنة الجارية في الكائنات الحية من أن بعض الحيوانات يتغذّى ببعض . وبعض الحيوانات يعادي بعضاً آخر . وبعض النبات يحتاج في حيوته وترقيه إلى محل صالح يتمتع به في نموّه بحيث تضره في حيوته ونموّه مزاحمة النبات الآخر . وبعض النبات يكون سامًا للنبات الآخر . وبعضه يكون مصلحاً للآخر . وبعض انواع الحيوان يبيد . وبعض النبات يترقى ويتحسن بعناية الفلاحة . يا والدي ولتملأ الصحف من امثلة ذلك . لكن من اين يدل ذلك ان الغاية منه قصداً اوصدفةً إنما هو حفظ الصفوف العالية . ومن اين يجيء إتصاله بالانتخاب الطبيعي . وبأي وجه يرتبط بتسلسل الأنواع . السنا نرى اقسام السباع تقتل الانسان وتأكله وتعاديه . والحيوانات السامة كالحية والعقرب تعادي الأنسان وتقتله . وهذا المكروب بالاكتشافات الحديثة يقتل الانسان بالهاجمات الوبائية . او ليس الأنسان الذي منه العالم والفيلاسوف والقوقاسي هو اعلى صفوف الكائنات الحية . وقد شاهدنا في بعض البراري في امكنة كثيرة سواداً متراكماً في الأرض فقصدناه فوجدناه مشتملاً على قسمين من النمل . القسم الاصفر النحاسي الصغار والقسم الأسود الكبار الطيار ذي الأجنحة . وقد إجتمع النمل الصغار على الكبار بتهاجم كبير يتعلق بالنملة الكبيرة جماعة كثيرة من الصغار حتى تقتلها فكانت تلك القطعة مملوءةً من النمل الكبار ما بين اسير . وفي آخر رمق . وقتيل . ومأكول بعضه .

فهل كان ذلك لحفظ الصف العالي ؟ . وإن المنقولات من اصحاب الأحافير تفيد ان كثيراً مما وجدوه من الحيوانات البائدة هو من اعلى صفوف الحيوان فى كبر الجثة وإتقان البنية كما اودعوا صورها فى المتاحف . ودع عنك ما لم يعثروا عليه . فمن ذلك (البرونتوزورس) ويقدر طوله بخمسة عشر متراً . ومنه . (الديبلودوكس) ويقدر طوله ببضعة عشر متراً وعلوه بخمسة امتار . ومنه (مثلث القرون) من ذوات الأربع من نحو فرس البحر وقدروا طوله بثمانية امتار . وعلوه بمناسبتها في ذوات الاربع . ومنه (الميلودون) وهو عظيم الجثة هائل قدروه بانه يأخذ النخلة الكبيرة فيميلها اليه . ومنه (الكسلان) وهو قريب من الميلودون . ومنه (الموا) فى زيلاندا وهو طير قدروا علوه بنحو اربعة امتار واكثر . ومنه (دينوسور) زحاف مجنح عظيم هائل . ومنه (دينو سور) زحاف كبير قدروا طوله عشرة امتار وعلوه من قمة رأسه إلى إبهام رجله نحو خمسة امتار .

﴿ اليعازر ﴾ ومن الظرائف ان بعض الصحافيين والكتبة المتهمكين برأى داروين لما رأوا ان انقراض هذه الصفوف العالية من الحيوان قادح فى مذهب داروين فى التناحر فى البقاء قال انها انقرضت باسباب طبيعية إقتضاها الأنتخاب الطبيعي وحل محلها حيوانات اصغر حجما واضعف بنية ولكنها اقرب إلى حاجيات الناس إنتهى . وياليت هذا الكاتب يبين انه متى درس طبايع هذه الحيوانات المنقرضة فعلم ان الحيات . والعقارب . والسباع . والسمع المكلوب بطبعه هى اقرب إلى حاجيات الناس من هذه المنقرضة . ولما ذا لم تجتمع المنقرضة في الوجود مع ما هو اقرب إلى حاجيات الأنسان . هل تقول إن علم هذا الكاتب عظيم كحكمة الانتخاب الطبيعي وشعوره الراقي ؟

(عمانوئيل) ومن حججهم على تسلسل الأنواع ما يجدونه من المشابهة في بعضها لبعض كمشابهة بعض القرود لبعض اصناف الأنسان . هل ذلك لأنهم لم يأذنوا لصدفة الطبيعة العمياء ان لا توجد الانواع متشابهة فى بعض اجزائها ؟ او لم يأذنوا للخالق الحكيم بأن يخلق الانواع متشابهة لكي يدل على قدرته الباهرة بجمل التباين العظيم بين الأنواع في الخصائص الكبيرة والآثار العظيمة مع الاختلاف اليسير فى الأعضاء ؟ اتراهم لم يعطوا امتيازاً فى إيجاد الانواع إلا على نحو التسلسل ؟

ومن حججهم إن بعض الأعضاء لا فائدة فيها فهى اثرية فى هذا النوع المتحول قد بقيت من آثار النوع السابق الذي كان محتاجاً اليها . ومثلوا لذلك في الأنسان . بعضلات الأذن . والزوائد الدودية في المعاء الأعور . يا ساداتنا وهذا من ادهى الدواهي المعرقلة للعلم عن سيره فى البحث عن الحقايق واكتشاف اسرارها وإستخراج كنوزها . اما ان العلماء لاغيرهم يتمجدون بأعترافهم بان فى الكون حقائق كبيرة كثيرة لم يكشف البحث عن نقابها فهم يمدون يد السير فى العلم إلى رفع حجابها . فهل يجعل الجهل دليلاً علمياً ؟ من اين علم إن عضلات الأذن تنحصر فائدتها بالتحريك فلا فائدة لها في الأنسان لا فى تعديل وضع اذنه ولا فى حاجيات جهاز سمعه ؟ من اين علم ان الزوائد الدودية ذات الصمام لا حاجة لحيوة الانسان بها ؟ لماذا لا يظن ان العناية بحيوة الانسان قد وظفت الدودية بوضعها الخاص لأمر يعجز عنه الاعور البسيط . كما جعلت الاعور فى البط اطول مما تقتضيه النسبة مع باقي الحيوانات : يا ساداتنا هذه حجج اصحاب تسلسل الانواع . هل ترون قعقعتها تكون ظناً ولو من اضعف الظنون ؟ هل ينفخ فيها روح العلم قول داروين « بيدانا لا نفقه لها معنىً ولا نكشف عنها غطاءً إذا إعتبرنا ان الانواع قد خلقت خلقاً مستقلاً » ؟ ؟

(القس) يا عمانوئيل كأني ببعض المنهمكين بالمذهب الداروني يقولون لك في جواب كلامك وبحثك (عذرك جهلك) كما كتبه شبلي شميل لبعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع .

﴿ عمانوئيل ﴾ يا سيدي ان ناموس العلم قد ادّبني على ان اعترف بالجهل بكثير من الحقايق التي لا اهتدي لها سبيلاً بنور الحجة العلمية الكافية . وما نقص الانسان إلا بالجهل المركب ووهن الحجة ولئن قال لي قائل « عذرك جهلك » كما قيل لبعض العلماء الباحثين بتحقيق حينما اعيي القائل جوابه فاني ارجو من سماحة هذا القائل لي ان يعلمني ولا يضطهد الانسانية والعلم بهذا القول السهل على . . . والصعب على الشرف

مذهب داروين . ومزاعم الأعضاء الاثرية

﴿ القس ﴾ إنهم يتشبثون لمزاعمهم في التحول ببعض اجزآء الأنسان وبعض الأجزآء من كثير من الحيوان التي يسمونها « اثرية » كالعضلات الأذنية . وكالزوائد الدودية في المعاء الأعور . وكالثديين للذكور من كثير من الحيوان

(عمانوئيل) من اين علموا ان هذه الأجزاء لا حاجة فيها ولا عمل لها لا في حيوة الشخص ، ولا في بقاء النوع حتى انهم من اجل علمهم هذا حكموا بانها اثرية اي اثر باق من التحول عن النوع الذي كان ينتفع بها ؟ من اين علموا ان فائدة العضلات في البدن منحصرة بالتحريك لكي يقولوا ان الأنسان لا يحتاج إلى تحريك اذنيه فيستنتجوا من ذلك ان عضلات اذنه اثرية باقية من تحوله عن الحيوان الذي يحتاج إلى تحريك اذنيه ؟ إذن فما ذا يقولون في العضلة الهرمية على عظم انف الأنسان . والعضلة الضاغطة للأنف . وما ذا يقولون في عضلات الحيوة الآلية التي لا تتعلق بالارادة والتحريك كالتي تكون في الحوصلة المرارية والقناة

الصفراوية المشتركة . وفي كؤوس الكلية . وحوضها . و[illegible]
طبقات الشرايين . والأوردة — وماذا يقولون في العضلة [illegible]
الموضوعة على الوجه الظاهر للطبقة المشيمية للعين . وفي العضلة الركابية
في باطن الأذن

واما العضلات الخاصة بالحيوة الأرادية التي يسمونها عضلات الحيوة الحيوانية فان جملة كثيرة منها ليست لأجل موافقة الارادة بتحريك العضو بل هي لارجاع العضو إلى وضعه او مركزه بعد تحريكه بالارادة او بالقسر . وذلك كالمحيطة الجفنية . والشادّة للجفن . والخافضة للانف . والعضلة الباطنة للأضلاع

ولماذا لم يحتملوا او يظنوا اقلاً ان الفائدة في عضلات الأذن الكبار والصغار هو حفظ مركز الصماخ وصورته عند ما تطرء عليه الحركات القسرية فتكون بانقباضها الطبيعي بمنزلة المرونة التي ترد الجسم المرن إلى مركزه وصورته كالعضلات الباطنة للأضلاع — هب ان العلم ساعدهم في جميع ذلك فلماذا لم يقولوا ان عضلات الأذن جزء لافائدة فيه كما قالوه في الغدّة الدرقية وبعض الغدد الوحيدة . ولماذا يحكمون بانها اثرية انها كاً بمذهب داروين — اوليس الواجب في شرف العلم ان الجزء الذي لا نعرف فائدته يوكل امره إلى مستقبل العلم التجريبي عسى ان يوقف الناس في معرفة فائدته على قدم ثابتة . فانه يوجد في مركز الشبكية عند النقطة التي تقابل محور العين اثر مستدير مرتفع مائل إلى الصفرة يقال له بقعة « سومرين » وفي مركز الاثر انخفاض يقال له الحفرة المركزية . وإلى الآن لم تعرف فائدة هذا الأثر

الزوائد الدودية في المعاء الأعور للانسان

ومن اين علموا ان الزوائد لاحاجة للأنسان إلى وضعها الخاص في جهاز

هضمه حتى حكموا بانها اثرية من طول المعاء الأعور فى سائر الحيوانات قد خرجت عن وضعها الطبيعي لاستغناء الانسان عن مقدارها من الأعور

فكأنهم لم يعرفوا تفاوت الحيوانات الفقرية في جهاز الهضم بحسب حاجاتها الخاصة فى طبيعتها النوعية . فالحيوانات المجترة جعل لها الكرش بدلاً عن المعدة وهو وعاء عظيم بالنسبة إلى المعدة من الانسان خشن صلب ويليه بطون اخرى صغار من فوق الى تحت مضاعفة الحجب والصفاقات والسبب فى كثرة بطونه احتياج هذا الحيوان لزيادة الهضم فان نهمته وكثرة اكله لاتدعه يمضغ مأكوله جيداً حينما يظفر به وهذا عمله في اكله الرطب واليابس فتخزن هذه البطون مأكوله وتهضمه ليعيد عليه المضغ بالأجترار عند استراحته . ومعاء هذا الصنف من الحيوان اعظم من معاء مالا يجتر مع حفظ النسبة بين الحيوانين في مقدار الجسم — والفيل ليس له كرش ولا معدة بل له معاء كثير التشبك والألتفاف وبعده معاء الدفع . وبعض الحيوانات لها مرارة وبعضها ليس لها مرارة قيل ومنها الأبل والبغل والفرس . وبعض الحيوانات الفقرية ليس لها طحال . وبعض الطيور لها حوصلة لهضم الشيء الصلب . وبعضها له بدل الحوصلة فم معدة واسع عريض . وبعضها له حوصلة وفم معدة . وبعضها لاحوصلة له ولا فم معدة بل له معدة مستطيلة . ولكثير من السمك والطير شعب تتشعب من معاها . والمعاء الأعور من البط طويل بحسب نسبته مع باقي الحيوانات وقيل ان قسماً منه يكون اعوره اطول من سائر البط

ياسيدي ولما كانت وظيفة الأعور هضم مايقذفه اللفائفي وتطهيره من المواد المضرة المحتاجة إلى الهضم لكي يقذفه إلى القولون خالصاً من تلك المواد

فتمتص منه الاوعية كيلوساً نقياً فربما كانت الزوائد الدودية تناول من الاعور مايعجز عن هضمه بسرعة فتهضمه ببطءها وضغطها له . وربما تكون مخزناً للافرازات المضرة إلى ان تتكسر ماديتها ثم تقذفها إلى المستقيم فى نوبة لايندس منها شيء في اوعية الغذآء وان صمام الزوائد وان كان ناقصاً يشهد بان لها عملا كبيراً وإنها نشؤ ابتدآئي فانه ليس فى المعاء الاعور في غير الأنسان الاصمام واحد فى اوله وان صمام الزوائد يرد القول بكونها أثرية فانها إن كانت جزءاً من الأعور قد خرج عن طبيعته فمن اين جاء الصمام — بل ان غلظ جدرانها يشهد بان لها عملا كبيراً فان كل معاء يكون اكثر عملا يكون اغلظ جدراناً — بل ان كثرة الغدد الوحيدة فيها كالأعور تشهد بان لها عملا تحتاج لأجله الى وجود الغدد وإمتصاصها

وإذا كانت الزوائد الدودية خرجت عن حالها الطبيعي فلماذا توجد فيها جميع اوعية الحيوة العضوية على الوجه التام كما فى الأعور وساير الأمعاء . ولماذا لم تخرج هذه الأوعية عن حالها الطبيعي — هب انا جهلنا فائدة الزوائد فى حيوة الأنسان فلماذا نقتحم وننفي فائدتها ولا نرجوا كشفها في مستقبل العلم إذا لم يعرقل فى سيره ولماذا نقتحم دعوى الأثرية فيها مع انا نرى التفاوت والأختلاف الكبير في اعضاء الحيوان وخصوص جهاز هضمه بحسب حاجاته . فهل يمتنع في نظام الأعضاء واعمال الهضم ان يحتاج الأنسان إلى وضع الزوائد الدودية

اثدآء الذكور

ومن اين علموا ان فائدة الثديين منحصرة بالرضاع منهما فتكون فى الذكر اثرية باقية من التحول عن الانثى . هب انهم علموا ان اثدآء

الذكور لافائدة فيها اصلاً فلماذا لم يقولوا انها من اجزاء الحيوان الزائدة كما قالوه في غيرها . وكيف جزموا بانها اثرية . من ذا الذي وماذا الذي اعلمهم بانحصار فائدة الاثداء في الارضاع ؟ الا . وانا نجد لها في اثداء الأنسان مظاهر تدل على ان لها مداخلة كبيرة في بقاء الفرد والنوع . منها . انها تعصر من الأطفال الذكور والاناث في ايام ولادتهم فيخرج منها سائل كثير يشبه ماء العنب . وهذا يدل على ان غدتها تمتص افرازات كثيرة لكي تعمل فيها اعمالاً حيوية . . ومنها . انها تهيج في ذكور الانسان عند بلوغهم وابتداء نشو المادة المنوية فتكبر الغدة ويلوح التغير على لون الحلمة والهالة ثم تتراجع عن تهيجها تدريجاً بعد ما يأخذ مني الذكر بالانفراز بالأحتلام او الجماع . وهذا يدل على مداخلة كبيرة للاثداد في مادة التناسل وانها من جهازه . ومما يدل على ذلك ايضاً ما عرف من حال المخصيين في طفوليتهم حيث ذكر جملة منهم انهم وصلوا الى سن البلوغ وتجاوزوه ولم تظهر هذه المظاهر على اثدائهم من التهييج وغيره

ومما يدل ايضاً على ارتباط الثدي بجهاز التناسل والولادة ان الأنثي إذا لم يظهر ثدياها على مقتضى الطريقة العادية تكون عقيماً لا تلد . وفي ماذكرناه كفاية . بل قيل ان بعض الذكور قطعت اثدائهم بعمليات جراحية فانقطع نسلهم . فهل انت يا شيخ تأتينا بمثل هذه الحجج في دعاويك

﴿ الآلات الحجرية الصوانية ﴾

﴿ الشيخ ﴾ وايضاً قد وجدت في الحفريات في طبقات الأرض قطع كثيرة من الصخر تشبه في الوضع والهيئة بعض الآلات الحديدية كالفؤس والمناشير والسكاكين واسنة الرماح ورؤس السهام فجزم الناس بلا

ريب بانها آلات من صنع البشر قد صنعوها لأجل غايات مقصودة لهم في اعمالهم ونسبوها لعصر خاص كانت هى آلاته قبل إيجاد الآلات الحديدية وسموه العصر الصواني . مع ان هذه القطع التى وجدوها لم يرها احد مستعملة فى غاياتها — فلماذا لا يقول الناس ان هذه القطع بهيئاتها الخاصة انما هى من اعمال النواميس الطبيعية بسبب تأثيرات عوامل الأستحجار المقرونة باوضاع معداتها التى تنتج هذه الهيئات الخاصة . كما هو في صغار الصخور والصوّان التي يكثر فيها ان تكون على اشكال هندسية . كالمسطح المستدير . وما يكون مثل نصف الدائرة . او قطعة منها . وكالمخروطي بقاعدة هلالية او كنصف دائرة مع التناسب فى سمكه . وكالكرة . والشكل البيضي . والأسطوانة بقاعدة هى كنصف كرة او قطعة منها . إلى غير ذلك من الاوضاع والهيئات . وقد شاهدنا في سوق « سامرّا » ملح طعام مؤلف من قطع صغار هى كاظرف مايكون من اوضاع الاواني الزجاجية باشكال هندسية متناسبة المقعر والمحدب في السمك والوضع تكون مثمنةً ومسدسة وغيرها وربما يتدرّج تقعيرها وتحديبها بدرجات متناسبة محفوظة الوضع

إذن فمن اين علم الناس ان هذه القطع التي وجدت فى الحفريات هى آلات صنعها الانسان لأجل غايات مقصودة له . هل رأى احد ذلك بعينه . هل رءاها بخصوصها مستعملة فى تلك الغايات . اوليست هذه الدعوى مثل دعوى تحول الانواع لاحجة لها إلا التخمين

﴿ دلالة المصنوعات على إرادة صانعها وعلمه بالغايات وقصده لها ﴾

(عمانوئيل) لا يا شيخ . هذا لا يشبه ما ذكرناه من مسائل التحول . ان الانسان إذا رأى الوفاً من هذه القطع الكثيرة جارية على ناموس واحد فى الصلاحية للغايات فانه يجزم بعلمه حسب الفطرة السليمة

والوجدان الحرّ بانها مصنوعة بالأختيار لأجل غاياتها . وان الذي ذكرته من اسباب الشك لا يعده العقلاء إلا سفسطةً ساقطة . لا تقف امام علم اليقين . ألاترى عقلاء العالم ممن رأى هذه القطع او سمع بها لا يزالون ثابتى الأعتقاد بانها صنعت إختياراً لأجل غاياتها وإن لم يرها احد مستعملة فى تلك الغايات

﴿ الشيخ ﴾ ماذا تقول ايها القس فى هذا الذي قاله عمانوئيل ؟

(القس) إنه تحقيق فائق وإيضاح للحقيقة . وبيان لما عليه البشر في امورهم . فان جميع الأفعال والموجودات والمصنوعات حتى كلام المتكلم لا ميزان ولا طريق لليقين في معرفة كون الصادر منها صادراً عن إرادة الموجد وشعوره وحكمته فى قصده الغاية فى إيجادها إلا هذا الميزان وهذا الطريق الذي قاله عمانوئيل . وانه لغريزة فطرية في البشر . فان الطفل والشاب والكبير فى جميع العالم يعزون ببداهة هذا الميزان العادل والطريق الواضح المستقيم . وان كل موجود يرتبط وضعه واجزائه وتركيبه بالمقاصد والفوائد فان ما يعرف منه من هذا الأرتباط يكون بالبداهة دليلاً على انه صادر بإيجاد موجد مريد . له علم بالفائدة والغاية وقد اوجده بحكمته لأجل تلك الغاية — وكلما كثر إرتباط الوضع والتركيب والترتيب بالغايات زادت دلالته على علم الموجد وحكمته وضوحاً وسناءً . إلى ان تصل إلى حد لا محل فيه لأختلاج الشك والتشكيك فضلا عن الجحود القبيح الذي لا يكون إلا ممن له غرض فاسد وليس له شرف او حياء رادع

﴿ اليعازر ﴾ الموجد وغيره يخبرنا بان ما اوجده اوجده عن ارادة وعلم بالغاية وقصد لها . فلا يكون الميزان هو ما ذكره غبطة القس وعمانوئيل

﴿ القس ﴾ نقول لك (اولاً) إن جميع البشر يعلمون من الاشياء والمصنوعات الموجدة لأجل الغايات ان موجدها اوجدها بعلمه وحكمته لأجل غاياتها من دون ان يخبرهم احد بذلك . كما في الآلات الصوانية المذكورة وغيرها مع انهم لم يروا موجدها ولم يخبرهم احد سمع من موجدها . مع ان العقلاء على يقين لا يشوبه شك بأنها اوجدها موجدها لأجل غاياتها (وثانياً) باي ميزان تميز ان هذا المخبر الذي تذكره قد تكلم بخبره عن شعور وإرادة التفهيم وقصد للغاية . ولم يتكلم عن هذيان ومرض دماغي عرض له إذن فكيف يحصل لك العلم بقصده للتفهيم والأعلام من كلامه . او ليس لانك تجد كلامه منتظم التركيب مرتبطاً بالغاية ؟ وبعد ذلك يبقى في اخباره لك إحتمال كذبه فمن اين يحصل لك اليقين ؟ ! — يا اليعازر — ليس لك في اليقين بمعرفة قصد الموجد للغاية وعلمه بها إلا ما ذكرناه من الميزان والطريق — فعليك به — تكن من المهتدين

مقدمات إحتجاج القرآن على وجود الخالق العليم

﴿ الشيخ ﴾ احفظوا لي انت والعقلاء مثل هذا من العلم اليقين بحسب الفطرة السليمة والوجدان الحر على الميزان والطريق المذكور واني اجعله (المقدمة الأولى) لأحتجاج القرآن الكريم على وجود الخالق العليم وهو (الله) جل شأنه وعظم سلطانه

﴿ عمانوئيل ﴾ لابد من ان نحفظه لك وإن كابرناك فيه فان الحقيقة تحفظه لك وشرف الأنسانية والعلم يشهد لك!

المقدمة الثانية

﴿ الشيخ ﴾ (المقدمة الثانية) ما برح الانسان من إبتداء شعوره إلى آخر امره يبحث عن علة الكائن وينظر فيها ويستنتج منها نتائجه .

بوية طبيعي عليها في جميع اموره حتى ان الطفل إذا سمع جلبة اوصوتاً غريبًا فانه يدير نظره ويتجسس عن علته لكي يستنتج منهـا نتيجة في رجائه او حذره . وكذا الحيوان — بل ما سار العلم والتمدن سيرها وبفيها رقيها إلا على النهج الفطري بالنظر إلى علة الكائن وغايته لكي تستفاد الفوائد الكبيرة في المنافع ودفع المضار من معرفة العلة والغاية

﴿ عمانوئيل ﴾ اقول لحضرة سيدي القس وسيدي الوالد ان هـذا الذي تقوله طبيعي للانسان وضروري له في جميع اموره

المقدمة الثالثة

﴿ الشيخ ﴾ ما برح الانسان ايضاً في اجياله واحواله محتاجاً إلى شريعة ينتظم بها اجتماعه في المجتمع الانساني . والمملكة والقطر والشعب والقوم والعائلة والبيت . ولم يزل ولا يزال حسب ما يقتضيه الأمكان والهمة والاقتناع يطلب شريعة تقرب من الصلاح والعدل والأرتباط بالمصالح النوعية والشخصية . مع علمه بان الشرائع البشرية مهما اخذوا فيها بالتدقيق ومن آراء العقلاء ورعاية الأكثرية فهي غير ضامنة لدوام الصواب فان كل احد يعلم ان علم البشر ومبلغ عقولهم مهما كان فهو محدود قد يكثر فيه الخطأ الكثير . مع ان بعض البشر غير مبرئين عن مداخلة الأهواء والتعصب في التشريع وغيره . فاذا احتمل الأنسان ان له سبيلاً ممكنـاً إلى تشريع مشرع كامل محيط علمه بجميع الأمور ولا يخفى عليه شيء وهو مقدس من كل هوى وعصبية فان عقل الانسان وشوقه إلى صلاحه يلزمانه بالسعي إلى طلب هذا التشريع المقدس ولزومه

المقدمة الرابعة

وايضاً لم يزل الانسان ولا يزال محتاجاً إلى تعلم الاخلاق الفاضلة التي يتروج بسببها بكماله ويفتخر بها ويحل بها المشكلات في حفظ شرفه وحسن

إجتماعه مع ابناء جنسه طالباً لدرس هذه الأخلاق ومعرفتها لكي يتحلى بجميلها حينما يستغفل اهوآئه الشخصية . وهو يعلم ان البشر معرض للجهل والأهوآء والتعصب والتقليد . وبمقتضى الطبيعة البشرية لا يوجد فيهم من هو كامل في جميع اخلاقه عارف حق المعرفة بجميع مكارمها لكي يتجمل بها ويجري عليها في مواضع اجرآئها . وعارف حق المعرفة بجميع الاخلاق الردية لكي يتنزه عنها ويحاذر من وبال آثارها . فاذا علم الأنسان ان له سبيلاً ممكناً إلى تعلم الاخلاق من كامل مقدس من كل وجه عالم بحقيقة كل شيء فان العقل وشوق الأنسان إلى صلاح نفسه يلزمه بدراسة علم الأخلاق في مدرسة هذا الكامل المقدس ويحتمان على الأنسان بتطلب هذه المدرسة ويحذرانه من تلوثه برذيلة التعاليم المخالفة لها

المقدمة الخامسة

وايضاً لم يزل الأنسان ولا يزال منذ مبادي شعوره متحرزاً من الوقوع في المضرة المحتملة طالباً للاطمئنان بالسلامة منها . حتى ان الطفل يجري ايضاً على هذا الناموس كما هو ظاهر . ولا يبقى الانسان مقدما على احتمال المضرة إلا ان يكون له هوىً يغلبه او حاجة لا يعتني العقلاء معها بتلك المضرة او باحتمالها . واما المضرة العظيمة التي لا يوازنها شيء ولا يوازن خوفها فان الأنسان مطبوع على عدم التقحم في خوفها وعلى عدم الأستراحة إلا بالاطمئنان بالسلامة من وبالها وبالأمن منها

المقدمة السادسة

هل ينكر احد ان اقطار العالم باسرها قد إمتلئت بالدعوة إلى الله جل شأنه وعظمته . وهو واجب الوجود . خالق العالم . ومدبر امره . والعالم بكل شيء . والغني الحكيم المقدس . شارع الشرايع وقوانين الصلاح .

ومعلم الأخلاق الفاضلة . والزاجر عن الرذائل ومواد الفساد والشر . والمتوعد بحكمته على جحوده ومخالفة اوامره ونواهيه وتعاليمه مهدداً بالعذاب الشديد . هل ينكر احد عموم هذه الدعوة على الاقل فيما بعد زمان موسى عليه السلام . كلا . بل إن الوثنية من اول امرها ناظرة إلى هذا الأساس لكنها غلطت بتأليه المخلوق وما يترتب على ذلك من المفاسد — هذا مع ان العقل فضلاً عن هذا النداء يجوز ما ذكرناه في المقدمات إبتداءً ومن دون نداء بها . فيرى الانسان نفسه مهددة بفوات المصالح اللازمة وبالوقوع في المضار التي لا صبر له عليها

﴿ عمانوئيل ﴾ يا شيخ قد اكثرت في إيضاح امور واضحة تشهد بها الفطرة . وقد اكثرت إشتياقنا إلى غرضك من هذا البيان والأيضاح

﴿ الشيخ ﴾ الغرض من ذلك ان نوضح ان القرآن الكريم إحتج على الألهية بحجة اشار فيها إلى هذه المقدمات التي لا ينبغي للانسان ان يغفل عنها مع انها مكشوفة له بحسب الفطرة والوجدان وعمله في جميع احواله . واتم القرآن احتجاجه ببيان الدلالة على ان موجد العالم وعلته عالم بالغايات قد اوجد الكائنات لأجل غاياتها على الحكمة الباهرة والنظام الفائق ونبه على جميع المقدمات بالانكار والتوبيخ على الشك الذي لا محل له مع هذه المقدمات الواضحة الوجدانية والمشاهدات العيانية . فقال جل وعلا في الآية الحادية عشر من سورة إبراهيم المكية (أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) ولماذا يشك الانسان . فهل يصح له ان يبقى على شكه لانه اعرض بجهله عن النظر وطلب الحقيقة في امر المعرفة . كيف يعرض وهو مهدد بالعذاب الألهي . وبفوات مصلحة الشريعة الألهية ومصلحة تهذيب اخلاقه وتكميله . أو ليس من الضروري الفطري انه لا ينبغي لذي رشد ان يستقر على خوف الضرر

العظيم حتى يأمن ويطمئن بنتيجة النظر الصادق . وليس النظر فى هـذا الشأن محتاجاً إلى نظم مقدمات واقيسة متعددة كما ينظر الأنسان فى صحة اشكال المقالة الثالثة من اصول الهندسة لأقليدس . لا . وكلا . بل ان مقدمات هذا النظر مكشوفة لعيان الانسان ووجدانه فى جميع احواله باوضح إنكشاف يرغم النفوس الحرّة على الاذعان بالحقيقة ـــ فهل يغيب عن الانسان ما يشاهده بالعيان ويعرفه بعـلم اليقين من عالم السماوات والارض وما فيها ووجود نفسه ونوعه وسائر الانواع فكم يرى فى العالم من شيء موجود بعد عدمه على اتقن صنع واحسن نظام تبهر العقول حكمته . ويعجز العـلم عن إحصاء غاياته الشريفة . وهـل تغفل الفطرة والوجدان الحر عن الحكم بان هذه الأشياء الحادثة لا بد لها من موجد منزه عن الحدوث والحاجة إلى من يوجده . وحينما يشاهد الأنسان هـذه الموجودات المستعملة فى غاياتها العظيمة باوضح ما يشاهد من الاستعمال البـاهر بجماله وإنتظامه فهـل تغفل فطرته ووجدانه الحر عن اليقين بان موجدها لابد ان يكون عالماً بهذه الغايات قد اوجد الموجود بنحوه الخاص به لكي تترتب عليه غايته الخاصة . وهل يكون الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم غير الله ؟ فان لفظ الجلالة (الله) إسم خاص لذات الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم ـــ يا اصحابنا وإذا كانت بداهة الفطرة تشهد بان القطع الصوانية التى ذكرناها هى آلات صنعها صانع مختار لأجل غاياتها كما قلتم سابقاً مع انهـا لم يشاهدها احد مستعملة فى غاياتها فهذه اجزاء العالم المستعملة فى غاياتها على اوضح حكمة وإتقان كيف لا تشهد الفطرة والوجدان بانها صنع صانع عالم بالغـايات قد صنعها لاجل غاياتها . وكيف لا تشهد الفطرة والوجدان بان هذه الاشياء الحادثة فى الكون لا بد لها من ان تكون محتاجة إلى موجـد

منزّه عن الحدوث والحاجة

(عمانوئيل) يا شيخ إنا متدينون مقتنعون بهذه الأمور نراها حق اليقين . ولكن للماديين فيها معارضات . فليس من الجيد في التدقيق ان نخوض فيها وحدنا . بل لابد من ان نحضر معنا من يحامي عن المذهب المادي لكي يقول ما عنده وتقول ما عندك في إيضاح الحقيقة لكي تنجلي ظلمات الأوهام عن صبح اليقين

﴿ الشيخ ﴾ يا عمانوئيل إن جميع ما يتشبث به الماديون غير خفي عن امثالك فلماذا لا تمثلك محامياً عنهم

﴿ عمانوئيل ﴾ إن بعض دعاويهم وإنكاراتهم لا يدعني شرف وجداني ان اذكرها بصورة الجزم واحامي عنها فالأحسن حضور احدهم ليبين ما عندهم فان كثيراً منهم يجاهر بما عندهم . ولكن يا شيخ يلزم ان يكون من نحضره له إلمام بنواميس العلم وقوانين الحجة وموازين الاستدلال لا من الجديديين الذين غاية حجتهم كتب المستر فلان وخطب المسيو فلان . وقال الدكتور فلان . وذكرت جريدة المقتطف . ونقلت مجلة الهلال . ولا يعرف في مقابلة الحجة الواضحة إلا ان يقول هذه حجة من العقل العتيق . شعوري المتنور لا يقبلها . هذا عصر الرقي والتنور . لا اعرف الأمكان والأمتناع ولا الدور . هذه خرافات قديمة . الشعور الراقي لا يحتاج في حجته إلى موازين الأستدلال . فاللازم ان نختار مادياً من اهل العلم يراعي في كلامه شرف فضيلته

(القس) إني اعهد دكتوراً كما تريدون فنتلوه

(عمانوئيل) مثلنا الدكتور فقلنا له ايها الدكتور الا تسمع ما يقول الشيخ ويذكره من إحتجاج القرآن على الالهية ضد المذهب المادي

﴿ الدكتور ﴾ اذكروا لي ما يقوله الشيخ بنصه ولفظه لننظر فيه فان

الحرّ من لا عداوة له مع الحق بل من يكون الحق قرة عينه وضالته التي يطلبها لكي يتشرف علمه بفضيلة الصواب ويبتهج برقيه في درجات الحقيقة

﴿ عمانوئيل ﴾ ذكرنا كل ما ذكره الشيخ بنصه ولفظه

﴿ الدكتور ﴾ اما ما ذكره الشيخ في المقدمة الثانية فهو مسلم بالبداهة وعليه فطرة البشر كما ذكر . وبالنظر إلى علة الكائن سار العلم سيره ورقى رقيه وكذا ما ذكره في المقدمة الثالثة والرابعة والسادسة ولا يمكن ان ننكر ما ذكره في المقدمة الخامسة من النداء في العالم باسم الأله وشريعته وتعليمه دروس الأخلاق الفاضلة وتهديده على جحوده ومخالفته . ولكن يا للأسف ان العلم لم يوصلنا إلى معرفة هذا الأله الذي يذكرونه ولم يدلنا على لزوم وجوده لكي نبحث عن مدرسة شريعته وتعليمه الأخلاق فلذلك امنا من خوف النداء المذكور في المقدمة الخامسة

﴿ الشيخ ﴾ ايها الدكتور إن مكالمتنا مؤسسة على الحرية المطلقة في سبيل الحقيقة وكلامك هذا مجمل فاوضح لنا مرادك بالصراحة لكي تجري مكالمتنا على الطريق الواضح والنهج الهادي فاجب بالصراحة . هل العلم اوصلكم إلى نفي الأله فصرتم تعللون الكائنات بما ليس بأله او كما قلت ان العلم لم يدلكم على وجود الأله فوقفتم موقف الشك بحيث لا تدرون بم تعللون الكائنات في مبدئها

﴿ الدكتور ﴾ إذا اردت المجاهرة فان العلم اوصلنا إلى نفي الأله الذي تقولونه فصرنا نعلل وجود الكائنات بحركة المادة الأزلية

﴿ الشيخ ﴾ إذن فحاصل كلامكم إن العلم اوصلكم بدلالته إلى اليقين بنفي الأله الذي نقول به واوصلكم إلى ازلية المادة وحاصل كلامنا ان العلم

اوصلنا إلى وجوب وجود الأله وإن المادة لا يمكن ان تكون إلا حادثة مخلوقة للأله . إذن فعلى كل من الألهي والمادي ان يقيم الحجة على دعاويه لكي يعرف ما يوصل اليه العلم الحقيقي وقبل الخوض في ذلك قل ما هى المادة الأزلية التي اوصلكم العلم اليها واوقفكم في التعليل عليها

﴿ الدكتور ﴾ ان العلم السيار لم يقر قراره فى حقيقة الماده حتى إلى الآن فان المعروف عن ديمقراط ان المادة هى الجواهر الفردة وهى الأجزاء التي لا تتجزى وليس لها الا اشكال هندسية ولكن العلم رفض القول بان لها اشكالاً هندسية لانه يناقض كونها لا تتجزى فان الذي له شكل هندسي لابد ان يتجزى ولذا قال المحققون من اهل العصر ان الجواهر التي نقول بها هي اصغر من جواهر ديمقراط جداً

﴿ الشيخ ﴾ لا احب قطع كلامك من مجراه ولكن هنا كلمة ينبغي ان يؤسس تذكارها وهي ان العلم قد اقام براهينه التي يرجع تقريبها إلى نحو التجربة الحسية للدلالة على ان الكائن المادي مهما بلغ من الصغر فانه لابد من ان يكون له طرفان على الأقل وبذلك يصحح العقل قسمته وتجزئته وإن تعسرت بالآلة الخارجية فيراه العقل مركباً فى المقدار لا ينفك عن الشكل الهندسي ألا ترى إنك إذا جعلته فاصلاً بين جسمين يمسانه فلابد ان يختص كل منهما بماسة جانب منه ببداهة الوجدان فيتبين انه ينقسم بين جانبيه فيبطل كونه لا يتجزى . ولهذا ونحوه من البراهين الوجدانية قال بعض كتابكم المحامين عن وجود الجواهر الفردة « ان كون الجواهر الفردة لا تقبل القسمة هو الأمر الذي لا يعقل كلا وإنما لو إنقسمت لزالت خصائصها الجوهرية » وعد ايها الدكتور إلى مجرى كلامك

﴿ الدكتور ﴾ قدكان « لوسيبوس . وابيقورس » يقولان ان الجواهر

الفردة تسبح بحركتها في الخلاء ولكن لما رأى بعض العلماء ان الفراغ مستحيل في الطبيعة فرضوا ان تلك الجواهر تسبح في مادة لطيفة او غاز اخف من الهوآء او سائل تام الأتصال مالئ للخلاء سموه الأثير تتحرك فيه الجواهر التي هي اجزائه حركة الزوابع (١) في الهوآء الهادي ومن احوال اجتماعها بالحركة وافاعيلها تظهر صور الكائنات وهذه الجواهر في الرأي القديم هي ازلية ابدية لم تحدث بعد العدم ولا تتلاشى ولا تنعدم وانما تخفى بتفرقها هذا ولكن الرأي الجديد حسب اكتشافات العالم الشهير الفرنساوي (غوستاف لبون) الرأي ... على المشاهدة والأختبار بحيث وافقه اكثر علماء اوروبا ولم يثبت امام النقد العلمي إلا نظرياته وهو ان المادة قوة متكاثفة وان المادة ليست ابدية بل تتلاشى بانحلالها الى القوة كما ان الراديوم وما شاكله من المواد تتلاشى بارسال ذرات صغيرة تفلت منها ذات سرعة عظيمة تكون قوة تكهرب الفضاء في التلغراف اللاسلكي : والقوة ايضاً تنحل إلى الأثير كما ان المادة ليست ازلية بل إن الأثير تكاثف في الازمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة — فان لم تكن المادة والجواهر الفردة ازلية كما هو الرأي القديم فالأثير على الرأي الجديد هو الازلي وإلى هذا الأزلي ينتهي تعليل وجود الكائن فلا حاجة إلى التعدي عن الطبيعة إلى فرض وجود الأله — وايضاً فان العلم العصري لايسمح لنا بان نؤمن بوجود غير منظور

﴿ الشيخ ﴾ ايها الدكتور ابي ابدء بالتعرض لكلماتك الاخيرة اعني

---

(١) الزوبعة في إصطلاحهم اسرع الرياح جرياً وقدروها بما يجري في الثانية ستين قدماً وقد تجري في الأقاليم الأستوائية ٣٠٠ قدم . والنسيم مايجري عشرة اقدام في الثانية

قولك « فان العلم العصري لايسمح لنا بأن نؤمن بوجود غير منظور » الا . وإن هذه الكلمة مما يتبرء منه العلم العصري وشرف الانسانية . كيف يقول ذلك انسان اوليس جميع العالم مذعنا بوجود القوة الكهربائية فهل هي منظورة . اوليست مشاهدة اعمالها وآثارها فى الجذب والدفع والتحريك كافية في الاذعان بوجودها مع ان العلم لم يأخذ قراره فى ماهيتها في القديم انها كائن مقابل للمادّة كامن فيها يهيج باحد الهيجات المقررة . وفى الجديد انها مرتبطة في المبدء بالمادة تتولد من انحلال المادّة اليها باحد الأسباب المقرّرة كما انها تتكاثف وتكون مادّة . هل ينكر احد وجود النفس للحيوان فهل هي منظورةاوليست اعمالها الحيوية الشعورية تجبر الأنسان على الاذعان بوجودها بعد ان يرى ان الجسم الذي تفارقه لاتأتى منه هذه الاعمال بل يكون كسائر الجمادات وإن خفى على العلم كنه النفس فتشبعت فيها الاقوال . أفى القوة الكهربائية شك مع مشاهدة الأعمال التى يحصرها العلم بتأثير القوة الغير المنظورة . أفى النفس شك مع مشاهدة اعمال الحيوة التى يحصرها العلم بتأثير النفس . (أفى الله شك فاطر السموات والارض) مع مشاهدة الاعمال الكبيرة فى النظام الباهر والحكمة الفائقة فى عالم الكون . هذه الأعمال التى لا يمكن للعلم المستقيم إلا ان يحصر تعليل صدورها بواجب الوجود العليم الحكيم وهو الله جلت عظمته .

(ايها الدكتور) الجواهر الفردة وحركاتها اللولبية وزوابع الاثير والاثير هل رآها احد اورأى واحداً منها بالنظارات المكبرة او المقربة

﴿ الدكتور ﴾ لا وكلا بل إنهم افترضوها إفتراضاً لتوجيه التعليل والانتهاء به إلى اصل يوقف عليه

﴿ الشيخ ﴾ لماذا التزموا بكون الجواهر المذكورة فردة لا تتجزى وتعرضوا للنقد العلمي المبين لأستحالة وجود الجزء الذي لا يتجزى . ولماذا التزموا بكون الأثير في منتهى البساطة

﴿ الدكتور ﴾ لانهم إذا قالوا بتركب الجواهر من الاجزاء لم يمكنهم القول بازليتها وكذا الاثير

﴿ الشيخ ﴾ إذا كان التجزي في المقدار تركيباً ينافي الأزلية فالاثير المفروض مهما فرضوا له من بساطة الذات فهو متجزء في المقدار وله مادة وصورة فهو مركب إذن فكيف قالوا بأزليته . دع هذا إلى حين ولكن لماذا لم يقولوا بان الجواهر والاثير متسلسلة من موجودات لا نهايه لها فيذهبوا بسلسلة التعليل إلى غير نهاية ولا يلتزمون بفرض موجود ازلي لا حجة لهم على ازليته . بل انهم يثبتون له اوصافاً تنافي الأزلية

﴿ بطلان فرض التسلسل والدور ﴾

﴿ الدكتور ﴾ هل يمكن ان يدخلوا في هذه السلسلة ما يفرضونه عدماً ولا شيء ولا موجود ؟ وهل يمكن ان يدخلوا فيها مالايفرضونه موجوداً

﴿ الشيخ ﴾ لا . لا يمكن لأن ذلك يؤدي إلى التناقض الباطل بمبادي الفطرة وبداهة الوجدان وكيف ينظمون سلسلة الموجودات من عدم ولا شيء بل لا بد ان يفرضوها مما يفرضونه شيئاً وموجوداً . وإن محل الفرض هو تسلسل الموجودات الحادثة التي ليس فيها موجود ازلي

﴿ الدكتور ﴾ فالفكر الذي هو يفرض هذه السلسلة ويصور حلقاتها في معمل تصوره لا بد من ان يحد اجزاءها المفروضة بحد الوجود والحدوث لأن مبنى فرضه على ذلك ويختص به

﴿ الشيخ ﴾ لا بد من ذلك فان الفكر فى فرض هذه السلسلة قد عزل عنها المعدوم وازلي الوجود فتمحضت اجزائها للموجودات الحادثة مهما بلغت من التسلسل

﴿ الدكتور ﴾ يا شيخ ويا اصحابنا إذن ففرض التسلسل إلى غير حد ولا نهاية باطل فى نفسه وبحسب فرضه فان الفكر إذا حدّ اجزاء السلسلة بالحدوث فلا بد من أن يلتفت إلى ان السلسلة مهما بلغت فهي محدودة بالعدم اللازم لحدوث اجزائها وإن ضاعفها بكثرة ما يفرضه اول مرة فانه يلتفت إلى ان فرض التسلسل مستلزم لبطلانه : وببيان آخر ان الفكر ان ادخل الوجود الأزلي فى هذه السلسلة فقد إنتهت إلى الأزلي وإن ادخل العدم فقد إنقطعت بالعدم وإن اخذ الموجودات الحادثة فانه إن عجز فى ترتيب فرض السلسلة عن تكرار فرض الموجود الحادث وتصوره فقد إنقطعت بذلك العجز وإن لم يعجز فانه يلتفت إلى انه مهما فرض من الموجودات الحادثه بسعة إحاطته فان فرضها بما هي حادثة يستلزم ان تكون سلسلتها محدودة بالعدم فيبطل الفرض وإلا خرجت عن كونها موجودات حادثة فيبطل الفرض ايضاً ـــ وايضاً ما هي الغاية للعلم بفرض التسلسل فان كان تقحم هذا الفرض الباطل لأجل ان يتحير العلم لعجزه عن إدراك السلسلة الغير المتناهية ويقف موقف المبهوت فليقف إذن على حيرته من اول الأمر بدون حاجة إلى كلفة هذا الفرض الموهوم وكيف يعجز العلم بسلسلة لو امكنت لم تكن إلا باحاطة صناعته لها وقدرته على فرض ترتيبها بتصوير حلقاتها بكنهها فى معمل اعماله

﴿ الشيخ ﴾ قد عدلنا عن مسئلة التسلسل ولكن لما ذا لا تقولون ان الأثير او الجواهر الفردة معلولة لما يصدر عنها وصادرة عنه

﴿ الدكتور ﴾ العفو يا شيخ كيف يكون الشيء صادراً عما يصدر عنه .

فانا لو فرضنا ان كل واحد من الشيئين علة فاعلية او مادية لصاحبه ومعلولا له كذلك للزمنا ان يكون كل واحد منهما موجوداً حال عدمه ومعدوماً حال وجوده ولزمنا توقف وجود الشيء على وجوده وفي هذا من المحال والأمتناع والتناقض ما لا يخفى وهذا هو الدور الذي يعترف كل احد من الماديين والمتدينين وخصوص كتاب المسلمين ببداهة بطلانه وما سار العلم سيره إلا بالبناء على بداهة بطلان التسلسل والدور . فمن الغريب يا شيخ تشبثك في المكالمة بهذه المستحيلات

(الشيخ) مهلا ايها الدكتور فان جملة من العصريين المائلين إلى المذهب المادي يكثر منهم الهياج إذا قابلتهم في الحجة ببطلان التسلسل في الموجودات الحادثة وبطلان الدور وعلى الخصوص إذا ذكر إسم الامكان والوجوب والأمتناع والأستحالة فيهزؤن بهذه الألفاظ من دون دراية لهم في العلم فاردت ان اتحقق براءة فضيلتك من هذه الوحشية العامة

حدوث المادة مهما كانت

ثم ايها الدكتور انتم تقولون ان الجواهر الفردة او الأثير ازلية . ونحن نقول ان الجواهر الفردة لو صح فرضها وان الأثير لو تحقق وجوده لابد من ان تكون حادثة محتاجة إلى علة ثم ننظر في تلك العلة . فهل تكون الدعاوي من كل منا مقدسة في العلم . او لابد لكل مدع من حجة تشهد في العلم على صحة دعواه

الوجود بعد العدم

﴿ الدكتور ﴾ لا تكون دعوى مقدسة بلا حجة . ولكننا قلنا بوجود الجواهر الفردة لأن فرضها ممكن . وقلنا بأزليتها لأجل ان نقف عليها بالتعليل . واوجبنا ازليتها لأجل انه يمتنع حدوث الموجود من العدم

وكذا نقول في ازلية الأثير على الرأي الجديد

(الشيخ) ما معنى قولك « يمتنع حدوث الوجود من العدم » فانه محتاج إلى الأيضاح

(الدكتور) لا يمكن ان يكون الوجود ناشئاً من العدم لأن العدم لا شيء ويستحيل وجود شيء من لا شيء

(الشيخ) لم توضح ما يحتاج إلى الأيضاح فان الأبهام باق على حاله فبين لنا ما معنى قولك (من العدم) و (من لا شيء)

(الدكتور) الموجود والشيء يستحيل ان يكون مادته العدم واللا شيء ويستحيل ان يكون فاعله العدم واللاشيء . وهذا بديهي وجداني

(الشيخ) هذا مستحيل بالبداهة كما ذكرت ومن ذا الذي يقول به . كلا . وإنما نقول ان الجواهر الفردة والأثير لو كانا موجودين لكانا حادثين موجودين بعد عدمهما بابداع الأله الموجود الازلي القادر فأين لزوم المحال في حدوثهما

(الدكتور) إن حدوث الوجود بعد العدم مستحيل

(الشيخ) عجباً يا صاحب العلم التجريبي كيف تدعي هذه الدعوى وانت فى كل ساعة ترى ألوفاً من الموجودات قد حدثت بعد العدم . ألا ترى الانسان . اوليس اقرب عهوده انه نزل منياً فى رحم امه ثم صار علقة دم ثم صار إنساناً ذا اعضاء وحواس وشعور وعلم اين كان المني الذي نشاء منه حينما كان جده وجدته منياً ؟ اولا ترى سائر الحيوان اولا ترى الشجر والنبات كيف يحدث بعد عدمه . اولا ترى سائر الموجودات فى العالم مما نعرف وجوده بعد عدمه . فكيف تقول ان حدوث الوجود بعد العدم مستحيل

(الدكتور) لا اقدر انا وكل ذي شعور على إنكار ما تذكره وكيف

بجحد ما هو مشاهد معلوم لكل احد ومنه نعلم بالبداهه انه ليس بين الوجود والحدوث مضادة ولكن خصوص المادة وهي الجواهر او الأثير هذه يستحيل وجودها بعد عدمها فانا لم نر المادة حدثت ولم نر احداً قدر على إحداثها وخلقها ولم نرها انعدمت ولم نر احداً قدر على إعدامها . فان العلم يبين ان كل ما نشاهده من إضمحلال المادة ليس إنعداماً بل إنما هو انعدام الصورة الخاصة وتفرق دقايق المادة الصغار التي لا يدركها الحس فهي باقية في الوجود غائبة عن الحس

﴿ الشيخ ﴾ اسئلك ايها الدكتور هل قدر احد من الناس ان يأخذ تراباً او غيره من المواد فيخلقها إنساناً ذا نفس وشعور وعلم اوحيواناً ذا نفس وحركة اوشجر ذا نموّ وفاكهة ويبدعها بغير النواميس المعهودة . ايها الدكتور فهل يحسن بالعلم او بمن له شعور ان يقول ان افراد الأنسان والحيوان والشجر ازلية لأن العلم التجريبي يشهد بانه لا يقدر الأنسان على إيجادها بابداعه وخلقه لها

﴿ الدكتور ﴾ مهلا ايها الشيخ لماذا غاب عن شعورك ان العلم والحس والوجدان تشهد جميعاً بانه ليس كل ما هو حادث يقدر الأنسان على خلقه واحداثه . بل إن من الحوادث ما يقدر الأنسان على خلقه وإيجاده كالمصنوعات البشرية ومنها ما لا يقدر على إيجاده كالأنسان والحيوان والشجر . وتشهد ايضاً بانه ليس كل ما لا يقدر الأنسان على إيجاده فهو ازلي غير حادث بل يجوز ان يكون له علة تبدعه وتحدثه هي غير قدرة الانسان فان الانسان والحيوان والشجر لا يقدر الانسان على خلقه وايجاده وهو حادث بالوجدان لان له علة توجده وتحدثه بناموسها

﴿ الشيخ ﴾ إن العلم مشتاق إلى هذا البيان الذي يزيل المعاثر التي جعلها الوقت في طريق الشعور . ايها الدكتور إذن فلماذا لا تقولون ان المادة

يجوز ان يكون لها علة تحدثها وتوجدها وان لم يقدر الانسان على إيجادها كما قلتم في ايجاد الانسان والحيوان والشجر . وكيف قطعتم بأنها ازلية ؟؟

﴿ الدكتور ﴾ قلنا ان المادة ازلية لأنها لا تنعدم ولا يقدر احد على اعدامها . لأنه كل ما يرى من إضمحلال المادة فانما هو تفرق اجزائها وإنحلالهـا إلى الجواهر الفردة التي لا تنعـدم . فالمادة باقية ابدية وكل ما هو ابدي فهو ازلي

﴿ الشيخ ﴾ هل تمكن رؤية الجواهر الفردة بالنظارات المكبراة والمقربة لكي يحس بها الأنسان ويحكم ببقائها بعد الانحلال والتفرق

﴿ الدكتور ﴾ لا . لا تمكن رؤيتها

(الشيخ) إذن فكيف حكمتم ببقائها ؟! فان قلت انا نرى في إنحلالها صعوبات كثيرة قلنا فليكن إنعدامها بعد صعوبات اكثر من ذلك . وايضاً إذا كان اعدامها صعباً على البشر فلما ذا لا يمكن ان يكون في العالم فاعل غير البشر يسهل عليه إعدام الماده . وايضاً ان الرأي الجديد المقبول بين علماء اوربا ينادي بان المادة تنعدم إلى القوة فمن اين لكم ان القوة لا تنعدم فهل تقولون ان القنينة الليدنية إذا تفرغت تبقى كهربائيتها دقائق او اجزاء لا تتجزى من اين ذلك ؟ وهذه الحرارة الناشئة من زيادة القوة الكهربائية والنور الناشي من زيادة هـذه الحرارة فهل تقولون عند إضمحلالها انها يبقيان دقائق او اجزاء لا تتجزى من اين ذلك ؟ . هل الشرارة الكهربائية تبقى ؟ . ومن اين ان هذه القوة تتحول إلى الاثير الذي هو فرض مزعوم ؟ . من ذا الذي احس بذلك ؟ . ومن اين ان الاثير لا ينعدم هل رأى ذلك احد وما هي الحجة عليه من الحس او من العلم التجريبي اومما تسمونه العقل المجرد من نظريات الفلاسفة ؟ ؟

﴿ الدكتور ﴾ القدرة على الأيجاد مهما كانت إنما تتعلق بالممكن الخاص

ومن الممتنع ان تتعلق بالمستحيل وإنا إذا قلنا بوجود الأله القادر لم يمكن ان نتصور ان قدرته تتعلق بالمحال ومن الممتنع ان يبرز الشيء من اللاشي وان يصدر الوجود عن اللاوجود ومن الممتنع ان يخلق السكون من العدم كما ان الأله لا يستطيع ان يجعل الدائرة ان تكون في وقت واحد مثلث الزوايا

عبد الله الأباحي

(الشيخ) المعنى الجوهري من هذا الكلام قد تقدم وتقدم منا نقده واظنك رأيت نحو هذا الكلام للمتسمى عبد الله الأباحي ص ٤٠٦ من كتاب المذهب الروحاني ولماذا نسيت ان الألهيين يقولون ان الأله خالق المخلوق وجعله شيئاً بعد ان لم يكن شيئاً وموجوداً بعد ان لم يكن موجوداً ومن البديهي ان الأنسان يكون إنساناً بعد ان لم يكن وكذا الحيوان والشجر والدائرة تكون بعد ان لم تكن والمثلث يكون بعد ان لم يكن ولايقول ذو رشد بأن هذه برزت من اللاشي وصدرت من اللاوجود ولا يقول انها تكون وجوداً وعدماً في وقت واحد كما مثل الاباحي بالدائرة والمثلث فان قال الاباحي ان الموجود بما هو موجود والوجود بما هو وجود يستحيل ان يحدثا بعد العدم فان العيان والوجدان يستهزئان به بل يوبخه قوله في المقام (وفي كل دقيقة وإلى الأبد وجد ويوجد وسوف يوجد) واظنه لايعرف تناقضه إلا إذا ناجته روح (غاليلوس)

كلمات عصري . وجوابها

(رمزي) متنوّر عصري . العفو يا سيدي الدكتور إسمح لي بان اقول كلمتي الذهبية وليسمح السادات بالألتفات إلى إحساسي في نظريتي هاهي كلمتي ونظريتي تهتف بها إحساساتي المتنورة وحرية وجداني . ان التنور الجديد قد اسقط الأمكان . والوجوب . والامتناع والاستحالة فانها من

الخرافات القديمة للفلاسفة والمتكلمين التي يتعكزون بها في حججهم .
وها انا اراك توافق الشيخ على الركون اليها . ألا . وإني دخلت المكاتب والكليات وخرجت منها بالشهادات الكافية فلم احتج في تنوري وعلمي العصري إلى إمكان او وجوب او إستحالة ولم اعرقل فضيلتي وعلمي بهذه الأمور الفارغة . يا ترى بعد إختمار الآراء وإحتكاك الافكار بدرس الحقائق من الأساتذة هل يتسنى لنا الارتكان الى القديم الفارغ يا ترى . وها ان العلم في وسيطه ومحيطه قد نبغ نبوغاً مدرسياً راقياً تجري كهربائيته في داخلية بيئته وخارجيتها . فان كراسي المكاتب والأرتقاء بالتحول إلى الكليات يضمنان حفظ الصفوف العالية من تنوعات العلم المركزي السائد والأدب المكرّس لتوضيح المطالب الحيوية بحرارة فهل بعد ذلك تدار المسائل على محور اجنبي عن محيط العلم يا ترى . فمن الجهل يا سيدي ان نصغي إلى خرافات قديمة . إمكان . وجوب . إمتناع . إذا نظرنا الى مقدار من الصوف فمن الضروري انه يكون قطعة جوخ اذا جمله العمال في معمل الجوخ على الناموس الميكانيكي . ومن الضروري انه ليس بجوخ ولا يصير جوخاً وهو على الغنم . فالجوخ قبل العمل ميسور الحصول للعامل وعلى هذا الناموس تجري الأشياء . فما هي الحاجة للأمور الفارغة يا ترى

﴿ عمانوئيل ﴾ يا حضرة الدكتور إني أرى في مخايل وجهك انك تريد ان تجيب حضرة « رمزي » ولكن اسمح لي بالمهلة فان عندي مشكلات اريد ان يتفضل بحلها علمياً فانه قد ابهجني بتمجيده لدراسة العلوم ونبوغه بين تلاميذ الكليات الراقية وقد اكد بذلك رجائي لان يحل بفضيلته مشكلاتي بمحضر القس والشيخ والدكتور والوالد

(رمزي) قل كلمتك يا عمانوئيل

(عمانوئيل) كلتي تنحل إلى سؤآلات

(الأول) قد وقعت التجربة الدائمة على إن المسافرين في البحر من البصرة إلى مكة في اواخر الربيع واوائل الصيف يصحبون ساعات كثيرة من اتقن اصنافها موقتة على الساعات العربية . وكل يوم يسيرون فيه تختلف ساعاتهم على ميزان واحد فينطبق عقرب الساعات على الثانية عشر في العربية بعد الغروب ويزداد هذا التأخر شيئاً فشيئاً على ميزان واحد إلى عدن ثم يأخذ هذا التأخر بالنقص الموزون شيئاً فشيئاً إلى حين وصولهم مكة ثم ينعكس الأمر عند رجوعهم . وبعكس هذا كله يكون إذا ساروا في اواخر الخريف واوائل الشتاء فما هو المنشأ (١) في ذلك

(السؤآل الثاني) ان الليل والنهار متساويان في خط الأستواء كل واحد منهما إثنتي عشرة ساعة . وكلما بعد البلد عن خط الأستواء اخذ ليله ونهاره بالأختلاف بالزيادة والنقصان وتبلغ الزيادة بالتدريج في اطول الايام . لليالي في عرض ٨ درجات و ٣٤ دقيقة نصف ساعة وفي عرض ١٦ درجة و ٤٤ دقيقة نصف ساعة اخرى ثم تتدرج الزيادة إلى ان تبلغ في عرض ٦٦ درجة و ٣٢ دقيقة إثنتي عشرة ساعة ثم إذا زاد ثمانية وعشرين دقيقة اقل من نصف الدرجة تكون الزيادة خمسمائة وثمانية وعشرين ساعة . فما هو الوجه العلمي (٢) في هذا التفاوت الفاحش في زيادة العرض اليسيره

(١) هو إختلاف طول النهار في الزمان الواحد بحسب إختلاف البلدان بالعرض كما اشير إلى بعض امثلته في السؤال الثاني (٢) هو ان افق هذا العرض يدخل في المنطقة الحارة الشمالية ٢٨ دقيقة عرضية ويبعد عن مدار الجدي من الجهة الاخرى كذلك . فكل المدارات اليومية الواقعة على دقائق الدخول تتحد بالافق اوتقع فيه . فلاغروب . وكل المدارات الواقعة على دقائق البعد خارجةعنه . فلااشراق . وبما ان سير السيار في الانقلابين يشبه الموازي للمدارات المذكورة تكون متقاربة وربما يتحد جملة منها تقريبا . ومن هذا المجموع ينتج ما ذكرناه . ومنه يعرف الحال في النصف الجنوبي

(السؤآل الثالث) إن الهيئة الجديدة تذكر ان الأرض تدور حول الشمس ومن اللازم ان تكون في السنه في وقت عن يمين الشمس وفي وقت آخر عن يسارها وهذا يقتضي ان يكون المشرق في وقت من يسار الأرض وفي آخر من يمينها . فما هو الوجه في كون المشرق من يسار الأرض دائماً مع دورانها على الشمس (١)

(السؤآل الرابع) ان جذر العدد هو ضلع المربع . وناموسه الحسابي هو ان المربع يحصل من ضرب الجذر في نفسه ولا مداخلة فيه للتضعيف . إذن فما هو الوجه في انه يتفق في عملية إستخراج جذر العدد ان تضعف الصورة المرقومة من الجذر وتنقل الضعف إلى اليمين وتضرب فيه الصورة الأخرى من الجذر من اين جائت مداخلة التضعيف في التجذير (٢)

رمزي وعمانوئيل

(رمزي) الذي درسته من العلوم في المكاتب هو النتائج العلمية على مقدار الحاجة في عمليات الهندسة والحساب ومعرفة الجغرافية والهيئة بحيث اصلح لأن اكون مهندساً او مدرساً في دار المعلمين لتدريس المعلمين في المكاتب الوطنية لكي انفع وطني باعمالي وانفع نفسي برواتب

---

(١) إشراق الشمس يحصل من إتجاه الأفق نحو سمتها بحركة الأرض الوضعية وذلك الأتجاه والحركة هما إلى يسار الأرض دائما بالنسبة لمستقبل القطب الجنوبي (٢) جائت من قوة الشكل السادس من ثانية الأصول لاقليدس وان كل عددين يكون الحاصل من مربعيهما مع ضعف مضروب احدهما بالآخر مساوياً لعدد ثالث فانهما إذا جمعا كان مربع مجموعهما مساوياً لذلك الثالث نحو ٣ و ٤ بالنسبة إلى ٤٩ : و ٥ و ٦ بالنسبة إلى ١٢١ وهكذا

الوظائف او اجرة الأعمال واما حل المشكلات العلمية فهو مخصوص بالأساتذة من العلماء المتبحرين فى براهين العلوم . فهل انت يا عمانوئيل تحل هذه المشكلات حلاً علمياً مقنعاً لي

(عمانوئيل) ما ادري ماذا اعرض لحضرتك يا صاحبي فان الأقناع شرطه مني ومن غيري

﴿ الدكتور ﴾ إن سلوك عمانوئيل فى تقرير هذه المشكلات يشهد عندي بانه قادر على حلها علمياً قدرة كافية

(القس) يا اليعازر في اية كلية درس عمانوئيل هذه العلوم بهذا الدرس الراقي

(اليعازر) لم يدخل كلية من الكليات المعروفة ولا ادري اين درس هذه العلوم

﴿ عمانوئيل ﴾ يا سيدي منذ نشأت كنت مولعا بالتفهم فى درس العلوم وقد وجدت درس المكاتب يدور على النظر إلى رؤس المسائل ولا اجد عند المعلمين بياناً باكثر من التلقينات المسموعة . فتهيألي ان ادرس هذه العلوم عند واحد من طلبة مدرسة النجف اياماً فليلة درساً علمياً . وقد افادني ان في النجف من الماهرين بهذه العلوم خلقاً كثيرين ولكن لأجل ان الغاية المطلوبة لهم إنما هي علم الدين لم يظهر لدراستهم فى هذه العلوم دويٌ ولا سمعة

﴿ رمزي ﴾ ما علينا فان إكتشافات الغربيين العجيبة تجعلنا على ثقة من صحة آرائهم ونظرياتهم الراقية وإن اللازم علينا في الأدب العصري ان نتناول من آراء الأساتذة ونعرض عن النقد والمحامات عن الحقائق . وما هي الغاية من ذلك ؟ هل ترى انال ثروة ومالاً اعيش به كما إذا كنت عامياً فى الحقوق يا ترى . ألا وإن حرية النفس فى هذه الحيوة تجبـد

هذه الآراء الجديدة التي تنال الأنسانية بها محبوباتها في اميالها بلذة وراحة فكر من دون عراقيل وتهديدات . هذه العراقيل والتهديدات التي تكدر صفاء المدنية السمحة . وليس من الهين ان نعتبر حيوتنا هذه القصيرة مقيدة بقيود الشرائع ومهددة باخطار الوعيد

(عمانوئيل) يا صاحبي (رمزي) لايغيب عن درايتك ان الاكتشافات العجيبة والأختراعات العلمية النافعة في لوازم الحيوة إنما كانت من إلهيين متدينين قد اتقنوا مبانيهم بالنظريات المحكمة الأساس فلماذا لم تتناول من آراء اولئك الاساتذة وكيف تختار رأياً من دون نقد للارآء الأخر ولا محامات عن الحقيقة . لا اذكر ذوي الشعور الراقي ولكن اقول ان القاصرين من متوحشي السودان وغيرهم إذا اختلفت عليهم الآراء لا يركنون إلى واحد منها إلا بتحسينه ونقد ما عداه بما عندهم من الشعور في التحسين والنقد . نعم المعروف ان الماعز والضان إذا طفرت إحديهن نهراً طفرت البواقي ايضاً ولو على خطر او عدم رجاء . لا اذكر لك في تنبيهك من غفلتك إلا وقوع الخطأ او الأضطراب في آراء اساتذتك الذين حبذت مبدئهم وهملجت خلفهم . فان ديمقراط يقول ان الجواهر الفردة التي يفترضها إفتراضاً لها اشكال هندسية . وبخنر يقول ان جواهرنا الأفتراضية اصغر بكثير من جواهر ديمقراط . ومرجع هذا الكلام إلى ان بخنر واصحابه يخطؤن ديمقراط بفرض الأشكال الهندسية لأن ذلك يناقض كونها لا تتجزى : وديمقراط وليسوبوس واصحابهم يقولون ان الجواهر الفردة تسبح بحركتها في الخلاء نظراً إلى إمكان الخلاء وعدم الحاجة إلى إفتراض شيء آخر . وجاء طمسن واصحابه فخطأوا ديمقراط وليسوبوس بدعوى إمكان الخلاء وقالوا بامتناع الخلاء فافترضوا الاثير مالئاً للخلاء وجعلوا الجواهر الفردة اجزاء من الاثير تدور فيه

كالزوابع : وجاء غوستاف لبون ومن اتبعوا آرائه فقالوا بحدوث الجواهر الفردة وانها نشأت من تكاثف الاثير فى قديم الزمان لسبب لا يعرف وان المادة تنعدم وتكون قوة والقوة تنعدم وتكون اثيراً نخالف الذين قبله في قولهم ان المادة ازلية وابدية . واما قولك ان حرية النفس تحبذ إلى آخره . فانه لا ينبغي لذي الرشد والشرف ان يغفل عن ان النفس لها شئون . فان النفس إن ساد عليها شرف الأنسانية ورقي الشعور نهضت بكل همتها لحفظ حريتها من إستعباد الجهل الساقط السافل والأميال الشهوانية البهيمية وتجردت جهد وسعها لحماية شرفها ولحفظ مستقبلها من التهديد حتى تثق باطمئنانها من اخطار السقوط ورأت ان المدنية هو الناموس الذي ينتظم به إجتماع البشر فى حفظ شرف الأنسانية وحقوقه المعقولة . نعم إذا ساد على النفس شهوانيتها البهيمية حبذت الآراء التي تسهل لها اللذات الوقتية وتلهيها باغفالها عن كل ادب روحي وكل فضيلة تمتاز بها عن البهائم . تلك الآراء التى تمنيها الأمان من إخطار التهديدات المهذبة المكملة . ولكن لتأسف كل الأسف انحريتها الشهوانية المطلقة على مبدء الآراء المذكورة هي معرقلة بالسلطة السياسية والقوانين البشرية بها تساهلات . واما دعارة الفوضوية ووحشيتها وهمجيتها فان السياسات ضامنة لقطع الآمال منها فلا تمن نفسك بمدنية فوضوية موهومة تمنح لك اللذات على مبدء الآراء المادية براحة وبدون عراقيل ولا خطر تهديد . فانك لابد لك من ان تخضع لنير السلطة وتزج شهوانيتك تحت قوانين الشرف والمدنية فانظر ما هو الأحسن هل هو التهذيب بشرف القوانين الألهية المكملة لك روحياً وادبياً وإجتماعياً او هو التحير بين الأنهماك بالملاذ الشهوانية التى مناك بصفائها (ابيقورس) وبين الحذر من رادع القوانين البشرية فى النظام المدني

﴿ الدكتور ﴾ يا للاسف إن كلام رمزي وامثاله من العصريين واحوالهم وافعالهم لتمثل للناس ان إختيار المذهب المادي لم يكن على اساس علمي بل على اساس شهواني وفرار باللذات الأهوائية والأخلاق البهيمية من سيادة الشرايع الألهية وحدودها كفرار عبد يغمض عينيه ويسد أذنيه ويقول لا ارى لي مولىً ولا اسمع دعوته ولا تهديده فها انا ليس لي مولىً . انا حرٌّ في اميال نفسي بلذة وراحة فكر قد امنت من العراقيل والتهديد لا افتح عيني ولا أذني ان شرايع السيد تكدر لذاتي

﴿ عمانوئيل ﴾ لا يا ايها الدكتور إن هذا الذي تأسف منه ليس رأياً خصوصياً لرمزي وامثاله من العصريين بل هو كلمة زعيم المذهب المادي (ابيقورس) فانه قال « إن راحة البال التي تقوم بها سعادة الأنسان هي في إضطراب دائم من جري الريب الواقع من نسبة الانسان إلى الخليقة وإلى الله » — واني لاحتشم محضر الدكتور من زيادة البيان

الوجوب . والأمكان . والأمتناع

﴿ الدكتور ﴾ يا رمزي لنلتفت إلى كلمتك ونقدك موافقتي للشيخ في مبادي الامكان والوجوب والامتناع فهل تريد ان اهتك شرف وجداني واتجاهل عن ناموس الفطرة الشعورية . ألا ترى ان الطفل يلتقم صفحة من ثدي امه ثم يعدل سريعاً حتى إذا التقم حلمة الثدي إستمر على الرضاع فيجري في ذلك على مبدء الامتناع والامكان . إذا أريت الطفل شيئاً واطمعته بانه مرغوبه فانه يتأمل فيه وينظر هل يمكن ان يكون هو ذلك المرغوب لكي يرجو اخذه او يجب ان يكون هو فيطلبه او يمتنع ان يكون هو فيعرض عنه وهكذا حاله إذا أريته شيئاً وخوفته بانه مما يؤذيه وعلى ذلك يجري شعور الحيوانات فيما ترغب فيه وتحذر منه . وإنك انت

بذاتك إعتمدت فى كلامك وبيانك على الأمكان والوجوب والامتناع فى مثالك بالصوف والجوخ فان الوجوب هو معنى قولك « ومن الضروري يكون » والامكان هو معنى قولك (ميسور) وان ديمقراط واصحابه بنوا نظرياتهم على إمكان الخلاء و (طمسن) واصحابه بنوا نظرياتهم في الاثير على إمتناع الخلاء . فهل لك يا رمزي عداوة شخصية مع الفاظ الأمكان والوجوب والأمتناع . افلا يلزم الأنسان ان يكون حرّ العلم والكلام

﴿ رمزي ﴾ إنك إذا سمعت كلام الألهيين فى الألاهيات تضجر كثيراً من قولهم ممكن . واجب . ممتنع . إمكان عام . إمكان خاص . وجوب بالذات . وجوب بالعرض . إمتنـاع بالذات . إمتناع بالعرض . اما اني اضجر كثيراً إذ يكررون هذه الالفاظ . اما عندهم غير هذا يا ترى ؟

(عمانوئيل) إن لكل صناعة ولكل فن مواضيع وادوات خاصة ولا بد لمن يتكلم فى مباحث تلك الصناعة وعملياتها ان يكثر من ذكر آلاتها حسب إقتضاء العمليات فالنجار إذا تكلم فى نجارته يكثر فى كلامه . خشب . مسمار . فاس . منشار كبير . منشار متوسط . منشار صغير . منشار مظهر . مثقب كبير . مثقب متوسط . مثقب صغير . مثقب برغي . مبرد . رنده كبيرة . رنده صغيرة . وهكذا ولا تسمعه يقول فى عملية النجارة سدا . لحمه . فحم . منفاخ — والكيمياوي إذا تكلم فى العمليات الكيمياوية يكثر فى كلامه تكرار قوله اكسجين . هيدروجين . نتروجين . كلور . كربون . صوديوم فصفور . غاز وهكذا ولا تسمعه يقول فى عمليته بنك حواله سعر القماش شعب مملكة . وزارة . فاسمح لي إذا قلت ان البدوي الوحشي يضجر إذا حضر كلام النجار اوالكيمياوي في عملياته وسامحني إذا قلت ان الكيمياوي إذا اعرض عن فنه ومظهر

عامه وكنز ثروته لمستقبلة وحينئذ ان يضيع حيوته الثمينة في مراسح اللهو ورقص الآنسان وإدمان المشروبات واحاديث الغرام ولذات المغازلة فانه يضجر ويتألم إذا سمع الكيمياويين يتكلمون فيمواضيع فهم ويقول ها قد كدروا لذتي بهذه الألفاظ الفارغة التي تهدد الأنس واللذة بتذكار سجون المعامل : يا رمزي إن المتكلمين في الألهيات لا غرض لهم بخصوصيات الموجودات وإنما يحلونها باجمعها جملة واحدة في معمل النظر لكي يحللوها من طريق الأمكان والوجوب والأمتناع إلى المعلول وعلته الأزلية وكيفية التعليل وخواص العلة الازلية والفاعل الاول . فالامكان والوجوب والامتناع هي الآلات الثمينة في هذا التحليل فلا تضجر إذا تخصصوها من حيث الذاتية والعرضية ولا تضجر من تكرار ذكرها فانها هي الآلات الدخيلة في هذه العملية : هل رأيت كتاب انوار الهدى ص ٥ و ٦ و ٣٠ و ٣١ فانه قد تعرض لمثل كلامك في الأمكان والوجوب والأمتناع .

(رمزي) لا . لم اره ولكني لست بعاطل من مطالعة الكتب فاني كثيراً ما اطالع الجرائد الوطنية وكتب الروايات العصرية

(عمانوئيل) اسفاً وانت شرقي تطلب مجد الشرق ولا تنظر إلى كتاب شرقي عالم قد اودع فيه نظريات راقية ونقوداً ثمينة وهو مبذول مجاناً . هلا تطالعه للنقد عليه اقلاً لو كنت تقدر

﴿ الشيخ ﴾ ايها الدكتور ألا نعود إلى كلامنا على المادة والأثير لأكشف لك عن حدوثها وإمتناع ازليتها بحيث لا يصح الوقوف عليها بالتعليل

﴿ اعيان وتجار ﴾ العفو يا شيخ إسمح لنا بان نقول كلمة تنفث بها عن قلوب حرّى تتقلب على جمر الاسف والغيظ . إنا اناس مسلمون في بلاد

الأسلام ولنا الأمل الوطيد بان علمائنا يحمون إعتقاداتنا وديانتنا من عوادي الشبهات بالبيان الواضح المقنع ويدافعون عن الأسلام من تصدى للنقد عليه وحاول بالقاء الشبهات والتشكيكات ان يبدل آدابه وشرايعه واخلاق المسلمين . وها هو الخطر والتهديد للاسلام بالنقود والردود محدق بنا . وها هي البواخر تحمل إلى بلادنا من مصر وبيروت في كل شهر الوفاً من الكتب التي وجهت نيرانها إلى الأسلام وكتابه ونبيه عداءً . يكفيك منها كتاب هاشم العربي مع تذييلاته . وكتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان ولا حاجة لذكر الكتب الصغار ككتاب تعليم العلماء وكتاب حسن الأيجاز وكتاب ابحاث المجتهدين وكتاب رحلة الغريب ابن العجيب وغيرها من الكتب ولا زال المبشرون اليسوعيون يلقون علينا الشبهات بحرية تامة ونشاط . وهذا يهون بالنسبة إلى إنتشار كتاب شبلي شميل في تأييد المذهب المادي والتنديد بالألهيين ويعضده دخائل المقتطف ويؤيده غمزات بعض العصريين بتحسين مضامينه والرومانات بتلويحها وهناك اوبية أخرى « قد تمشت في مفاصلنا كتمشي النار في الفحم » يا شيخ إن اولادنا وشباننا كادت الشبهات ان تخرجهم من ايدينا فتراهم كالرمل السيال يثورون مع كل زوبعة . هب انا نعلم ان هذه الشبهات مغالطات لا مساس لها بالحقيقة لكن ماذا نصنع فيما لا نهتدي السبيل إلى دفعه وما ذا نصنع بما يعلق بأذهان البسطاء والأغرار وماذا نصنع مع اولادنا وشباننا المغرورين فهل من الهين ان يقع هذا كله وانتم ساكتون . ام تقولون لا ندري بذلك . لماذا لا تدرون ؟ هل يرجى جلاء هذا الغبار وتمحيص هذه التمويه وشفاء هذا الداء ودفاع هذا التهاجم إلا ببركة علمكم . ولنا الثقة التامة بان فيكم من يداوي هذا الداء في اسرع وقت باوضح بيان يبتهج به الشعور ويثبت به اليقين بدلالة الحقيقة

والعلم الراسخ فما ذا يمنعكم والحرية مطلقة والأرشاد واجب فان مكالمتك ومكالمات عمانوئيل قد جلت عنا ظلمات كانت متراكمة علينا واشعت في افكارنا انواراً تجلو لنا الحقائق رأي العين وتلاشي الشك باليقين . فهل من الجائز ان تحجبوا عنا هذه الأفادات وتتركونا نخبط في ليل الشكوك والشبهات فتذهب مساعي الرسول الكريم وائمة المسلمين في الهدى ضياعاً

﴿ الشيخ ﴾ يا إخواننا اما اولادكم وشبانكم فانا تتبعنا احوالهم فلم نجد عندهم صورة شبهة تزلزلوا من اجلها ولا مغالطة عامية تليق ان تشوش اذهانهم ولم نجد عندهم إلا الأنهماك بالافكار الغربية الجديدة من دون شعور علمي ولا حذق صناعي وغاية ما عند احدهم ان يسمي نفسه متنوراً وغاية بضاعته في ذلك انه يطالع بعض الجرائد والمجلات فيتلقى منها الفتاوي بالتسليم سطحياً وليس له من علمياتها وصناعياتها إلا قرائة الألفاظ . ومهما تكامله لا يكون جوابه في الأحتجاج لخيالاته إلا الأطراء برقي الغرب والتوبيخ لأنحطاط الشرق من دون ان يكون له من رقي الغرب نصيب . يسمى طفراته في إتباع الأهوآء شجاعة ادبية . وتقحماته في الشهوانية وخلع القيود تنوراً . وإنا نحييه بكل ترحيب إذا طلب حل مشكلاته بالبيان العلمي والحجة الأدبية . وله مايشاء من الملاينة

يا إخواننا واما عتابكم لنا على السكوت فنقول لكم قد كتب الشيخ رحمة الله الهندي سابقاً كتاب « إظهار الحق » واجاد فيه وافاد وكتب في هذا العصر « كتاب الهدى . ورسالة التوحيد والتثليث . وكتاب نصائح الهدى . وكتاب انوار الهدى » وها هي مطبوعة فهل تدرون بها . وهل رأيتموها . وهل يوجد عندكم منها عشر معشار ما عندكم من الكتب الأجنبية العصريه في الروايات الرومانية

وهناك كتاب آخر هو اعم نفعاً واقرب لفهم العموم قد جاراهم فى محاوراتهم المألوفة لهم . وقد تعرض للأديان وكتبها . ونظريات الماديين وكلماتهم وذكر معارف القرآن الكريم . وحججه . واخلاقه . وآدابه . وصلاح شرايعه . ومدنيته . وإصلاحه . ووجوه إعجازه . بطرز يؤنس المطالع وترتاح اليه النفس . ولكن مضت مدة وكاتبه واصحابه يطلبون من يطبعه لنفسه طبعاً تجارياً ولو باشتراك جماعة ولو بعد النظر اليه وإستحسانه . ينادون بذلك فى نصرة الدين فلا يجدون إلا نفوساً لاهية او مواعيد كاذبة « عاد الدين غريباً » — نعم يسر الله طبعه بهمة العلماء العاملين وإشتراكهم مع قليل من المتدينين الذين ربطتهم التقوى باهل العلم جزاهم الله خير الجزآء : وفوق ذلك انكم تعاتبوننا . سامحنا الله وإياكم ووفقنا لما يحب ويرضى يا إخواننا وهذا الحال مما يزيد البصيرة في كرامة دين الأسلام وعلوّ مقامه وبهجة إشراقه بنور الحق ووضوح الحجة . حيث انه مع تقاعد المسلمين عن نصره يتقدم فى سيره هذا التقدم الباهر على رغم المعاثر الأهوائية

﴿ عمانوئيل ﴾ عد ايها الشيخ إلى كلامك مع الدكتور فى حدوث المادة وانه لايصح الوقوف على الجواهر الفردة لو امكن فرضها ولم يبرهن العلم على إمتناعها . وانه لا يصح الوقوف بالتعليل ايضاً على الأثير لو ثبت فرضه

(الشيخ) نعم ولبيان ما نقوله في ذلك وجوه (الأول) ان الماديين قد إضطرهم تعليلهم للكائنات إلى ان يثبتوا للجواهر الفردة حركات مختلفة الوضع والمحل . وقوىً مختلفة . وذلك يستلزم تركيبها من عنصر تشترك به فى الجوهرية وعناصر تميز كل واحد عن الآخر باقتضاء المسير في الطريق الخاص به والحركة الخاصة به فيبطل كونها اجزآء لا تتجزى

من كل وجه بل تكون مركبة محتاجة إلى فاعل يؤلف اجزآئها . وينتقل الكلام في التعليل إلى ذلك الفاعل فان كان فاعلاً بطبيعته لزم ان يكون مركباً ايضاً يعلل جزء منه جزء الجواهر الذي تشترك به في الجوهرية ويعلل جزء منه مميزات الجواهر بعضها عن بعض . فينتقل الكلام فى تعليل هذا . وهكذا وإن كان ذلك الفاعل فاعلاً بارادته إنتقل الكلام فى التعليل اليه وعلى كل حال لا يصح الوقوف على الجواهر الفردة فى التعليل

﴿ الدكتور ﴾ كيف قالوا بان للجواهر حركات مختلفة الوضع والمحل . وقوى مختلفة

﴿ الشيخ ﴾ المعروف عن ديمقراط ان الجواهر الفردة لها بتظر بعضها إلى بعض حركة دائرة وحركة إصطدام مستقيمة . وعن (لوسيبوس) أنها تتحرك فى الفراغ منذ الأزل والاشياء تظهر وتخفى بحسب ما تجتمع وتنفصل . وعن (ابيقورس) ان الجواهر متحركة دائماً فى الخلاء الذي لا نهاية له بإنحراف بعضها على موازات بعض بحيث تصطدم وتحدث حركة لولبية مخروطية كحركة الزوابع فتؤدي إلى تراكيب عديدة وصور متنوعة ومتغيرة : فيلزم من قول لوسيبوس وابيقورس ان تكون حركة الجواهر مختلفة الوضع لأن الحركة لو كانت واحدة في الجهة والسرعة لما إصطدمت الجواهر ابداً . هذا زيادة على كون الحركات مختلفة المحل والمسرى بحيث لا بد من تعليل إختلافها باختلاف مميزات الجواهر بعضها عن بعض . وقال (بخنر) اما حركة الجواهر عندنا فمن تضاد قوتي الجذب والدفع الذين نعتبرهما غريزتين في الجواهر : فنقول ان اراد ان فى واحد منها قوة الجذب وفى الآخر قوة الدفع لزمه تركب الجواهر المذكورة من جزء تشترك به الجواهر فى الجوهرية ومن اجزاء تختلف

غرائزها باقتضاء قوة الجذب وباقتضاء قوة الدفع . وان اراد ان الجوهر الواحد يشتمل على القوتين لزمه تركب الجواهر وإنقسامها وتجزيها إلى اجزآء بعضها يكون قطبة لقوة الدفع وبعضها يكون قطبة لقوة الجذب . هذا مع غض النظر عن مباحث تجري ههنا من حيث تكافؤ القوى واختلافها

وحاصل الكلام ان الجواهر الفردة التي لا تتجزى لو امكن وجودها في نفسها (وهو مستحيل كما بينه العلم) لكانت باعتبار هذه الاقوال مركبة ذات اجزاء في الماهية والصورة تحتاج إلى علة تؤلف اجزائها . وتجريها في حركاتها المختلفة . وتعين لها امكنتها المختلفة . فلينظر إذن في حال هذه العلة ولا يصح لنا ان نقف في التعليل على الجواهر وقوة عاميا

واما الأثير فانه منقسم إلى اجزآء يختص كل منها بمكان غير ما يختص به الآخر فان كان هذا الأختصاص من طبع الجزء لزم ان يكون كل جزء مركب في الماهية من شيء تشترك به جميع الأجزاء في الاثيرية ومن شيء يقتضي بطبعه الحلول في المكان الخاص به فاجزاء الاثير إذن مركبة في الماهية تحتاج إلى علة لتأليف ماهيتها . زيادة على كونه في الصورة مركباً ذا اجزاء يحتاج إلى علة تؤلف اجزائه الصورية . وإن كان إختصاص كل جزء من الاثير ناشئاً من فعل فاعل هو غير طبع الأجزاء لزم الانتقال بالتعليل إلى ذلك الفاعل والبحث عنه

ثم إن المنقول من رأي (طمسن) هو ان الجواهر الفردة إنما هي حلقات زوبعية في الاثير او الهيولى فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالئ للخلاء ومن هذه الحلقات الزوبعية المنتشرة وهي ليست سوى اجزاء هذا السائل المتحركة فيه

فنقول هذه الحلقات الزوبعية التي هي اجزاء السائل هل هي باقية على

طبيعة السائل وصورته حينما هي جواهر فردة ام تغيرت صورتها ؟ فان تغيرت قلنا من هو وما هو الذي غيرها ؟ لا يمكن ان يقال غيرها طبع الاثير اي إن طبيعة الاثير إقتضت ان تتغير بعض اجزائه إلى الجواهر الفردة وزوابعها حينما لم يكن هناك كائن غير الاثير . كيف يمكن ان يقال ذلك وهو يستلزم ان يتغير الاثير بطبعه إلى الجواهر الفردة دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه . وإن لم تتغير بل كانت على صورة الاثير وطبعه قلنا من هو وما هو الذي حركها ؟ لا يمكن ان يقال حركها طبع الاثير . كيف يمكن وهو يستلزم ان يتحرك الاثير باجمعه دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه . افلا يستلزم ايضاً ان يكون العالم كله كتلة واحدة من نوع واحد لأن علة الحركة على الفرض واحدة بسيطة ؟ وإن قالوا ان المغير والمحول هو غير الاثير قلنا فليجري النظر والتعليل في هذا المغير او المحرك

هذا والمنقول عن رأي الدكتور (غوستاف لبون) (ان الاثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة صلبة) افلا يلزم النظر إلى تعليل هذا السبب الذي تكاثف به الاثير . هل تكاثف كل الاثير فلم يبق اثير . ام تكاثف بعضه ؟

﴿ رمزي ﴾ يا شيخ ليس لك ان تحكم في مجلسك وانت على كرسيك وتقول (يلزم ان يكون هذا مركب الماهية ويلزم ان يكون هذا مركب الماهية) كما قلت في الجواهر والأثير . فان الحكم بتركب الماهية إنما يقبل إذا شهدت به بوتقة الكيمياوي . ولا يقبل من الجالس على كرسي النظر المجرد

(الشيخ) إذا قيل لك عن قطعتين من الذهب بوزن واحد غطست إحداهما في اناء فيه ماء فصعد الماء إلى درجة معينة ثم اخرجت القطعة

وغطست الأخرى فيه فارتفع الماء إلى درجة اعلى من السابقة فما ذا تقول في القطعة الثانية

(رمزي) اقول انها مركبة من الذهب ومعدن آخر اخف منه في الوزن

﴿ الشيخ ﴾ كيف شهدت باختلاف عناصر القطعة وحكمت بتركبها وانت على كرسيك هذا . هل كرسيك بوتقة كيماوي

﴿ رمزي ﴾ الشعور العلمي يقضي قضاءه ويحكم حكمه سواء كان على الكراسي او في السيارات او في المعامل

﴿ الشيخ ﴾ إذن فاسمح لشعوري ان يبدي نظرياته على الكرسي كما سمحت لشعورك ان يقضي قضاءه ويحكم حكمه

(رمزي) ان الحركة هي التي كونت الجواهر الفردة في وسط الاثير وبها تتكون الصور والأشياء . وليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها . فالحركة ازلية ابدية

(عمانوئيل) إن كانت الحركة كوّنت الجواهر الفردة من الاثير فقد تغير كيان الاثير فلا يكون ازلياً واجب الوجود . وإن قلت ان الحركة كونت الجواهر بعد عدمها لا عن مادة موجودة فقد ابطلت قول اصحابك الماديين بانه لا يعقل حدوث شيء موجود بدون مادة موجودة وهدمت اساس ماديتهم — وايضاً ان الحركة اكوان متتابعة . ينعدم كون ويحدث بعده كون آخر . وهكذا . فما هو الأزلي الابدي . هل هو الكون المنعدم او هو الكون الحادث بعده الذي لابد من ان ينعدم

(رمزي) الحركة لها وجود دائم . ألا ترى انك إذا ادرت شعلة النار إدارةً سريعة قوية فانها تحدث منها دائرة نارية متصلة

(عمانوئيل) يا رمزي يا صاحبي إن هذا الخيال الوهمي لاعوه إلا بقاء

التحرك في الأمكنة التي تحول عنها . واما تبدل الاكوان وإنعدام الحركة السابقة فهو مفروض كلامك في الأدراك القوية السريعة . ومع ذلك فانك كانك لم تسمع إتفاق العلم والوجدان من المتقدمين والمتأخرين على ان هذه الدائرة وهمية لا وجود لها ولا حقيقة . فالمتقدمون عللوا خيال هذه الدائرة ووهمها بوجود الحس المشترك الذي يحفظ خيال المحسوس بعد زواله عن آلة حسه . والمتأخرون عللوه بأن الصورة التي ترتسم على الطبقة الشبكية في العين لا تزول عن الشبكة بزوال الشبح بل تبقى نحو عشر الثانية . هذا كله هين ولكن يا رمزي لما تضطهد العلم وتشوه جمال التعاليل . هل سمعت قائلاً يقول ليس للجدار سبب إلا الجدار نفسه . ليس للشيء سبب إلا الشيء نفسه . ليس للضحك سبب إلا الضحك نفسه ؟؟ لا . لا تزعج العلم واهله بمثل هذا الكلام . قل هذا الشيء الحادث لا علة له واسترح من حيث تعب اهل العلم

﴿ رمزي ﴾ هذا الكلام الذي قلته رأيته في الكتب المطبوعة للماديين

﴿ عمانوئيل ﴾ اقول لمن كتب هذا الكلام كما قلت لك

لا يوقف بالتعليل إلا على واجب الوجود

﴿ الدكتور ﴾ يا شيخ ما هو الوجه الثاني المانع من الوقوف بالتعليل على الجواهر والاثير

(الشيخ) هل يمكن ان نقف بالتعليل موقفاً علمياً على شيء نفرضه محتاجا في وجوده إلى علة . وهل يمكن ان نحكم بازلية هذا الشيء مع إحتياجه إلى العلة او العلل الكثيرة السابقة عليه . هل عند تاريخ يدلنا على الأزلية . إذن ما هو مستندنا لدعوى الأزلية . هل هذه الدعوى مقدسة لا مسئولية عليها ؟

(الدكتور) وانت يا شيخ إذا اردت ان تصف شيئاً بالأزلية وانه العلة

لجميع الكائنات فما هو إستنادك في دعوى الأزلية .

﴿ الشيخ ﴾ إذا اوصلني السير العلمي والدرس في كيان الكائنات إلى ما هو واجب الوجود لذاته . وغير محتاج في وجوده وكيانه إلى غيره فحينئذ اعترف له بالأزلية بشرط ان لا يكون يتأثر بغيره او يتغير عن كيانه الأزلي . فان الأزلية ملزومة للأبدية كما هو مسلم ومقرر في العلم في آرائه القديمة والحديثة

﴿ الدكتور ﴾ لماذا لا تقول ان الجواهر الفردة واجبة الوجود لذاتها وان الاثير واجب الوجود لذاته

الجواهر الفردة لا تكون واجبة الوجود

﴿ الشيخ ﴾ قد ذكرنا صحيفة ٦٠ واحداً من ادلة العلم على إمتناع الجواهر الفردة اعني الأجزاء التي لا يمكن عقلاً تجزيها وهناك ايضاً ادلة متعددة ترجع كلها إلى الأعتبار بالمحسوسات . وهب انا اغمضنا النظر عن ذلك فما هو الدليل الذي يضطرنا إلى الأعتراف بوجود الجواهر الفردة مع انها تفرض على نحو لا يدركها الحس

(الدكتور) إن العلم بطبيعته وكيمياويته يضطرنا إلى الأعتراف بالجواهر الفردة . فان الهيدروجين يتركب مع الاكسجين على نسبة إثنين إلى واحد فيكونان ماء . والكلور يتركب مع الصوديوم بنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى ثلاثة وعشرين فيكونان ملح الطعام . وايضاً لو لم يكن الجسم مؤلفا من الجواهر الفردة لم يمكن تعليل الحالات الطبيعية كالمسامية والانضغاط والتمدد والمرونة ونحو ذلك فلابد من التسليم بالجواهر الفردة

(الشيخ) عجباً هل ترى الكيمياوي يعد الجواهر الفردة ويأخذ من حسابها التفصيلي وعددها هذه النسب التي تذكرها ؟ فيعتمد على عدد

للجواهر الفردة في تركيبه وتحليله ؟ ويقول هذه خمسة وثلاثون ونصف جوهر فرد من الكلور وهذه إثنان وعشرون جوهراً فرداً من الصوديوم ويعدها واحداً بعد واحد ؟ هل سمعت هذا من احد من اهل الدنيا من الاولين والآخرين . ألا . وان الكيمياوي إنما يأخذ النسبة بالوزن . واما المزج والتركب فيكفي فيها إختلاط اصغر الدقائق وتأثير بعضها ببعض تأثيراً كيمياوياً . واما تعليل الحالات الطبيعية المذكورة كالمسامية والأنضغاط ونحوها فيكفي فيه الانفصال بين اصغر دقائق الجسم فان الدقيقة تكون اصغر من جزء من مائة جزء من عضو من اعضاء الحيوان الذي قيل ان ملايين منه تعيش في نقطة الماء الذي يحمله رأس ابرة . او جزء من مائة جزء من طعمة غذاء يتناوله هذا الحيوان . . فمن الغريب في العلم ان الرأى الجوهري يدعي انه ينتهي إنقسام الجسم إلى حد محدود وهو الجزء الذي لا يتجزى مع إعترافهم بان التجزء لم ينته بالتجربة

﴿ رمزي ﴾ ان العلم قد توصل إلى إستعلام اوزان الجواهر الفردة من كثير من العناصر وقاس نسبة الجوهر الفرد من هذا العنصر مع وزن الجوهر الفرد من العنصر الآخر . واوضح ان الجوهر الفرد من الهيدروجين إذا كان وزنه واحداً فوزن الجوهر الفرد من الأوكسجين يكون ستة عشر . ومن النتروجين اربعة عشر . ومن الصوديوم ثلاثة وعشرين . ومن الكلور خمسة وثلاثين ونصفاً . ومن الماء العذب الصافي المقطر إثنين وعشرين إلا عشراً ونصف العشر . وقد ذكروا القياس في جميع العناصر المشهورة بحسب جواهرها الفردة . ورسموا لذلك جداول في الوزن الجوهري

﴿ عمانوئيل ﴾ عجباً هل قال واحد من اهل العلم الأولين والآخرين انه وزن جوهراً فرداً منفرداً من كل عنصر وقاس وزن كل جوهر فرد

منفرد مع الآخر ؟ الم تقرأ في الطبيعيات الابتدائية ان الجوهر الفرد لا يكاد يدركه التصور وإنما هو إفتراض محض فكيف تقول قولك هذا ؟ افلا تدري انهم يأخذون العناصر متساوية الحجم فيجدونها مختلفة الوزن في التركيب الكيمياوي فيزعمون ان جواهرها الفردة متساوية في العدد وبناءً على هذا الزعم يجعلون التفاوت باوزان الجواهر الفردة على نسبة يجعلون فيها الجوهر الفرد من الهيدروجين واحداً ويقيسون عليه وبهذا القياس يفسرون احلام الجواهر الفردة ويجعلون لها اوزاناً مخالفة

(عمانوئيل) ايها الدكتور إذا مزجنا مثقالاً من ملح الطعام مع مائة مثقال من الماء المصفى وصار الماء مالحاً فهل شاعت دقائق الملح في جميع الماء وانقسمت دقائقه على حسب دقائق الماء

(الدكتور) نعم والتجربة خير شاهد

(عمانوئيل) هل يمكن للتصور ان يلحظ دقيقة من الملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد

﴿ الدكتور ﴾ نعم لا بد من ذلك فان صغر الجوهر الفرد إذا لم يمنع من تصوره وفرض وجوده وتأسيس المباني العلمية فكيف لا يمكن ان نتصور ماهو اكبر بخمسة آلاف مرة وكيف لا يمكن ان نحقق وجوده

(عمانوئيل) إذا اخذنا دقيقة ملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد ومزجناها في ماء يعادل هذه الدقيقة مائة مرة فالى كم دقيقة إنقسمت هذه الدقيقة

﴿ الدكتور ﴾ تنقسم إلى مائة دقيقة كل واحدة تعادل مائة جوهر فرد

(عمانوئيل) دقيقة الملح التي تعادل مائة جوهر فرد . قل لي كم جوهر فرد يكون كاورها وكم جوهر فرد يكون صوديومها بحساب ان النسبة في كاور الملح إلى صوديومه كنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى

ثلاثة وعشرين اليس يجب فى هذا لعملية التجريبية ان يكون في جواهر الـكلور جزء وكسر من جواهره الفردة وفى جواهر الصوديوم جزء وكسر من جواهره الفردة — ياحضرة الدكتور ان العلم التجريبي يبين لنا نسبة اجزاء المركبات بعضها من بعض والتجارب توضح لنا انقسام الدقائق فيما هو اكثر منها . والتصور بهذا النحو من العمليات المختلفة الاشكال يتكفل لنا بقسمة كل ما تفرضونه جوهراً فرداً الى الكسور البسيطة والمركبة ويبطل فرض الجوهر الذي لا يتجزى ويحكم بامتناع فرضه اذن فكيف تقول ان العلم الطبيعي يضطر إلى الأعتراف بالجواهر الفردة لم يضطر إلى الاعتراف بقبول الدقائق للصغر العجيب والانقسام المدهش كما قيل فى خيوط نسيج العنكبوت وإنقسام قمحة من (الستركنين) فى مقدار الف وسبعمائة وخمسين الف قمحة من الماء . ومقدار من الفضة فى ملايين الملايين من امثاله من الحامض النتريك .

(الشيخ) لا شك انا نرى فى العالم فى حيوانه ونباته وجماده انواعاً مختلفة وماهيات متباينة . منى . ودم . ولحم . وعظم . وعصب . وعروق وانسجة . وشعر . وصوف . وريش . إلى غير ذلك من اجزاء الحيوان المختلفة في الماهيات والألوان . والخواص وخشب . واوراق . واوراد وثمار مختلفة الألوان والخواص والماهيات وحجر مختلف بالألوان والخواص . ورمل . وتراب مختلفة الألوان ومعادن متباينة الماهيات مختلفة الألوان والخواص فاسئلك ايها الدكتور هنا لكشف الحقيقة سؤآلات ثلاثة

﴿ السؤآل الأول ﴾ هل الجواهر الفردة لكل من هذه الأنواع كانت من الأزل على صفات النوع وخواصه فجواهر المنى مني من الأزل . وجواهر الدم دم . وجواهر اللحم لحم . وهكذا بحيث تكون صفات الجواهر وماهياتها وخواصها متباينة منذ الأزل ؟

﴿ السؤآل الثاني ﴾ هل هذه الجواهر منذ الأزل وإلى الابد هي على ماهية واحدة وصفة واحدة وخاصية واحدة لم تختلف ولم تتغير لا في الأزل ولا فى الابد لا في ماهيتها ولا صورتها ولا خواصها

(السؤآل الثالث) هل هذه الجواهر منذ الأزل على ماهية واحدة وصفات واحدة ولكنها بالحركة واعمال الطبيعة تتغير ماهياتها وتتبادل صفاتها وخواصها مثلاً تكون تراباً ثم تكون نباتاً ثم يأكله الطير فتكون لحماً ثم يأكله الأنسان فتكون دماً ثم تتحول منياً . وهكذا

﴿ الدكتور ﴾ ماذا تفيدك هذه السؤآلات . إن اصحابنا يقولون إن الجواهر لا يلحقها تغير طبيعي ولا كيمياوي

﴿ الشيخ ﴾ ماذا يقول اصحابك فى الجوهر الفرد هل يقولون بانه يتغير عن كيانه الأزلي وخصائصه الأزلية ؟

(الدكتور) يقولون ان لكل جوهر من الجواهر شكلاً ولونا وثقلا ونحوها وانها تبقى على حالها إلى الأبد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيمياوي

﴿ الشيخ ﴾ هل يقول اصحابك ان في المادة والعناصر شيء موجود غير الجواهر الفردة

(الدكتور) . لا . ليس المادة الموجودة والعناصر إلا مجموع من الجواهر الفردة .

(الشيخ) اما قولك بان لكل جوهر من الجواهر شكلا فيلزمه الأعتراف بان الجواهر الفردة تتجزى بالقسمة وهو واضح فيبطل قولكم ان الجواهر الفرد هو الجزء الذي لايتجزى .

واما قولكم ان لكل منها لونا وثقلاً ونحوها وانها تبقى على حالها إلى الابد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيمياوي فهو معارض بالعلم والوجدان

وإعترافكم . فان من واضحات العلم والوجدان وإعترافات اصحابك ان العناصر عند تركبها تفقد خواصها الأصلية وتكتسب خواص اخرى قد لا يكون بينها وبين الخواص الأولى علاقة ولا نسبة . فان الكلور غازسام والصوديوم جامد سريع الأشتعال بالماء الساخن ومن تركبهما يحصل ملح الطعام المصلح . ومن تحليل هذا الملح المصلح يحصل الغاز السام والجامد الذي يشتعل . وإن روح الملح سامّ للغاية وكذا الصودا الكاوية ومن مزجهما وإحمائهما يتولد الماء والملح وهو القوام في نفع الأنسان لحيوتة . وامثلة هذا كثيرة وكلها تشهد بتغير الجواهر عن كيانها الاول وكيانها الثاني وهكذا مهما تواردت عليها الاعمال الكيمياوية . ودع ما نشاهده من التغير باعمال الطبيعة مما لا يحصى بل عليه جرى ناموس الكون في جميع الآنات

انظر إلى مادة نشو الأنسان وامثاله من الحيوان في الرحم سوآء قلنا ان تلك المادة هي مني الذكر او بيضة الأنثى . وتأمل واحسب كم يلحق اجزآء تلك المادة من التغيرات إذ تصير دماً ولحماً وعضاماً ومخاً وعصباً واوردة وعروقاً وعضلات وجلداً وشعراً وصوفاً واظفاراً باوصاف مختلفة وخوآص مختلفة والوان متعددة . وانظر إلى غـذاء الأنسان والحيوان إذ يتغير ويصير جزءً من الحيوان من احد هذه الأجزاء المذكورة ثم يتحلل بالتبادل ويتغير بتغيرات اخرى لا تحصى . ثم انظر إلى بيضة الطير حينما ليس فيها إلا مايع ابيض ومايع اصفر فاذا بها تنفلق عن طير له اعضاء مختلفة واجزاء متنوعة والوان كثيرة مختلفة ترقى إلى الوان ريش الطاوس وليس .

وانظر إلى هذه الحيوانات إذا ماتت كيف تتبدل اجزائها وتتبادل عليها التغيرات الكثيرة . وانظر إلى النبات من اول نشئه إلى احوال كبره

ورقه ووزده وثمرته وبذره واحوال فنائه فكم يلحقه من التغيرات والالوان والطعوم والخاصيات

وانظر الى احوال الارض وما يتولد فيها من المعادن والصخور والأحجار وما يلحقها من التغيرات التي لا تحصى

وبالجملة كل ما تشاهده في عالم المادّيات لاينفك عن لحوق التغيرات له بكثرة مدهشة تفوق حد الأحصاء . تلك التغيرات المختلفة الجهات الكثيرة

وعلى قولكم إن عالم المادّيات عبارة عن مجاميع من الجواهر الفردة نقول لك ان هذه المجاميع لازال التغير يتبادل عليها حالاً بعد حال فانا نشاهد ان التغير لازال يسلبها كياناً ويكسوها غيره مما لم يكن لها . وهكذا . وهكذا .

ويقول اصحابك ان قوة الجذب وقوة الدفع غريزتان للجواهر الفردة وان قوة الجاذبية في جواهر الجامدات اشدّ منها في السائلات . وفي السائلات اشدّ منها في الغازات ويلزم ان تكون في الجامدات مختلفة ايضاً بمراتب الشدّة . فانه لابد من ان تكون قوة الجاذبية في جواهر الحديد اشد من قوة الجاذبية في لب السيسبان مثلاً وهكذا في نسبة بعض الجامدات إلى بعض . وكذا السائلات . ومن المعلوم ان الأعمال الطبيعية والكيمياوية تحول الغازات إلى سائل وتحول السائل إلى جامد وتحول الجامد من نوع إلى نوع آخر اشد منه جاذبية . وتعمل العكس وتدور على المادّة بأعمالها في التحويل طرداً وعكساً حلاً وتركيباً . فهل يمكن ان يقال ببقاء الكيان الاول للجوهر الفرد مع مايطرء من التغيير على قوته الغريزية . هذا التغيير المدهش بتبادله

أيها الدكتور ان الموجود لابد ان يكون له كيان خاص في وجوده فاذا

كان واجب الوجود كان ذلك الكيان واجب الوجود فلا يمكن إذن ان يتغير ذلك الكيان الواجب . إذن فالجوهر المتغير الكيان لايكون واجب الوجود

﴿ الدكتور ﴾ لماذا لا نقول ان الاثير الأزلي هو واجب الوجود

﴿ الأثير لا يكون واجب الوجود ﴾

(الشيخ) الاثير الأفتراضي لايكون واجب الوجود فان (غوستاف لبون) يقول « ان الأثير تكاثف في القديم بسبب لا نعرفه فصار مادة » فالأثير تغير كيانه إلى المادة المتغيرة على الدوام فلا يكون واجب الوجود

واما على قول « طمسن » بان الاثير سائل تام مالئ للخلاء والجواهر الفردة اجزاء ذلك السائل تتحرك فيه بحركات زوبعية فتحدث منها الصور المتنوعة » فنقول ان تلك الجواهر الفردة المتحركة التي هي اجزاء الاثير إن كانت اثيراً متحركاً فقد تغير كيان إلى التحرك الزوبعي وتغير ايضاً بتغير تلك المتحركات إلى الصور المتنوعة بالتغير الذي لايحصى على مدى الدهور . وإن قلتم ان الاثير تغير كيانه فصار جواهر فردة متحركة تلحقها التغيرات التي لا تحصى . قلنا ان الذي يتغير كيانه لا يكون واجب الوجود

يا من ينتهي بتعليل الكائنات إلى إفتراض الاثير المزعوم . هل عندك طريق في تعليلك لا يستلزم تغير كيان الأثير ؟ كلا . لا تجد طريقاً . الموجود المادي لا يكون واجب الوجود . ولا يمكن ان يوقف عليه بالتعليل للموجودات موقفاً علمياً مهما تحركت زوابع الدعاوي وتسلسلت انواع المصادرات

﴿ الدكتور ﴾ هل بقي وجه يمنع من الوقوف بالتعليل على الجواهر الفردة او الأثير

﴿ موجد هذا الكون المنتظم عالم بغاياته ﴾

﴿ الشيخ ﴾ إن الذين يفترضون الجواهر الفردة او الأثير يفترضونها عديمة الشعور . والذي يصح الوقوف عليه بالتعليل إنما هو موجد العالم والكائنات . وهذا الموجد الأزلي هو عالم يوجد على الحكمة والغايات المعلومة له . فان كل ناظر إلى هذا الكون يراه في جميع عوالمه وانواعه واطواره وادواره ومواليده منتظماً على نظام فائق متناسب وحكمة باهرة وغايات كبيرة شريفة . وكل جزء منه صغيراً كان او كبيراً يراه مسخراً للغايات الجليلة معداً للفوائد الكبيرة مستعملاً في الآثار الباهرة جارياً على حكمة فائقة . وكلما امعن النظر واحسن الجد تجلت له حسب إستعداده من الغايات والحكم مالم يكن يخطر على باله . وها هو العلم قد صار يكشف كل يوم عن اسرار وغايات لم تكن في الخيال . اسرار وغايات يرتاح لها الشعور ويعظمها العلم ويستزيد منها العالم المجد الحر . ألا . وإن الوجدان يحكم باوليات حكومته وبديهيات قضائه ان الموجد لأمثال هذه الامور التي تهتفت بغاياتها لا بد من ان يكون عالماً بتلك الغايات قد اوجد موجوداته لأعمال غاياتها ونتائج فوائدها التي نعرف منها ما لا يحصى ويكشف العلم في كل حين عما يبهر العقول بحكمته وعظيم فائدته

هذه القطع الصوانية التي وجدها الحفريون في جوف الأرض على هيئة فاس ومنشار وسنان . كيف حكم الوجدان من اهل العلم وسائر الناس بانها صنعها البشر قبل ألوف من السنين لأجل غاياتها وفوائدها التي كانوا يتصورونها . وهذه موجودات العالم باجمعها في جميع ادوارها مرتبة على نظام الغايات مستعملة فيها على اتقن الحكمة كيف لا يحكم الوجدان بانها صنع صانع انشأها لأعمال غاياتها المعلومة لديه

إذا وجدنا مدينة ذات شوارع متوازنة وبيوت شامخة وغرف منظمة وآلات للضياء وآلات لتعديل الحرّ والبرد . وطلمبات تقسم الماء بميزان متقن إلى جميع مساكن البلدة ومعاملها . وطلمبات تجذب فضلة الماء المتكدر بالعوارض وتأتي به إلى معمل يصفيه ويقذف بطلمبا إلى اخرى إلى طلمبا التقسيم وهكذا وعلى هذا تدوم دورات الماء . ووجدنا فيها تلفونا وتلغرافا ممدودين بأتم الأدوات واحسن الاتقان . ومقادير وافرة من قضبان المغناطيس واللوالب والبراغي ولفات من شريط النحاس وصفائح من الحديد اللين . وبطاريات بكؤسها ومزيجها ومفاتيح وقوابل وروافم والواحاً معدنية واعمدة وشريطاً وغير ذلك من الأدوات اللازمة . ووجدنا ايضاً فونغرافا يعرفنا بكلامه كيف نتكلم بالتلفون وكيف نتخابر بالتلغراف . وكيف نركبها من اجزائها وكيف نصلح خللها . ووجدنا كراسي على كرسي منها عدة نسخ كتب فيها مسائل اصول الهندسة والحساب بخط جيد وإتقان فائق في ترتيبها واشكالها متساوية الوضع والكتابة والأشكال . وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها مسائل الهيئة الجديدة واشكالها . وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها الفلسفة الطبيعية بابوابها واشكالها . وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم الكيمياء بابوابه ورسوم اعماله . وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم التشريح وفوائد الأعضاء واشكال التشريح لكل جزء من اجزاء الحيوان منفرداً ومجتمعاً بما له من التشعب والأنعطاف والأستقامة والأندغام والهيئة وشرح ذلك بالاشارات والبيان الكافي فهل يسمح الوجدان ان تتوهم او تحتمل ان هذا كله من فعل الطبيعة البكماء بالصدفة العمياء حصل من مجرد حركة الجواهر الفردة وتجمعها على مرور الدهور . فصار مدينة عامرة وبيوتا

عامل وامكنة وتلفوناً وتلغرافاً وفونغرافاً وادواتها وكتباً متعددة على
وصفناه . حصل هذا كله من دون صنع صانع ولا توسط شعور ولا
صد غاية

ل يشك ذو شعور بان هذه التي ذكرناها انما هي صنع صانع . صنعت
جل غاياتها التى يقدرها صانعها بعلمه

ذن فهذا العالم المنتظم وموجوداته التي تبهر العلم والعقل بغاياتها الكبيرة
المستعملة فيها كيف يقال انه بتأثير الطبيعة البكماء والصدفة العمياء بلا
شعور بغاية ولا حكمة ؟ ! ! . لماذا لا يقال ذلك فيما ذكرناه من القطع
الصوانية . والمدينة وما فيها ؟ !

كرامة القرآن فى حججه

يا اصحابنا وإن القرآن الكريم قد احتج على هذا الأمر بنحو العموم
ووبخ العقول على غفلتها وغلبة الأوهام على وجدانياتها حيث انها تقضى
فى الأمور الجزئية الطفيفة المستحقرة فى جنب نظام العالم وتحكم
بوجدانها بان هذه الأمور الجزئية الحقيرة لابد من ان يكون وجودها
بايجاد عالم بغاياتها اوجدها لأجل الغايات . ومع ذلك يخادعها الوهم في
خلقة العالم الكبير وما فيه من الحكم والغايات فقال فى الآية الرابعة
عشر من سورة الملك المكية (الا يعلم من خلق) خالق هذا العالم
بالنظام العجيب وموجده على الحكمة الباهرة هل يمكن أن يكون لا
يشعر ولا يعلم بغاية خلقه ولم يوجده لأجل غاياته كلا . ولم يكتف فى
حجته بهذا الأجمال وان كان كافياً لذوي العقول الحرة . بل استلفت
شعور الأنسان إلى وجود لايغيب عنه ولا يخفى عليه مهما خفيت الاشياء
. ذاك هو خالق الأنسان ونشوه وتناسل نوعه وآلات نفعه وخصائص
صورته فقال فى الآية الخامسة والسادسة والسابعة من سورة الطارق المكية

(فلينظر الأنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) وقال فى الآية الثامنة والستين من سورة مريم المكية (اولم يذكر الأنسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) متجلياً بهذا الهيكل الانساني الجميل الراقى في حسن الخلقة العجيبة والشعور . وقال فى الآية السابعة والثلاثين من سورة القيمة المكية (الم يك نطفة من مني يمنى) ويستهان به بالأستمناء باليد وجماع اليائس والزانية وفي الواط (٣٨ ثم كان علقة فخلق فسوّى) بعد ان كان علقة لا صورة لها إلا صورة الدم فخلق بأحسن خلقة واتم صورة واحسن نظام يحفظ شخصه ونظام يحفظ نوعه بان خلق فيه جهاز التناسل وبقاء النوع بناموس الأجتماع والحنان والألفة التي تقوم بالتناسل والتوالد (٣٩ فخلق منه الزوجين الذكر والأنثى) وجعل لكل منها جهازاً خاصاً يؤدّي وظيفته فى التناسل وبقاء النوع وجعل فيهما ميلاً يضطرهما إلى الاجتماع والاقتراب لكى يسلم جهاز التناسل من الذكر وديعته إلى جهاز التناسل من الأنثي

ثم احتج بالآلات الموجودة فيه التي يعرف عموم البشر عظيم نفعها فى الحيوة والمجتمع الانساني فقال فى الآية الثامنة والتاسعة من سورة البلد المكية (الم نجعل له عينين ولساناً وشفتين) فانه مهما جهل الانسان بمنافع اعضائه واجزائه فانه لا يجهل الاعجوبة من منافع العينين فى الرؤية ومنافع اللسان والشفتين فى الكلام . وان اختلف الناس فى مبلغ ادراكهم لعجائب هذه الاعضاء وكان الطبيب والمشرح يدركان مالا يدركه سائر الناس من العجائب والاسرار الشريفة فى خلقة هذه الاعضاء وعظيم نفعها فى الحيوة

ثم احتج بمبدء الانسان وخلقه وبعض اقسام شعوره الآلي الذي يدرك

كل احد من الناس انه الشعور النافع فى الحيوة والمجتمع الانساني فقال فى اول سورة الدهر المدنية (هل اتى على الأنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) المراد افراد الأنسان . ومن ذا الذي يقول «لا» كل احد يعلم انه وبنى نوعه قبل مدة لم يكن شيئاً مذكوراً ومعروفاً يعتنى به . اين كان الأنسان قبل ان يولد بالف سنة هل كان شيئاً مذكوراً ؟ ألا . إن اقدم عهده بمبدأ نشئته وإمتياز وجوده نزول نطفته من ابيه فى الرحم (إنا خلقناه من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)

ثم استلفت النظر والتدبر إلى صورة الأنسان ووجهه وإتقانها واختلاف تراكيبها التى يعسر احصائها وحدها مع قلة اجزاء الوجه التى هي جبهة وحاجبان وعينان وخدان وانف وفم فقال في سورة الانفطار المكية (يا ايّها الأنسان ما غرّك بربّك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك فى اي صورة ما شاء ركبك) بحيث تمتاز من بنى نوعك على طبق الحكمة التى يقتضيها إنتظام النوع الأنساني فجعل كل واحد خلقاً سوياً معتدل التركيب باجزاء متساوية النوع والعدد وقال فى الآية السادسة والستين من سورة المؤمن المكية والآية الثالثة من سورة التغابن المكية (وصوّركم فاحسن صوركم) بالانتظام والاتقان

فهذه الآيات وغيرها تقيم الحجة على الناس بحسب شعورهم المشترك وتؤكد الحجة على كل راق فى الشعور بحسب رقيه في التنبه والعلم

وقال فى الآية الثانية عشر إلى الخامسة عشر من سورة المؤمنين المكّية (إنا خلقنا الأنسان) فى بدء خلق هذا النوع الكريم (من سلالة من طين ثم جعلناه) فى تناسله بعد ذلك (نطفة فى قرار مكين) من جهاز التناسل فى الذكر وجهاز التنازل فى الانثى وكل منهما كاف فى اداء

الوظيفة في إستقراره وصيانته في احواله واطوار تصويره إلى تمام نشوئه الرحمي (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقال في الآية السادسة والسابعة والثامنة من سورة السجدة المكية (الذي احسن كل شيء خلقه وبدء خلق الأنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة) مستخلصة يتكوّن منها الأنسان (من ماء مهين) مستقذر لا يعتنى به (ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) وقال في الآية الثمانين من سورة النحل المكية (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) هذا ما يعرفه كل احد من نعمة الخلقة فكيف إذا نظر العالم إلى اسرار خلقته فينظر إلى عظامه التي هي دعائم لبدنه وحفائظ لأجزائه الشريفة ومعدلات لوضعه واعتدال لحركاته ومرتبات لاوضاعه وإلى ما جعل لها من الاغشية واوضاع المفاصل والرباطات والغضاريف لحفظ كيانها وإرتباطها وإمكان حركاتها . وإلى الجلد الذي غلف بدنه وجمع اوصاله وحسن صورته ووقى به الانسجة الناثرة واودعه حاسة اللمس وجعل منه البشرة بمنزلة القشرة بوضع محكم وجعلها سميكة صلبة في الاجزاء المعرّضة للضغط كراحة اليد واخمص القدم . ورخوه خلويّة فيما بقي وجعل « الأدمة » باطن الجلد لدنة في الغاية متينة في درجة عظيمة في الموافقة لوقاية الأجزاء الباطنة من الآفات وجعل في الجلد منافذ تقوم بحاجات الانسان في بقاء شخصه ونوعه وجعل في الجلد ايضاً مساماً كثيرة جداً لأفراز فضول بدنه وإمتصاص مروحات اعضائه

وجعل العين على كيفية وفي محل يمكنانها من مجال واسع للبصر ووضعها

في التجويف الحجاجي وقاية لها من الآفات واستخدم في وقايتها الحواجب والاجفان والاهداب زيادة على ما لهذه الأجزاء من الفوائد . وجعل العين من طبقات ثلاث ومياه ثلاثة فالطبقة الاولى كرة مؤلفة من الصلبة والقرنية من امامها . والصلبة خمسة اسداس الكرة والقرنية سدسها وزاد في تحديب القرنية لتكون اقوى على جمع النور وثقب الصلبة من الخلف لمرور العصب البصري الذي يحمل حس البصر إلى الدماغ . وعند هذا العصب تكون وريقة رقيقة غربالية تمر من ثقوبها خيوط العصب ويمر من اكبر ثقوبها الشريان المركزي ليزور العين بدورة الدم وهو مصحوب بوريد لرد الدم إلى القلب في دورة الدم ما عدا اوردة اخرى لأكمال هذه الوظيفة . وحول الوريقة الغربالية ثقوب اصغر من الأولى تمر منها الاوعية والاعصاب الهدبية . والقرنية هي الجزء الشفاف ولها طبقات ووريقات واعصاب واجزاء يطول شرحها وتبهر العلم بفوائدها

والطبقة الثانية مؤلفة من المشيمية إلى الخلف وهي خمسة اسداس الكرة ومن القزحية من الامام وهي فاصل عضلي معلق وراء القرنية في مركزه فتحة كبيرة هي الحدقة سميت قزحية لاختلاف لونها بحسب الاشخاص كالسواد والزرقة والشهل وجعلت بهذه الالوان لتمتص إنتشار النور وهي والشبكية يثقبها العصب البصري والشرايين والاوردة

الثالثة الشبكية وهي غشاء عصبي لطيف قيل ترسم على وجهه صور الاجسام الخارجة

وتأمل في الجهاز السمعي والأذن ظاهرها وباطنها وتركيبها وحكم اجزائها الباهرة واجزائها العجيبة المدهشة كالصماخ ووصمه والدهليز والطبلة والعظيمات الثلاثة والحصى الاذنية وتيه الاذن والقنوات الهلالية وانتفاخاتها

وإنعطافاتها . والقوقعة وعصي كورتي والأعصاب السمعية والشريانات والأوردة

وانظر في وضع الفم العجيب واجزائه ووظائفها والأسنان المرتبة على مقتضى الحاجة واحكام وضع الطواحن الفوقانية بان جعل لكل واحدة منها ثلاث شعب . وانظر إلى غدد الفم وما ذكر لها من الفوائد الباهرة

وتأمل في الجهاز الهضمي وما فيه من عجائب الحكم وإتقان التراكيب وتغليف الأحشاء بالبريتون المستقصي لحفظها بسيره وإنعطافاته وإنعكاساته . وانظر إلى المعدة ووضعها وما اشتملت عليه من الطبقات والأجربة والغدد والبواب والشرايين والاوردة والاعصاب لاداء الوظائف والغايات التي ادرك العلم بعضها

وتأمل في الأبيثيليوم الذي جعل لوقاية الأمعاء بمنزلة البشرة للجلد

وتأمل في الأمعاء وحكمة تركيبها . ووضعها . وإنعطافاتها . وإنقسامها . وصماماتها . وإختصاص كل منها بعمل يحبس ما فيه إلى ان يؤدي ذلك المعاء وظيفته من الهضم وغيره ثم يقذفه إلى غيره — فمنها المعاء الدقيق المتصل بالمعدة بواسطة البواب والملتفف المشتمل على الطبقات والشرايين والأوردة والاعصاب والغدد والأوعية الرواضع الليمفاوية اللبنية . قيل وفيه يجتمع الكيموس وعصارة البنكرياس وافراز الغدد المعوية . وفيه ينفصل بعض المواد الغذائية وهي الكيلوس عن المواد الثفلية . وينقسم إلى الاثني عشري وهو اوسع اقسام المعاء الدقيق واكثرها ثباتاً . وبعده الصائم وهو اوسع من القسم الذي بعده وجدرانه اغلظ ويسمى صائماً لانه يوجد في الغالب خالياً . وبعده اللفائفي وهو اضيق وارق . وينتهي بابتداء المعاء الغليظ الممتاز بغلظه وتثبت وضعه وشكله المعقد

وحزمه المتكفلة باعمال كبيرة في الضغط والهضم والدفع . وينقسم الغليظ ايضاً إلى الأعور وهو جراب في مبتداه — وتأمل في وضعه وسعته وصمامه الذي يمنع سيل ما فيه إلى اللفائفي ولا يمنع السيل من غيره اليه — وبعده القولون وهو محيط بالمعاء الدقيق وصاعد من ابتدائه عند ملتقاه مع اللفائفي والأعور ثم يستعرض في البطن من اليمين إلى اليسار ثم ينزل في المراق الايسر ثم يتعرج وينتهي بالمستقيم الذي هو الجزء الأخير منه — ومن فوائد الغليظ هضم الطعام الذي ضعف عن هضمه المعاء الدقيق وإستخلاص ما بقي من المواد الغذائية منه — ومهما ادرك العلم وفحص التشريح من فوائد هذا الجهاز العجيب وفوائد اجزائه واوضاعه واعمالها العجيبة فانه قليل من كثير وهو مع ذلك يوقف الناظر موقف البصيرة ويعرفه آيات الحكمة الباهرة

وتأمل في الدماغ والنخاع المسمى بالحبل الشوكي القائمين بامور كبيرة في الحيوة والشعور كيف قد روعى ضعف جوهرهما عن الصدمات فجعلا في الحافظ المتينة والعظام القوية . وغشيا بالأم الحنونة والعنكبوتية والأم الجافية . ولأجل حاجتهما إلى القوى والتغذية وافراز الفضول من اخذا نصيبهما من الدورة الدموية ووصلت عامة اجزائهما بما يحتاجان اليه من الشرايين والأوردة والاوعية والاعصاب

وتأمل في القلب وإنقسامه إلى بطين ايمن وبطين ايسر واذين ايمن واذين ايسر . وإلى دوامه على الانبساط والانقباض وانظر إلى هذه الاجزاء الاربعة للقلب مع صماماتها والشرايين والاوردة وصماماتها وكيف يتألف بواسطة ذلك الانبساط والانقباض طلمبات سحب وطلمبات ضغط تدير الدورة الدموية فتكون الصمامات بمنزلة مصاريع الطلمبا على ناموس مصاريع طلمبا السحب ومصاريع طلمبا الضغط

وانظر إلى الشرايين وانبعاث جذعها من البطين الايسر للقلب وكيف تتشعب من جذعها إلى عامة اجزاء البدن كتشعب الشجرة إلى الاغصان الكثيرة وان موقع السطحية منهـا وما هو قريب من السطحي يكون غالباً في المواطن المحمية كجهات الانثناء في الاطراف . ومن فوائدها انها تحمل الدم الصالح من البطين الايسر للقلب بواسطة جذعها وضغط البطين بانقباضه وتوصله إلى عامة اجزاء البدن — وانظر إلى صمامات الشرايين وفوائدهـا التي منهـا موازنة الدم في قنوات الشرايين ليؤدي الوظائف المطلوبة — وانظر إلى تفمم الشرايين وهو ان جميع اغصانها وفروعها تتواصل فيما بينهـا بقنوات عرضية شريانية لكي تقوم هذه التفممات بالوظيفة الشريانية في إيصال الدورة الدموية وغيرها من مغذيات البدن وقواه عند مايعرض لبعض اجزاء الفروع الشريانية من السدد والاختناق وشد الجراحين او قطعهم للشريان وغير ذلك — وانظر إلى سير الشرايين فانه في الغالب مستقيم لكنه قد يتمرج لموافقة حركة الاجزاء كالشريان الوجهي والشفويني وكذا الشرايين الرحمية رعاية لكبره عنـد الحمل . وانظر إلى جعـل الشرايين كثيرة البناء متينة مرنة لكي تقوى على الدم المدفوع بالضغط وتقبل الاتساع عند زيادته او عروض مزيج له . وهي ايضاً قنوية الوضع لا تنخفض كالأوردة إذا خلت . ومتحركة دائمـاً نابضة بالانبساط والانقباض . والمظنون ان كل قناة بين صمامين تكون بانبساطها طالما جذب من التي قبلها من جانب القلب وطالما ضغط للقناة التي بعدها . وهذا يكشف عن اهمية عملها في الحيوة . وربما يكون منه النسيم اللطيف المسمى اكسجين الهوآء لكي تحظى جميع اجزاء البدن بزيارته وتحييته بترويحه . وربما تكون لحركتها فوائد اخر لم يصل اليها العلم بعد . كما انه لا سبيل إلى حصر عملهـا الحيوي بمادة او مواد

معينة . وقد رؤي للشرايين العظيمة اوعية دموية تسمى اوعية الأوعية وهي شرايين تبعد عن نقطة توزيعها . ولها ايضاً اوردة تأخذ منها الدم الوريدي إلى الأوردة المرافقة لها ولها اعصاب تؤدي الوظائف العصبية

وانظر إلى الأوردة التي هي اغلظ واكثر عدداً من الشرايين وهي ايضاً متشعبة في عامة اجزاء البدن تشعب الاغصان من جذعها المتصل بالبطين الأيمن من القلب . ومن فوائدها انها تجمع الدم من جميع اجزاء البدن وترجع به إلى البطين الأيمن من القلب . ومن سير الدم في الشرايين ورجوعه في الأوردة تتكون الدورة العامة للدم

وانظر إلى الأوعية الليمفاوية . وإنتشارها في الجسد . وصماماتها المانعة لسائلها عن التقهقر . اولأن تجعل السائل متوازناً في اوعيته لكي تتوازن اعماله . اولأن تقوم بعمل آخر ـــ وانظر الى تفمتها وما يا ... تقوم بنهاية التفمم الجارية في الشرايين والأوردة ـــ وانظر ... ذكر لها من الفوائد من إمتصاصها الكيلوس والمواد السائلة « ليمفا » وحمل ذلك السائل الصالح اخيراً الى الدورة الدموية ـــ والى الآن لم يشخص العلم حقيقة هذا السائل لكي يعرف مقدار اثره في الحيوة وحقيقته . وإن لفظ ليمفا بمعنى سائل

وتأمل في وظيفة الرئة ودوام حركتها بالانبساط والانقباض وفي اوردتها وشرايينها . فان الشريان الرئوي يخرج من البطين الايمن للقلب فيحمل منه الدم الأسود الوريدي الراجع اليه من اجزاء البدن في الدورة الدموية العامة وينقله بفروعه واغصانه الى الرئة لتصفيه وتطهره من العناصر الضارة وتمده بما يلزم لقيام الحيوة وتحوله الى دم احمر شرياني فيأخذه الوريد الرئوي ويوصله دماً صالحاً الى البطين الأيسر مبدء الدورة العامة وهكذا في كل دورة . وقيل في تصفية الدم في الرئة وإمداده بالمواد

الحيوية ان الدم يأخذ من التنفس الداخل اكسجين الهواء ويفرز المواد الضارة او الكربون فتخرج بالتنفس الخارج . وانظر الى الكبد واجزائها ورباطاتها واعصابها وشريانها وفروعه والوريد الباب والوريد الكبدي وفروعها والقناة الكبدية والأوعية الليمفاوية وفى وظيفة الكبد في إفراز الصفرا من الدم وإرسالها الى الحوصلة المرارية . والى ما قيل من ان الشريان الكبدي يحمل الدم الشرياني للكبد لأجل تغذيته . والوريد الباب يحمل الدم الممزوج بالصفرا لكي تصفيه الكبد . والوريد الكبدي يحمل الدم الصافى من الصفرا الى القلب فيكون الكبد قائماً بوظيفة دورة دموية صغرى لأجل تصفية الدم كما فيالدورة الرئوية — او كما قيل فى الطب القديم من ان الكبد محل هضم الكيلوس وتمييز الأخلاط منه بعضها عن بعض وتقسيمها على مجاريها ومعادنها حسب وظائفها فى قوام الحيوة

وما عسى ان يقال فى الأوعية البولية . وآلات التناسل . والأعصاب . والأغشية . والغدد . والعضلات . والرباطات . والغضاريف . ومواضع ملتقى العظام . واوضاعها الموزونة بالحكمة . واعمالها المدهشة وغاياتها العجيبة .

ولا يخفى ان الذي ادركه علماء الطب والتشريح من فوائد اجزاء الحيوان وغاياتها فى الحيوة من كثرة سعيهم انما هو قليل من كثير خفي عليهم . ولا زال العلم يجد فى استكشاف الحقائق المجهولة فيتجلى له منها تدريجاً ماينهج به ارتياحاً

ثم انظر الى اجزاء الحيوان على اختلافه وامتيازاتها التى يقتضيها وضع الحيوان وحاجاته وما يراد منه

فهل يكون هذا كله بلا موجد يعلم بالغايات ؟ الغايات الكبيرة الشريفة

التي ادرك العلم بعضها وذكرنا يسيراً من ذلك

هل يسمح الوجدان بان يقال ان هذا كله من الصدفة العمياء والطبيعة البكماء ؟ وكيف يغيب عن الشعور ما ذكر في صحيفة ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ وقد بنى القرآن الكريم إحتجاجه في الالهية على هذه المقدمة الفطرية البديهية التي عليها عمل البشر في جميع ادوارهم واحوالهم فوبّخ ذوي الاغراض على تغافلهم عن هذا الأمر الذي جعلناه في صحيفة ٥٩ المقدمة الاولى فقال من جملة ذلك في سورة الملك المكية (ألا يعلم من خلق) كما ذكرناه صحيفة ١٠٣

اما انه لو سمح القصور بهذا القول للمغفل الغبي الجاهل فان العلم والشعور الحرّ لا يسمحان به للعالم والعارف والطبيب والمشرّح الملتفتين إلى عجائب اجزاء الحيوان وغاياتها الشريفة المدهشة بمناية حكمتها

﴿ رمزي ﴾ إن جملة من اجزاء الحيوان لا فائدة فيها ولا غاية . وذلك كالغدة الدرقية . والزوائد الدودية والغدد الوحيدة في سطح الأمعاء . بل إن الغدة الدرقية والزوائد الدودية معرض للأمراض المهلكة

﴿ عمانوئيل ﴾ يا صاحبنا يا رمزي . هذا الدكتور المتقدم في الطب والتشريح لماذا لم يقل مثل ما تقول ؟ ولماذا لم يجعل مثل قولك إعتراضاً علينا . او تشكيكاً في مقصدنا فانه لابد من ان يكون سمع ما تكلمت انت به او رآه مكتوباً كما رأيته انت . ألا تعرف إن شرف علمه يمنعه من ان يعترض بمثل إعتراضك . من اين علمت ان الغدد الوحيدة لا فائدة لها ولا غاية في وجودها ؟ هل اعلمتك بذلك الطبيعة البكماء ؟ هل انت حينما كنت جنيناً في بطن امك رصدت الغدد الوحيدة في امعائها وراقبت احوالها بمهارة العلم وجودة الفحص وعلوّ الفطنة فكشف لك العلم الصحيح والتجربة عن ان الغدد الوحيدة لا غاية لوجودها ولا فائدة

حتى في حفظ جوهر الماء او مساعدته في اعماله ؟ وهل جرى لك مثل ذلك مع الغدة الدرقية ؟ لا . يا صاحبي لا ينبغي ان نجعل جهلنا بالفائدة والغاية دليلاً عامياً على عدمها . هب انا حالاً لا نخجل من اجل ذلك من العلم . ولكننا نندم كثيراً إذا قيل لنا ان الدكتور فلان إنتزع الغدة الدرقية من جملة من المصابين بمرض الجواتر فوقعوا بالبلاهة التامة . حيث يكشف لنا العلم عن ان الغدة الدرقية لها المداخلة الكبيرة في حفظ الشعور وإستقامته . بل إن كبرها في الانثى عند الحمل يكشف عن ان لها مداخلة كبيرة في إمتصاص المواد العفنة ومنعها عن التصاعد إلى الدماغ . واما ظهور الأمراض الشديدة فيها فانه يكشف عن ان لها عملاً كبيراً في حبس المواد الضارة عن الوصول إلى الأعضاء الشريفة . ولكن تلك المواد قد تزيد على ما للغدة من القوة النوعية فيظهر المرض كما هو السنة في جميع الاعضاء فانظر إلى القولون والرئة . وبمثل هذا يجري الكلام في الزوائد الدودية — ثم يا رمزي إن الذي ذكرناه من الأجزاء وعجائب غاياتها ليكفي الوجدان الحرّ في حكمه بان موجدها اوجدها لأجل تلك الغايات التي كان يعلمها . وهب انه توجد اجزاء لا غاية لها كما تقوله انت فغاية ما يدل ذلك على ان الموجد قد يخالف الحكمة ويوجد اشياء لا فائدة لها . إذا رضي لنا شرف العلم والأدب ان نقول ان هذا العضو لا فائدة فيه . وهيهات

﴿ رمزي ﴾ إن هذه الغايات المذكورة في كلام الشيخ هي التي اوجدت الموجودات التي تحصل الغايات منها . فان الرؤية هي التي اوجدت العين التي تحصل منها على ناموسها واجزائها . والسمع هو الذي اوجد الأذن التي يحصل منها . والشعور هو الذي اوجد الدماغ الذي يحصل منه . وكل غاية هي التي اوجدت العضو التي تحصل منه . وحيوة الشخص هي التي

اوجدت الأجزاء الحيوية لذلك الشخص . إذن فما هي الحاجة إلى موجد آخر عالم بالغايات المذكورة يوجد الموجودات لاجل غاياتها

(عمانوئيل) قد سمعنا هذا الكلام عن بعض الصحف العصرية كما رأيته انت . ولكن أليس لنا في حقوق الشعور والخطاب ان نسئلك عن المعنى الذي فهمته انت من هذا الكلام وإعتمدت عليه في كلامك ـــ فهل تقول إن هذه الغايات صار علم الموجد بها داعياً له لأيجاد الموجودات التي تحصل منها الغاية . كما ان تصور النجار للجلوس على الكرسي يكون داعياً له لأن يصنع الكرسي . وبهذا الأعتبار نتسامح ونقول ان الجلوس التصوري اوجد الكرسي . بمعنى انه صار داعياً للنجار الذي هو الموجد الحقيقي للكرسي

او تقول ان هذه الغايات هي الموجد الحقيقي والفاعل للايجاد فلا موجد سواها ولا علة فاعلية غيرها

يا صاحبنا يا رمزي ان القول الأول هو عين قول الألهيين بان الموجد للموجودات اوجدها لداعي علمه بغاياتها وحكمتها ـــ واما القول الثاني فهو قول غير معقول . يا صاحبنا إن الغايات التي تذكرها هي أعدام محضة قبل وجود الأجزاء التي تحصل عنها . فهل يقول ذو شعور بان العدم والمعدوم يكون موجداً وعلة فاعلة للايجاد . هل يقول احد ان المعدوم يكون موجداً حقيقياً للموجود ؟ ؟ انت تقول ان الغايات تحصل بالأجزاء فكيف تكون موجداً وعلة فاعلية للاجزاء ؟ ـــ اعيد سؤالي عليك واقول لما ذا لم يتكلم الدكتور بمثل كلامك مع انه هو المترشح لكالة الشيخ . اتدري لما ذا ؟ لأن له علم وشعور يميز بهما ما يكتب في الصحف

ومن حجج القرآن الكريم

﴿ الشيخ ﴾ وقال الله تعالى تأكيداً للحجة وقطعاً للمعاذير فى الآية الثانية من سورة الجاثية المكيه (إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين) بالحقايق المتجلية . لا يغالط إيمانهم بها غمزات المضبية وفلتــات التقليد الأعمى ومكابرة الوجدان الحرّ بعبودية الهوى وشكوك الوساس . فترى هؤلاء يهتدون بنور عقولهم ووجدانهم الحر في العرفان . كما يهتدون بذلك في سائر الأمور (٣ وفى خلقكم) ايها الناس وما فيه من عجائب الغايات وإتقان للصنع وبدايع الحكمة الباهرة كما ذكرنا وذكر العلم منه قليلاً من كثير (وما يبث من دآبة آيات لقوم يوقنون) على نهج مستقيم فى فى الأهتدآء بأسباب اليقين ودلائل العلم . فلا تراهم يصرفهم الهوى عن اليقين مع وضوح الحجة او يلوى افكارهم إلى زخارف الأوهام : وفى الآية السادسة من سورة هود المكية (إن فى إختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون) وبال الجمود الاعمى . ونقائص الجهل المركب . ورذيلة إتباع الأهواء . ومكابرة الحجة الواضحة والوجدان الحر . ومضارّ الانحراف عن النهج الواضح . وهلكة الوقوع فى تيه الضلال

لا حاجة لنا فى ان نهض الهيئة الجديدة بان نقول ان السموات افلاك تامة منضدة في غاية اللطافة والشفافية بحيث لا تحجب عن النظر شيئاً . ولا حاجة لنــا ايضاً فى المطالبة بالحجة الكافية على انه ليس هنالك افلاكاً موجودة وسموات منضــدة وانه ليس الموجود إلا اجرام الكواكب تدور سياراتها فى الفضاء ويستقر مركز ثوابتها فى الفضاء ـــ ولا تحسب إنا نعتمــد على الهيئة القديمة وما تخيلته من دعاوي الأبعاد والأجرام والافلاك الجزئية . فان حجة القرآن الكريم لا مساس لها بشيء من ذلك . بل يمكن ان نجارى الهيئة الجديدة ونقول ان المراد من السموات

مراتب العلوّ المحددة بمدارات السيارات

وكيف كانت الحقيقة فانظر إلى ما في السموات من الكواكب العجيبة من ثابتة في مركزها وسائرة في مداراها على نظامات مستمرة : هذه الثوابت لماذا لم تعمل بها جاذبية وبماذا لزم كل كوكب مركزه

ولنتكلم على وفق الهيئة الجديدة — فانظر إلى حركة ارضنا وسيرها على منطقة البروج بمدار بيضي . ابعده عن الشمس يكون عند السرطان في نصف الكرة الأرضية الشمالي . واقربها عند الجدي في النصف الجنوبي — وإن اردت ان تلتفت إلى ما في هذا الوضع من الغاية العجيبة والحكمة الباهرة في التعديل وموازنة الحرّ والبرد والقرب والبعد من الشمس بحسب اليابسة المسكونة فاعرف ان اقصى وصول اليابسه من ارضنا في جهة الجنوب إنما هو رأس القرن من إمريكا الجنوبية وهو لا يزيد على الدرجة الخامسة والخمسين من العرض الجنوبي مع قلة المسافة فيما بين المشرق والمغرب وقلة الساكنين . واعرف ان اليابسة المسكونة من آسيا واروپا وامريكا الشمالية تمتد إلى نحو الدرجة الثمانين من العرض الشمالي مع كثرة المسافة جداً في ما بين المشرق والمغرب وكثرة الساكنين فالنصف الشمالي إن قرب من الشمس من حيث البروج بعد عنها من حيث المدار البيضي وان بعد عنهما من حيث البروج قرب منها من حيث المدار البيضي . كل ذلك مراعاة لأهمية العمران في القسم الشمالي الواسع بحسن التعديل والموازنة

ثم انظر إلى دور الأرض على الشمس على منطقة البروج وحركتها اليومية على نفسها فكم ترى في ذلك من الغايات الكبيرة في موازنة الآثار . وتعديل العمران . وتوزيع المنافع . واخذ كل جزء من الأرض حظه من النور بناموس مقدر على الدوام . وتعديل الحرارة والبرودة . وتنفس

الأستراحة . وإستنشاق النسيم الخالص . وموازنة الزمان . وحفظ التاريخ

وانظر إلى قمر ارضنا كيف تبع الأرض في دورها على الشمس واستقل بمداره على الأرض مائلاً متحايداً عن منطقة البروج بهيئة مقدرة وحركة متوازنة . وانظر إلى ما في ذلك من الغايات الكبيرة التي منها جعل تاريخ شهري يعرفه العموم . وتوقيت تجريبي للناس في ليالي الشهر بحسب الطلوع والغروب والعلو والانخفاض ودليل هاد في غمرات البحار وفلوات البوادي . ومنها موازنة تأثيراته ونوره الضعيف في المسكون . ومنها تقليل إتفاق الخسوف والكسوف . ولو لا ذلك الميل لوقع الخسوف والكسوف في كل شهر — ولينظر الفلكيون المكتشفون لأقمار المريخ . والمشتري . وزحل ويعتبروا بالحكمة التي راعت ابعادها عن الشمس فمنحتها بالاقمار التي تعكس اليها نور الشمس فتزين لياليها ببهجة النور وبهائه وكبير نفعه وعظيم اثره . وقد وازنت الاقمار على الأبعاد فجعلت لارضنا قمراً واحداً . وللمريخ الزائد على ارضنا بالبعد جعلت قمرين . وللمشتري الزائد على المريخ بالبعد جعلت اربعة اقمار . ولزحل الزائد على المشتري بالبعد جعلت ثمانية اقمار او اكثر . فياله من عطاء يراعي الحاجة ويجري على الحكمة — هذا ما يعرف من غايات الصنع ومواقع الحكمة في العالم العلوي البعيد عنا

النظام الأرضي وعجائب غاياته

وهلم إلى النظام الأرضي وانظر إلى ما فيه من الغايات الكبيرة والعجائب الباهرة التي لا تخضع إلا إلى سلطان القدرة ومواقع الحكمة

البحار وعجائب غاياتها

والظر اولاً إلى البحار وبديع التصرف بها بنحو يبهر العقول . إذجملت

بحيث لا يعتريها التعفن ولا التغير بالمؤثرات كما يتغير الماء المحقون ويتعفن في ايام يسيرة . وناهيك به مخزناً للماء الذي به تقوم حيوة الحيوان والنبات حيث جعلتها الحكمة تسقي جميع المسكونة بالأمطار والثلوج وبالقنوات المندفعة بالقوة إلى العوالي من الهضاب ورؤس الجبال فتنبثق عيوناً تجري منها الانهار بعد ان تحيلها العناية في الامطار والثلوج والعيون مياهاً عذبة سائغة تقوم بتربية الاروآء والأمد بالقوة كالأم الحنون

وناهيك بها ملطفاً للهواء ومعدلاً للحرارة . وجادة تسهل المواصلات السفرية ونقل الاحمال الثقيلة

وانظر إلى عجيبة المد والجزر في البحار وإن كنا لا يظهر لنا من فوائدها إلا حفظ كيان المواني والمرافي مما يتراكم فيها على طول الزمان بالجاذبية وقذائف الأمواج . واعجب من ذلك ان المد والجزر السائدين على عموم البحار لا سيادة لهما على البحر الأبيض المتوسط بحر الروم الممتد من بوغاز جبل طارق إلى بوغاز القسطنطينية . ولا على البحر الأسود الممتد من فوق باطوم إلى البوسفور . ولا على البحر البالتيك مما بين فرانسه وكرينلاندا إلى سويدن وفينلند مع إتصال هذه الأبحر الثلاثة بالمحيط بل إن البالتيك لا يمتاز عن المحيط الاتلنتيك بمضيق وبوغاز يحدّه

افلا تعجب من البحر الأبيض المتوسط إذ يجري فيه تيار كبير من بوغاز جبل طارق على الدوام ويجري اليه البوسفور من البحر الأسود ومع ذلك لا تجد لمائه زيادة . فهل انت تقول كغيرك ان ما يجري فيه يخسر مثله بالتبخير . افلا تدري ان جاره البحر الاسود يفند هذه المزاعم ويوبخها بالنقد إذ يقول بلسان حاله انا جاره وتبخيري مثل تبخيره وامطار مياهي مثل امطاره ولا مدد لي من تيار ونحوه بل إني دائم الجريان على البحر

الابيض فماذا يجبر خسراني ؟ ! ! هل ظهر علي النقص ؟ ان فوق اوهامكم تدبيراً . ووراء الطبيعة البكماء حكمة

وانظر إلى بحر الاتلنتيك وهو ما كان غربية إمريكا وشرقية اوربا وإفريقا وربما يبلغ عرضه اربعة آلاف ميل . وانظر إلى إستقامة الرياح فيه ولزومها لمهب مستقيم . فهو فيما بين الدرجة الثلاثين من العرض الشمالي ومثلها من الجنوبي تكون رياحة مشخصة معلومة . ففي شمالي خط الأستوآء تكون ما بين الشمالي والمشرق . وفي جنوبيه ما بين الجنوب والمشرق . وفيما يقرب من خط الأستواء تكون من المشرق

وانظر إلى المحيط الباسفيك وهو المحيط الحليم الهادي وهو ما تكون إمريكا في شرقه وآسيا وإستراليا في غربه . ويمتد من نحو الدرجة السادسة والستين من العرض الشمالي إلى الثامنة والخمسين من العرض الجنوبي . وهو على هذه السمة غالب الهدو والسكون وإستقامة الريح حتى قيل ان السفن لا تحتاج فيه إلى تغيير وضع الشراع . وما تاهت فيه سفينة ولا تضررت — فكأن العناية لحظت طرق المواصلة بين إمريكا والقارات في الشرق والغرب في الباسفيك والاتلنتيك فرفعت في لجج هذه البحار العظيمة اخطار العواصف والزوابع

وانظر الى تيارات البحار التي لم يحص العلم عددها وشعبها ومواقع سيرها والتقائها ورجوعها وإنما ذكر منها ما بلغه الاكتشاف المتشتت . فمن ذلك التيار الأستوائي في البحر الهادي الذي يخرج من شواطي إمريكا الجنوبية فيما بين مملكتي « بيرو » و « شيلي » جنوبي خط الأستوآء ويسير بنحو الأعتدال الى الغرب الى نحو جزائر « ماليزا » الواقعة في شمالي إستراليا وتخرج منه عند اول الجزائر فرعان احدهما يسير الى الشمال الشرقي موازياً لجزائر اليابان وما بعدها من آسيا الى بوغاز

« بهرنج » فى اول المنقطعة الباردة فى طول ١٧٤ غربي باريس تقريباً . والفرع الثاني يتوجة إلى الجنوب نحو « زيلاندا » الجديدة إلى المنقطعة الباردة . ومن ذلك التيار الأتلانتكى الخارج من سواحل إفريقا الاستوائية من خليج « غينا » . فيسير بنحو الاعتدال إلى نحو رأس « سانروك » من إمريكا الجنوبية فتسير شعبة منه إلى الجنوب مع شواطي إمريكا الجنوبية إلى طرفها تقريباً فيما دون الدرجة الستين من العرض الجنوبي وترجع من هذه الشعبة شعبة إلى رأس الرجاء الصالح ثم تمر إلى الشمال إلى خليج غينا . ويرافقه فى طريقه الشمالي بينه وبين الشاطي شعبه من التيار البارد الجنوبي — وتسير الشعبة الأخرى من نحو سان روك ايضاً مائلة إلى الشمال الغربي إلى جزائر « انتيله » فى خليج « المكسيك » وهناك يقوي التيار فيسمى بالتيار الخليجي ويسير محاذياً لشطوط الولايات المتحدة مائلاً إلى الشمالي الشرقي الى شواطي الأرض الجديدة قرب الدرجة الخمسين من العرض الشمالي وهناك يندفع بعضه فى تيار قطبي وبعض يتوجه إلى الشرق فتسير شعبة فى البالتيك مارةً على سواحل « كرينلاندا » و « ايسلاندا » وإنكلترا ونروج وشعبة تسير مع شاطي البرتغال إلى شاطي إفريقا ويدخل البحر المتوسط من بوغاز جبل طارق شعبة منه . وهناك شعب اخرى من التيارات الأستوائية

ومن التيارات التيارات القطبية التي تحمل الماء البارد إلى المناطق المعتدلة والحارة

ألا تنظر إلى الغايات الكبيرة والحكمة الباهرة في هذه التيارات . ألا ترى ان العناية بالغايات قد لحظت السير فى اقطار الدنيا لعموم العمران فشرعت للسائرين جادّات منتظمة محدودة دآئمة تتكفل بحسن الدلالة وراحة السير وعموم المواصلة وربط القارّات بعضها ببعض والأمان من

اخطار التيه وغيره

فكأن العناية تنادي يا من يريد السفر إلى اميركا اسلك بسفينتك الجادة المشروعة للدلالة والأمان وهو التيار الذي فى خليج غينا وسر على استقامة الجادة وحدودها إلى رأس « سان روك » فى اميركا — فان كنت تريد إمريكا الجنوبية خذ جادتك الأمينة فى الشعبة الجنوبيه إلى اي شاطئ اردت . وإن كنت تريد اميركا الشمالية خذ جادتك الأمينة فى الشعبة الشمالية فاسلك في الشعبة الموازية لجزائر « انتيلة » إن كان قصدك إلى المالك المتحدة والارض الجديدة وكندا . وإن كان قصدك إلى بلاد المكسيك والشواطي الواقعة على خليج المكسيك فاسلك فى الشعبة الداخلة الى الخليج الخارجة مما بين « كوبا » وراس « فلريدا » وان كنت تريد الرجوع الى إفريقا فاطلب الشعبة الراجعة الى غينا . وان كنت تريد المسير فى الجادة الى كرينلاندا وايسلاندا وبريطانيا ونروج فاطلب الشعبة المارة بهذه البلاد — ويا من يطلب السفر من اميركا الى مشارق آسيا اسلك في الجادة الامينة من قرب « بيرو » الى جزائر « مالزا » وإن كان لك غرض في جزائر « اسپانيكا » فانها على القرب من جادتك . وإن كان لك غرض في زيلاندا الجديدة فسر فى الشعبة الجنوبية . وإن كان غرضك فى بلاد اليابان او ما فى شمالها من السواحل الى بوغاز بهرنج فسر في الشعبة الشمالية ولك حسن الدلالة والأمان من كثير من الاخطار

يا اهل الشواطي البـاردة لـكم البشرى بتعـديل البرودة بحرارة التيارات الاستوائية المارّة بشواطيكم . واستنبتوا بعض النباتات التى لا تنبت فيما يساوي بلادكم فى درجة العرض حيث لا تزورها التيـارات الاستوائية . واقبلوا زيارة الاخشاب الاستوائية وانتفعوا بها .

ويا سكان الشواطي الحارة ويا سالكي البحار بشراكم بتعديل الحرارة بالتيارات القطبية الباردة . وإن كنتم تعدون من فوائدها ضغط البخار لكي يتصاعد فينعقد سحابا ماطراً فاعرفوا شرف هذه الغاية . ألا . وإن اختصاص التيارات بمجاريها من جنوبي خط الاستواء . ولزومها لها ودوامها على حالها وتشعبها في نقاط مخصوصة ورجوع بعضها من الغرب الى الشرق وذهاب بعضها الى الجنوب بميلة الى الغرب كالمار بشواطي البرازيل الى آخر اميركا الجنوبية . وميل بعضها الى الشمال الشرقي كالمار من خليج المكسيك الى الأرض الجديدة والمار من جزائر ماليزا الى بوغاز بهرنج ووجود التيارات القطبية المتوجهة الى جهة خط الاستواء لا الى الغرب هذا كله مما يعرّفك الخطأ في الوجوه التي ذكروها لتعليل التيار بامور طبيعية . بحيث لا يقف زيف هذه الوجوه امام النقد العلمي على رغم الصدفة العمياء المعشوقة والطبيعة البكماء المحبوبة

ألا . تعجب ممن يعرض عن البحث عن غاية الكائن ولا يجدّ السير في إكتشاف فوائده النافعة في الحيوة والعمران . ومع ذلك يتقهقر الى اوهامه في تعاليل الصدفة العمياء فيضطهد شرف الغايات ويصرف عنها الأنظار لولا بقية روح علمي بقي من تأسيس السلف يحرك على طلب الفوائد والغايات فيما ينفع البشر

الأرض اليابسة

وانظر الى مسكننا الأرض كيف قد مهد الكثير منها للسكنى والزراعة وإختلفت اوضاع الباقي للقيام بلوازم العمران ودوام الراحة في المسكون وتعديل لوازمه . وكيف جعل تفجر العيون من الاعالي لكي يتهيأ عموم الري . وامدتها الامطار لاكمال النفع

افلا تنظر الى سيول الامطار وذوبان الثلوج وجري الانهار الكبيرة .

كم تحمل من الجبال والوهاد فى سيلها الجارف من الاطيان والصخور على مرّ الدهور والأحقاب وتقذفه فى البحار على وجه لو اهملت العناية اصلاح هذا الحال وتداركه لاضمحلت الجبال والهضبات وملأ الطين اعماق البحار والخلجان فاستولى الماء على المسكون — وها انت وكل الناس تعلمون ان الجبال . والهضبات . والبراري والوديان والبحار والخلجان على حالها منذ زمان يبلغه التاريخ بجهده . وهذه الآية الكبيرة التي يكفي العاقل فيها اقل تنبيه قد اشار اليها القرآن الكريم واستلفت العقول الى اعجوبتها وحججها بقوله تعالى في سورة الذاريات المكية فى الآية الثامنة والأربعين (والأرض فرشناها فنعم الماهدين) وقوله فى الآية الثانية والثلاثين من سورة النازعات المكية (والجبال ارساها) وحفظ وضعها ومهاد الأرض بأسباب القدرة وآثار الحكمة ورعاية الغايات باتقان ماهد لا تغفل عنايته عن رعايه دام المهاد ورسوّ الجبال فى مراكزها على الناموس الذي تقوم به غايات خلقها ونعمة منافعها فلا تقوى العوارض والكوارث على تغيير هيئة هذا المهاد وهذه الجبال . بل لا تزال العناية فى تعديل وضعها وحفظ صورتها النافعة — والمظنون ان المستخدم المسخر في هذا التعديل هي النار السيارة فى جوف الأرض على الدوام لأداء هذه الوظيفة الكريمة وغيرها من سوق الماء وإصعاده إلى العوالي كرؤس الجبال واعالي الهضاب . وتوليد المعادن والصخور والأحجار لتقوم بمنافعها للبشر . وتعديل مياه البحار وحفظ مناسباتها . وتصعيد البخار لاداء منافعه إلى غير ذلك مما لم يدركه العلم بعد

وانظر كيف جعل لهذه النار السائرة منافذ تخرج منها وجواذب تعدل سيرها وتدفع عادية حركتها القوية عن الارض . وهذه المنافذ هي منافذ البراكين « جبال النار » . وهي فوهات في اعالي كثير من الجبال

تخرج منها النار باحوال عجيبة ترشد إلى الحكمة الباهرة . ومع ذلك فقد ابقت الآيات اثراً للاعتبار وإشارة إلى الموعظة وعظيم المنة وذلك ان هذه النار السائرة قد تزيد على مجاريها او تكثر فى مكان لأجل تأدية اعمالها فتحاول ان تخرج من قشرة الأرض فتحصل الزلازل الخفيفة او الهائلة وربما يتعقبها الانفجار او الخسف وفى ذلك ألطف إستلفات إلى النعمة العظيمة والغاية الكريمة في خلق جبال النار « البراكين » وسائر الجبال الجاذبة للنار والمثبتة لقشرة الارض . وإلى ذلك اشار القرآن الكريم في الآية الخامسة عشر من سورة النحل المكية بقوله تعالى (والقى في الأرض رواسي ان تميد بكم » ونحوه فى الآية الثانية والثلاثين من سورة الأنبياء والتاسعة من سورة لقمان المكيتين . ولو لا هذه الجبال الراسية بالحكمة والمصرّفة للنار لاستولى الميدان والزلزال على الأرض

وانظر إلى اجزاء الأرض وقطعها المتجاورة فانك تراها مختلفة اختلافاً كثيراً لم تجر على قياس مطرد . فترى في المنطقة الحارّة فيما يقرب من البحار وما يبعد عنها ارضاً طينية زراعية . وارضاً صخرية نارية . وصخرية كلسية . وارضاً رملية بينها طبقات مستحجرة . وترى ذلك فى المنطقتين المعتدلتين والمنطقة الباردة الشمالية

وانظر إلى الثمار التى تنبت فى ارض واحدة وتسقى من ماء واحد وهي متساوية فى مهبّ النسيم واشراق الشمس وتأمل في حكمة إختلافها في الأوضاع والخواص والطعوم واللذات

إحتجاج القرآن الكريم

وقد جمع القرآن الأحتجاج بهذا كله فى سورة الرعد المكية في الآية الثالثة والآية الرابعة بقوله تعالى (وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها

رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين إثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في خصائص هذا الكون وآثاره فيعرفون دلائل القدرة وآثار الحكمة (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضه على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) لزوم تعليل الحادث وآيات قصد الغايات — وقد اوضح القرآن ما بلغه سير العلم بعد جهد جهيد من ان كل ثمرات التوالد ونتاج التوليد الذي يبقى به النوع من الحيوان والنبات جعل فيها ذكورةً وانوثة زوجين إثنين للتلقيح واثمار النتاج .

وانظر إلى ما يبثّ في الدنيا من دابة . وتأمل في عجائب الخلق فيها ومواقع الحكمة . وانظر اولاً إلى الأبل وتسخيرها لمنافع الانسان في المفاوز المعطشة والمسافات البعيدة . تصبر على العطش وتقنع بالحطب . وانظر إلى الحكمة كيف راعت احوالها مع الأحمال الثقيلة ونظرت إلى جسر ظهرها الطويل . وضعفه عن معاناة الحمل الثقيل وصدمة ارتجاجات الاحمال وزيادة ثقلها عند ما تنهض للقيام وعند ما تبرك . فجعل لها السنام لكي تكون كيفية تحميلها على نحو يتوجه فيه الثقل من الاحمال وارتجاجاتها إلى قوائم يديها ورجليها . فتكون قوائمها هي الدعائم المقاومة للثقل الكثير . وجعل لها في صدرها ثفنةً تعتمد عليها عند النهوض وتسهل تحريك يديها للقيام وتقي عظام صدرها من ضغط الحمل وثقل إرتجاجه . وراعت الحكمة طول اعناقها فجعلت تركيبها عمودياً لكي تخف وتعين بخطراتها على المشي . وجعلت اخفافها عريضة لينة مراعاةً لعلوّها وكبر جثتها وثقل احمالها . . وقد إستلفت القرآن الكريم انظار الناس إلى التبصر بعجائب هذا الحيوان المألوف وما في خلقته من انواع الحكمة التي تتساهل

بهـا الألفة فقال تعالى فى سورة الغاشية المكية فى الآية السابعة عشر (افلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت) فيعرفوا من درس خلقتها مواقع الحكمة . واكد الحجة بقوله تعالى (١٨ وإلى السماء كيف رفعت) سواء قالوا بانها طبقات شفافة تتضمن الكواكب النيرة من سيارة وثابتة او ان المراد منهـا اجرام الكواكب القائمة في مراكزها والسائرة فى مداراتها على هذا النظام العجيب (١٩ وإلى الجبـال كيف نصبت ٢٠ وإلى الأرض كيف سطحت) هذه الاشياء التي هي نصب اعينهم ألا ينظرون إلى خلقتها وثباتها على مواقع حكمتها وغايات ايجادها

وانظر الى « الكونغو » او « الكانكور » الحيوانات ذوات الكيس . كيف قـد راعت الحكمة والرأفة ضعف اولادهـا حيث يولدون على الحالة الجنينية بحيث لاتتحمل الآثار الخارجية والحر والبرد فجعلت للام من جلدهـا كيسـاً في اسفل بطنها تحضن اولادهـا فيه فى حال ضعفهم فهم فيه ورؤسهم الى ناحية اثدائها يرتضعون وهم فى مهد تربيتهم او الرحم الثاني الى ان ينالوا القوة

وانظر الى السمك الرعاد وعجيب خلقتـه التى تنادي ايها النـاس تنبهوا واكتشفوا من هذا الخلق العجيب جهاز التلغراف . الجهاز الكهربائي الذي يشابهه الجهاز الكلفاني . حتى قيل ان بعضهم عد فى رعادة كبيرة ١٢٠٠ عمود . وان عدد الصفحات في البطارية فى نوع مابين مائتين وخمسـين الف وثلاثمـائة الف و ١٢٠٠ موشور وبين الصفحـات سائل زلالي فى المائة تسعون ماء وملح عادي

ومما ينبغي ان تستلفت له الانظار الحرة انا ذكرنا فى الدورة الدموية ان الشرايـين فى الحيوان المولود تحمـل من القلب دماً شريانياً صـافياً طاهراً من الفضول يقسم غذائه على عموم الأعضاء . وان الأوردة تحمل

من الأعضاء دماً وريدياً مخلوطاً بفضول البدن فتؤديه الى الرئة لكي تطهره من الفضول والمواد الضارة فيعود الى القلب فالى الشرايين وهكذا . فنذكر لك الآن ان الحال في الجنين على العكس حيث انه يكون من ناحية المشيمة مادة غذائه والى ناحيتها مخرج فضوله . فكانت الأوردة تحمل من الوريد السري المشيمي دماً شريانياً طاهراً من الفضول تزور بغذائه اعضاء الجنين ثم ترجعه الشرايين الى المشيمة دماً وريدياً حاملاً اليها فضول الجنين بالشريان السريّ المشيمي وعلى هذا تجري الدورة ما دام جنيناً . وبمجرد ولادته تنقلب دورة الدّم الى ما ذكرناه اوّلاً

عجباً هل يكون هذا التدبير البارع وجمال الأتقان الرائع من طبيعة بكماء وصدفة عمياء ؟ كل هذا الذي ذكرناه من عجائب الحكمة والغايات وهو بالنسبة لما لم نذكره ولا ندركه قطرة من بحر هل يكون كله من فلتات هذه الطبيعة وهذه الصدفة ؟؟

إذا دخلت غاراً صخرياً ووجدت تجويفه على شكل هندسي فيه شيءٌ من الكتابات وشيءٌ من النقوش وشيءٌ من حسن التخطيط وتنظيم قياس تجويفه . فان وجدانك لا يسمح بان يكون ذلك من صدفة الطبيعة . بل تقول من اين لهذه البكماء وصدفتها هذه الصناعة البارعة المنظومة بسلطان العلم والشعور . صانع هذا المكان الجميل مقتدر على الصناعة عارف بالهندسة والكتابة وحسن التصوير . راقي الشعور . فله الثناء على صنعه لهذا المنظر البهيج الدال على قدرته وعلمه

يا صاحبي فاين انت عن النظر في عجائب هذا العالم واتقان غاياته وجمال حكمته الفائقة ونظامه الباهر . وما ذكرنا لك من ذلك إلا قطرة من بحر وقليلاً من كثير . فكيف تسمح بذلك كله لطبيعة فاقدة الشعور

. ما هي الطبيعة ؟ هل هي الفرد او النوع او الجنس ؟ هل لهـا وجود غير موجودات العالم ؟ ام ليست هي إلا إنتزاع وهمي ينتزعهـا العقل ويفترضها من تماثل الموجودات ؟ يا صاحبي هـذه الآلات الصوانية التي ذكرناها صحيفة ٥٧ والمدنية التي ذكرنا مثلها صحيفة ١٠٦ انهـا تقصر ولا تقاس بنظام خلقة الحيوان فضلا عن غيره . واراك وجميع الناس لا تسمحون بان تكون من صنع الطبيعة العديمة الشعور وفلتة الصدفة . فكيف تسمحون بان هذا العالم العظيم العجيب وغاياته الشريفة المنتظمة في دهوره ومواليده كله يكون بصدفة الطبيعة البكماء

ما اعجب حالك وحال اصحابك مع طبيعتكم . فتـارة تستحقرونهـا ويأبى وجدانكم ان تسمحوا بان تنسبوا إلى صدفتها واحداً حقيراً مما ذكرناه من الآلات الصوانية ومثال المدينة والمغارة . وتارة تفرضون لها وجوداً اصيـلا وتسمحون لصدفتهـا بما لا يحصى من عظائم العالم في دهوره ومواليـده

اين وجدانكم الذي تحكمون به في امر القطع الصوانية ومثال المدينة والمغارة ؟ ما اقوى يد تغمض عيون الوجدان في شأن العالم وصنعه !! اي يد مبرقعه هذه ؟ ما ذا يعينها وبأي نشاط تمارس اعمالها . ما اعجب هذه اليد المبرقعة . قد شابكت يد العلم فلوتها . وغطت على عين الوجدان فاسقطت حسها . لم يكن في الحسبان ان بذر ابيقورس للاستراحة الشهوانية ينمو هـذا النمو في الأذهان معها دملتها الأهواء بشهوانيتهـا

لا اخال لسانك يستطيع ان تقول كما يقوله بعض الشهوانيين العديمي العلم والشعور والذين لا بضاعة لهم ولا حجة إلا تبسم الأستهزآء وقولهم اين صانع العالم العليم الحكيم هل هو في آسيا او اوربا او إفريقا او اميركا وفي اي بلد هو إنا لا نراه باعيننا ولا نلمسه بايدينـا ولا

نسمع له صوتاً

ألا تقول لهم قولوا ما هي الطبيعة . واين هي . ولا نطالبكم ببيان وجودها الحقيقي الفعال في الموجودات وإعطائها الوجود الاصيل الحقيقي . اين رأيتم الجواهر الفردة ؟ ولا نعارضكم بامتناع فرضها . كيف رأيتم مدارتها . وإلى اي جهة كانت تدور . وما هو مقدار حركتها في السرعة ؟ اين عصفت عليكم زوابع الأثير . واين رأيتم الأثير وكيف وجدتموه ؟ لا نطالبكم بهذه الافتراضات الموهومة . ولكن هل رأت ابصاركم او سمعت آذانكم اولمست ايديكم اشياء لاشك في وجودها وتحققها

منها هذا الشعور والأدراك الذي يمتاز به الحيوان ويفتخر بكماله الأنسان . ومنها هذه النفوس التي هي ملكة الأبدان وسلطان الحيوة والشعور وعروس الوجود . هل احسستم بها بحواسكم ؟ ومنها روح الحقيقة ومظهر النعمة ولباس الزينة ومنشأ إنتزاع الطبيعة وهو ذات الوجود الذي تزينت به الموجودات العالمية وتحققت حقائقها وازهر بهجته العالم . هل يرى احد ذات الوجود او يحس به بحواسه ؟ لا تقل نعم . فانك إنما تحس بالموجود المحسوس لا بذات الوجود . اين الحواس من إدراكه ؟

لما ذا تعلل الشعور بالقوة التي في الدماغ او غيره . ولماذا تعلل هذه القوة وسائر الأعمال الارادية بالحيوة . ولما ذا تعلل الحيوة بالنفس . لما ذا لا تقول ان هذه كلها من صدفة الجسم . لكن الحجر المسكين لم يتوفق لهذه الصدفة ولم يسمح دلال هذه الآنسة بمواصلته يوماً . لماذا دام هجرها للحجر المسكين ؟ — يامن يبعثه الشعور والفطرة على التعليل . ويعرف انه مسئول للأنسانية وشرف الشعور وسلطان العلم عن إستقامة التعليل والوقوف فيه على موقف علمي لا تتحمل فيه ملامة الشعور والوجدان وتوبيخ العلم . اين انت عن التعليل بواجب الوجود العليم الحكيم ؟

ما ذا يصدك عنه ؟ ؟

إذا صدقت النظر في شأن مولود الحيوان رأيت العجب وعرفت ان له مدرّساً رؤفاً عالماً يعرّفه كيف يسلك في طريق الحيوة الجديدة الذي لم يره قبل ذلك ولم يعرفه . فترى المولود حين خروجه من بطن امه كانه تلميذ اكمل دروسه وتلقى علمه وادّى إمتحانه وصارت له نوبة العمل في اعمال معيشته ولوازم حيوته . قد كان في الرحم ولم يألف في حيوته هناك إلا ظلمات واحشاءً ومشيمة تبعث اليه من الحبل السرّي غذائه وتأخذ فضوله من دون طلب منه ولا سعي في امره . لم يعرف تغذّياً بفم ولا غذاءً من ثدي ولا طلباً للمعيشة ولا سعياً للرزق ولم يعرف امّاً ولم يألف لها حناناً . فتراه في اول ولادته ينادي بطلب غذائه ويسعى جهد قدرته في معيشته . فترى طفل الأنسان إذا وضعته امه على الثدي اول مرة يحاول الأمتصاص ويدير فمه على الثدي باستعجال يطلب طريق رزقه فكانه قد الفه دهراً وقضى في لذته وطراً وانس به زماناً حتى إذا التقم الحلمة سكن بكائه وقرّ قراره وصار يمتص اللبن باقبال والتذاذ وسكون وإستعجال . كان له في هذه الأمور سابق تدريس وعلم وإمتحان وتجربة ومحبة والفة

ولقد شاهدت شاةً حين ولادتها فرأيت جنينها حينما زار الأرض مخرجاً رأسه من كيسه طالباً للفرار منه كانه يعرف ان هذا الكيس قد صار في دورة الولادة سجن الضيق والضرر والفقر بعد ان كان بيت الراحة والحماية والكفاية . فصار ذلك القادم الجديد الغريب يرغو بالحاجة ويتحرك باستعجال متوجهاً إلى ناحية رأس امه الذي لم يره قط . يزحف مرتعشاً ويتحرك مستعجلاً متكلفاً حتى إذا وصل إلى رأس امه وتمكنت من لحس ما عليه من الرطوبات سكنت حركته واطمئن في مربضه فكانه يقدم

اعضائه إلى امه لكي تلحس رطوباتها . ايها القادم الجديد هذه الرطوبات كانت ثوبك المألوف في دور الجنينية فلماذا تساعد على نزعه . متى عرفت انه يكون قذارة مضرة في دور الولادة ؟ وحتى إذا سكن عن امه الم الولادة وقامت عن مربضها تحامل للقيام على تكلف كانه يطلب اليفاً انس به زماناً ففقده او طريقاً إعتاد السلوك فيه فضل عنه او رزقا سعى في تحصيله مدة فضاع منه وصار يضع فمه على مواضع من بطن امه يحوّله من موضع إلى موضع حتى إذا التقم الثدي اقبل عليه بنشاط وابتهاج كانه وجد ضالته وحظى بانيسه القديم — وإنك إذا تتبعت مواليد الحيوانات تجدها كلها على هذا المبدأ في الشعور الأبتدائي كانها متخرجة من مدرسة قد درست فيها هذه التعاليم على معلم عالم رؤف بها

فهل يكون هذا كله من دون عالم فعال مدبّر يلهمها رشدها ويعلمها تدبير امرها . وفي هذا المألوف المعروف كفاية . فلا حاجة إلى ذكر عجائب المنقولات من احوال الحيوان (يا ايها الأنسان ما غرّك بربّك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك في اي صورةٍ ما شاء ركبك) وحباك بالحيوة وزينة الشعور وراعى شئونك في نشئتك واطوار حيوتك الجنينية وبعد الولادة . فاين انت عن رشدك ولما ذا تاه شعورك وعاذا إنخدع وجدانك ؟ من هو الذي اوجدك . ومن هو الذي حباك بجمال الحيوة وزينة الشعور جنيناً ووليداً (افي الله شك فاطر السموات والأرض . ألا يعلم من خلق)

تضطرك الفطرة إلى تعاليل الموجودات التي تشاهدها فتحرفك اوهام الأهواء إلى إفتراض الجواهر الفردة وحركتها والأثير وزوابعه او تكاثفه . ومهما انحرفت ومهما افترضت فانك لا تقدر ان تقف بالتعليل في إيجاد الموجودات إلا على ما هو واجب الوجود في نفسه . ولا تقدر

ان تصفه بوجوب الوجود مالم تقدر ان تنزهه عن كل ما ينافى وجوب الوجود . واين انت من ذلك وقد مرّ انك مهما تفترضها ومهما تدعي فيها لم تقدر ان تنزهها عن تغير الكيان . ونقص الأمكان . دع هذا ولكن واجب الوجود الذي ينتهي اليه التعليل فى وجود الكائنات لا يمكن للوجدان الحرّ إلا الأعتراف بانه عالم بغايات خلقه قد خلق لاجل الغايات . فكيف يصح لكم ان تصفوا الجواهر الفردة والأثير بوجوب الوجود مع انكم إفترضتموها عديمة الشعور والأدراك

﴿ الدكتور ﴾ يا شيخ إني طالما اوجه فكري فى هذه الامور التى ذكرتها وغيرها وعلى الخصوص ما اجده في علم التشريح من عجائب الفوائد والغايات ودلالة الخلقة على قصدها . واقدرّ ان ما خفى على العلم اعجب وادلّ على قصد الغاية — وازيدك يا شيخ اني طالما تضايقني الشدائد وتنقطع آمالي من الاسباب الطبيعة فاجد نفسي تلتجئ بفطرتها إلى مدبّر فعال بالأرادة تراه مالك التصرف والتسبيب ملك القدرة والرحمة فتطلب منه كشف الشدة بقدرته ورحمته على رغم الاسباب العادية . وتظل شاخصة النظر إلى رحمته . فيكثر عجبي من نفسي وتوجهها والتجائها ابتداء بفطرتها إلى من تراه خالقاً قادراً عالماً يفعل بالارادة على رغم التزامي بالمذهب المادي . وطالما درست احوال الناس عند شدائدهم وإنقطاع آمالهم من الاسباب العادية فاجد نفوسهم تجري بفطرتها على مبدء نفسي فى الألتجاء إلى مدبّر عالم قادر . وكثير من هذه النفوس لا تعترف له في العافية والسعة

لكن يا شيخ إن إعترافنا بالألهية دونه عقبات « الأولى » انا لا نقدر ان نعرف حقيقة هذا الخالق العالم الواجب الوجود . وهذا مما يصدنا عن الاعتراف به فانه يصعب على النفوس ان تعترف بوجود موجود

لا تعرف حقيقته . . « الثانية » انا نرى الكثير من الناس قد تاه في هذا المقام . فان منهم من يقول بتعدد الآلهة . ومنهم من يقول ان الأله يتجسد ويلبس ثوب الناسوت فيخضع بالطبيعة لأحتياج البشرية ونقائصها والشدائد الواردة عليها . ومنهم . ومنهم . وهذا كله يضادّ مقام الألهية ووجوب الوجود على خط مستقيم . من يتغير كيانه كيف يكون واجب الوجود ؟ اي كيان منه واجب الوجود هل هو الكيان الاول المنعدم او هو الكيان المتجدد الحادث ؟ ام ان وجوب الوجود لا يرتبط بكيان وجودي . بل بكيان وهمي إنتزاعي لا وجود له . . « الثالثة » ان الذين يدعوننا للأعتراف بالألهية يريدون منا ان نعترف لهم بسيطرة دينية ونخضع تحت نيرونزح تحت ثقل . مع انا نرى الكثير من هذه السيطرات بعيداً عن الحقيقة . مشوّه التعاليم وهذا لايهون — ياشيخ فان دعانا العلم والوجدان إلى الأعتراف بالألهية صدتنا هذه العقبات . . ولا تحسب اني ممن يصده تكميل الشريعة الألهية وتعليمها الروحي وزجرها عن فلتات الشهوانية ونقائص البشرية المهددة للكمال والادب والمدنية والاجتماع والمستقبل الصالح للأنسان

﴿ الشيخ ﴾ هذا الكلام عجيب غريب منك ومن امثالك . فانا نقول لك « اوّلاً » إذا قادك العلم والوجدان إلى الاعتراف بوجود الموجود فهل يسوغ لك في شرف الشعور والادب ان تجحد وجوده لانك لا تعرف حقيقته من اجل قصورك عن إدراكها ؟ انك إذا رأيت شيئاً تقصر عيناك عن تمييز حقيقته فهل يسوغ لك ان تقول لا وجود لهذا الشيء . إنك لا تعرف حقيقة النفس للحيوان ولا ماز العقل للأنسان فهل يسمح لك الشعور بان تقول ليس للحيوان نفس يمتاز بها عن الحجر وليس للأنسان عقل يماز به عن سائر الحيوان . فعليك ايها الدكتور

ان تتبع العلم وحجته ودلالة الوجدان إلى حيث يوصلانك وتقف حيث يقفان

« وثانياً » إن اختلاف الناس وتيه كثير منهم في امر الألهية هو عادة جارية للجهل المركب الذي يقتحم على كل حقيقة . فهل يسوغ إنكار الحقائق لاجل إختلاف الناس فيها وضلالهم عن سبيلها فى متاهات الجهل والقصور . هل يوجد فى الحس ما هو اجلى واظهر من النور . افلا تدري باختلاف الطبيعيين فيه حيث قال بعضهم انه مادة وذرات تنتشر من الجسم المنير بواسطتها تدرك العين المرئيات . وقال بعضهم انه حاسة يحدثها نقر تموّج الأثير على عصب البصر . التموّج الصادر من الاجسام المنيرة . فما ابعد ما بين هذين المذهبين . ومما يزيد في خفاء حقيقة النور ويجعل الآرآء فيها عرضة للنقد والتزييف ما كشفت عنه التجارب من النور الغير المرئي . كالنور الاحمر من الحلّ الطيفي لنور الشمس . وكالنور الغير المرئي من النور الكهربائي الذي إكتشفه « رونتكين » . ومما يزيد فى خفاء حقيقة النور ما يوجد من الأختلاف الكبير بين النورين . فانور الشمس لا ينفذ إلا من الجسم الشفاف وإذا حل على مكان ينكسر والنور الكهربائي لا ينكسر . وينفذ من الأجسام الكثيفة ما عدى الفلزات . والمأمول من العلم ان يظهر من إكتشافاته ما يجعل العقول حائرة فى حقيقة النور

وهذه الكهربائية التى اعملت في الافاعيل الكبيرة قد قال قوم فيها انها عبارة عن قوتي سيالين يكونان ممزوجين متكافئين في الاجسام الغير المكهربة . وبتفريق هذين السيالين تظهر الكهربائية وتهيج وباتحادها تتفرغ ويبطل التهيج : وقال قوم قوة سيال واحد فى الاجسام متوازن . وبزوال الموازنة تتكهرب الأجسام . وبعود الموازنة تتفرغ ويبطل التهيج

: ما هي حقيقة السيال . وكيف يكون جاذباً . وكيف يكون دافعاً . واين يذهب إذا تفرغ . واين يذهب إذا انقطعت دائرته . هل يختص بسطح الجسم . ولماذا يختص . وكيف يتكهرب الهواء والفضاء . ولماذا تختص الكهربائية برؤس المرّوس او تزيد فيها

لا زالت زوابع الجهل المركب تذهب بالأفكار في كل متاهة . قد تقحمها في ضلال إنكار الوجود بعد العدم ودعوى إمتناعه . مع انك وكل احد ترون وتجدون فى كل ساعة الوفاً والوفاً مما حدث بعد العدم

وإن مثلك لا ينبغي ان يخفى عليه انه يلزمه النظر الصادق فى امر الحقيقة وإتباع الحجة الواضحة والدليل الهادي لكي ينجو من تيه الضلال . ويتمسك بما وصل اليه من العرفان

فانظر هداك الله فى امر الألهية بعين البصيرة واثبت اقدامك في مراكز اليقين — فاذا تجلى لك امر الأله وعلمه وحكمته فهل يقبل شرف إنسانيتك ان تفرّ فرار العبيد فتجحد الأله لمحض خوفك من الخضوع لنير تعاليم متدلسة بأسم الدين . اليس من اللازم عليك ان تنظر فى امر التعاليم التي تدعى اليها . فما عرفته انه من التعاليم الألهية الحقيقية اخذت به وارشدت بنى نوعك اليه . وما عرفته انه من الأهوآء المتدلسة بأسم الدين اعرضت عنه واوضحت لبني نوعك ضلاله . فان هذه التعاليم المتدلسة كما قلت انت هي نير الشقاء وغلّ الضلال والعناء . وثقل الخسران الباهض . ولكن هل يخفي عليك ان التعاليم الألهية الحقيقية هي من رحمة الله للبشر وهي تاج الشرف وزينة الكمال وفخر الأحرار يستريحون إلى كمالها وعدلها وإصلاحها من عبودية الشهوانية البهيمية ونير الأهوآء الخسيسة .

فيا للعجب من فضيلتك ايها الدكتور اراك تحيد عن الحجة الساطعة

في امر الألهية والحجة الواضحة في العلم وتملل بهذه التشبثات البـاردة

﴿ الدكتور ﴾ ألا تجري يا شيخ في الأحتجاج على المعارف الألهية لـكي اعيد النظر وازداد في البصيرة

﴿ الشيخ ﴾ مها إختلفت الأهواء وتشعب الجهل فانها لا تثنى فطرة الانسان الأولية عن حكمها بلزوم تعليل الـكائن والنظر في علته وان اقتصر بعض المغفلين والقـاصرين على ما يهمه في حاله الحـاضر وحاجته الوقتية الطفيفة . ولـكن جميع النفوس في نظرها إلى هـذا العالم وما يحدث فيه كل آن من الموجودات التي لا تحصى لازالت تطلب الوقوف على مصدر هذه الـكائنات ومبدء وجودها . وإن كانت الأهواء ههنـا قد عملت اعمالها بدسائسها . فكان نوع الناس بجـامع الفطرة الانسانية قديماً وحديثاً ينظرون إلى العلة الفاعلة في إيجاد الموجودات مدرجين مادتها في لفيف الموجودات الحادثة . إذ يجـدون بفطرتهم واحساسهم وبرهانهم إمكان وجود المادة بعد عدمها وخضوع وجودها للقدرة الفعالة . فانهم يجدون موجودات بصورة ومادّة لم يكن لها سابقة في الوجود . ويوضح لهم العلم بدلائله والفطرة بسيرها المستقيم ان القول بقدم المادة مها تقلبت به الافكار وإحتالت له إنما هو رأي مخدوع . ودعوىً تحتوشها النقود والردود . وكيفما كان فانه لا يغني شيئـاً عن لزوم القول بقدم العـلة الفاعلة في الأيجاد والنظر في امرها وإن كانوا قد ذهبت بهم في ذلك المذاهب الـكثيرة حسبما تسمح الفرصة للأهواء وغفلات الجهل او يستقيم السير في نهج العلم اليقين :

ثم نبغ من خلال الأعصار وشذاذ البشر قوم صرفتهم الصوارف عن النظر إلى العـلة الفاعلة في ايجـاد العالم فتساهلوا في امرها ووجهوا همهم إلى إفتراض المادّة ووصفوها بالأزليـة مع اختلافهم في وجوه افتراضهـا .

واوكلوا امر العلة الفاعلة إلى صدفة حركة الجواهر او زوابع الاثير او تكاثفه واغمضوا النظر عن تعليل هذه الحوادث الأفتراضية اعنى الحركة والزوابع والتكاثف . فخيلوا انهم قد اصابو الموقف العلمىّ فى التعليل ومركز اليقين الثابت

ولكن يا صاحبي يا حضرة الدكتور ان ثوب الأزلية لا يكون بحياكة آرائنا وخياطة السنتنا لكي نلبسه لمن نشاء بل إن صفة الازلية صفة حقيقية لها لوازم مقوّمات . ولها منافيات لا تجتمع معها فى شيء واحد — كيف تكون الجواهر الفردة او الاثير ازلية يوقف عليهـا بالتعليل وهي ليست واجبة الوجود . وكيف تكون واجبة الوجود وهي لا تزال متغيرة الكيان بتقلبها باختلاف الصور والحقائق وتقلبات الحركة كما تزعمون ؟ وكيف يكون الاثير واجب الوجود مع انكم افترضتموه مركب المقدار محتاجاً إلى اجزائه وإلى فاعل يوجدها ويؤلفها بالتركيب . وكيف تكون الجواهر الفردة واجبة الوجود مع ان فرضها غير متجزية مستحيل وبحسب فرضكم لأشتمالها على قوّتي الجذب والدفع وان لها حركات مختلفة الوضع والامكنة والجهات وكونها متجزية يستلزم تركبها فى المقدار فتكون محتاجة إلى اجزائها وإلى فاعل يوجد اجزائها ويؤلفها — هذا كله فى المادّة وقد مرّ مشروحاً

العلة الأولية الأزلية الفاعلة للايجاد

واما العلة الفاعلة للايجاد فهنا تساهلتم في امرها وحاولتم صرف الانظار عنها الجأتكم الضرورة إلى امرها فقلتم انها صدفة الحركة — الحركة هي اكوان متتابعة ينعدم الاول فيحدث الثاني . ما هو العلة الفاعلة لهذه الحركة . هل نخادع عقولنا ووجداننا ونقول انها ازلية . ما هو الازلي منها . هل هو السكون المنعدم او السكون المتجدد ؟ ام نذهب

بالتسلسل إلى غير النهاية رغماً على بداهة العلم في بطلانه وخصوص حجتك المذكورة صحيفة ٦٩ و ٧٠

كرامة القرآن في حجته وتوبيخه

وقد إحتج الله على المتغافلين عن خالق العالم فقال جلّ شأنه فى الآية الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من سورة الطور المكية (ام خلقوا من غير شيْ) يخلقهم ويوجدهم بعد عدمهم . هل يمكن فى الشعور ان يقولوا بذلك (ام) يقولون انهم (هم الخالقون) لانفسهم هل يتحملون شناعة هذا القول (ام) يقولون انهم (خلقوا السموات والأرض) هذا العالم الكبير هل خلقوه وهم عدم وقبل وجودهم ؟

إذن يا صاحبي لا محيص للعلم وشرف الشعور والانسانية عن الانتهاء بالتعليل لفاعلية الايجاد إلى الفاعل الازلي ولا يمكن وصفه بالأزلية إلا ان تعترف له بوجوب الوجود والاستغناء في نفسه عن الموجد . ولا نقدر ان نصفه بوجوب الوجود مالم نعترف له بلوازم وجوب الوجود ونلتزم بها . ومالم تنزه ذاته المقدسة عن منافيات وجوب الوجود . وقد اسلفنا دلالة الفطرة وحكم الشعور والوجدان السليم على ان هذا الواجب الموجد للعالم لابد من ان يكون عالماً قد اوجد موجداته لاجل غاياتها التى يعلمها ويقدّرها بعلمه قبل وجودها كما رسمناه من صحيفة ١٠١ إلى ١٣٣ وستسمع بعون الله دلالة العلم والوجدان على ان موجد العالم لا يمكن إلا ان يكون موجداً بارادته وعلمه بالمراد : وهذا التكرار الملخص تذكار لما تقدم . وتأسيس للكلام فى مطلوبك من الجري فى الكلام على المعارف الألهية

واجب الوجود العالم

يلزم فى وجوب الوجود ان لايكون الواجب مركباً فى الماهية والمقدار

. فان المركب محتاج إلى اجزائه وإلى فاعل يركبها ويؤلف بينها والمحتاج لايكون واجب الوجود . إذن فلا يكون الواجب مادّياً فان المادّي مهما فرض له من البساطة في الماهية لابد من ان يكون مركباً في المقدار وقد مرّ إمتناع فرض الجزء الذي لايتجزّى : وايضاً فانه اما ان يكون ساكناً في مكان خاص فيلزم ان يكون فيه مع جوهريته ومادّيته المطلقة جهة تقتضي سكونه في المكان الخاص . واما ان يكون متحركا فيلزم ان يكون فيه ايضاً مع مادّيته المطلقة جهة تقتضي حركته الخاصة . فيكون مركباً محتاجا إلى اجزائه وإلى فاعل يؤلفها فلا يكون واجب الوجود . وإن كان السكون في المكان الخاص او الحركة الخاصة من تأثير فاعل آخر يتصرف فيه لم يكن واجب الوجود وانتقل الكلام إلى ذلك الفاعل المتصرف

﴿ الدكتور ﴾ كيف يمكن ان نتصور موجوداً غير مادي

﴿ الشيخ ﴾ ان وجود الماديات وتعليلها المستقيم دليل يقودنا إلى الأذعان بهذا الموجود الغير المادّي ويجبرنا على الأعتراف به . فانه لا بد من تعليلها بواجب الوجود لذاته ولا يمكن ان يكون واجب الوجود مادّياً

إذا شهدت بوجود الموجود آثاره واعماله المحسوسة بكثرة مدهشة فلا يصح لنا جحوده او التوقف عن الأعتراف به لمحض قصورنا عن تصوّر حقيقته . ولماذا لا نلتفت بذلك إلى قصور افكارنا عن معرفة جملة من الحقائق . وإلى متى وحتى متى نكون معجبين بافكارنا فنقابل الحقائق بالجحود الأعمى والتوقف السخيف . عادة جرينا عليها ولم يرد عنا عنها ظهور خطأنا وجهلنا وكثرة الحقائق التي نعترف بها ولا نهتدي إلى معرفة كنهها سبيلا

سمع الناس على بعدٍ باختراع التلغراف فضجوا بالجحود والتشكيك إغتراراً باوهامهم في الطبيعيات حتى إذا شاهدوا اعماله خمد صوتهم وصاروا يعللونه بالقوة الكهربائية التي لم يعرف كنه حقيقتها حتى الآن . وسمع الناس بالفونغراف « صندوق الأصوات » فتسرّع الناس حتى بعض الخواص الممارسين للطبيعيات وجاهروا بجحوده والتشكيك في امره إغتراراً باوهامهم في طبيعة الصوت . ذكر التلغراف اللاسلكي فلج السامعون بجحوده والتشكيك فيه حتى مع ألفتهم للتلغراف السلكي . ذكر النور الغير المرئي « نور رونتكين » فعدّه السامعون من الخرافات . إغتراراً باوهامهم في طبيعيات النور والشفافية والكثافة . وإلى الآن لم يعرف كنه الحقائق المؤثرة في هذه الاعمال . يرون الناس اعمالها ويقفون في معرفة كنهها موقف المبهوت . نرى اعمال النفس في الحيوة والشعور ولا يمكننا درك كنهها . نعم قد تسرّع بعض الناس في البحث عن ماهيتها فصار هذا يقول هذا رأيي هكاذا . وهذا يقول رأيي هكذا آراءً مجردة وفتاوىً كأنها مقدسة لكن ذات النفس تشمئز من اوهامها وتضجر . ما هي القوة وما هو كنهها . ما هي ماهية النفس والشعور . ما هو الوجود . هذه الأمور كلها غير مادّية فكيف اعترفتم بوجودها . اليس ذلك لأجل مشاهدة اعمالها . إذن فما ذا يمنعكم عن الأعتراف بوجود واجب الوجود مع مشاهدة اعماله في هذا الكون الذي لابد من تعليله به . يا من يفترضون الاثير إفتراضاً مزعوماً ويربطون به التعليلات الطبيعية قولوا انه في غاية اللطافة والبساطة ولكن ما هي حقيقته . هل هو مادي . الستم تزعمون ان المادة من نتائج زوابعه او تكاثفه

قد اذعنتم لكثير من الحقائق ان لا تكون مادّية ولا يظهر لعالم الماديات والحواس إلا اعمالها فما ذا يصدكم عن الاذعان بذلك لواجب

الوجود ؟ ام تريدون ان تتقهقر في التعليل إلى مالا يمكن ان يكون واجب الوجود . اليس من شرف الأنسانية ان لا تتلوّن في افكارها . اليس من شرف العلم ان يجري في نهج مستقيم عادل . ألا تنظر إلى غفلات الأهوآء . هذه الغفلات والطفرات التي يسمونها شجاعة ادبيه . انظر اليها كيف فعلت افاعيلها

﴿ الدكتور ﴾ هل يمكن معرفة شيء من شأن هذا الواجب الوجود

﴿ الشيخ ﴾ نعم من الامور ماتكون معرفته ضروريّة للأذهان بوجوب الوجود . فقد تكرّر فيما مرّ ان واجب الوجود لا يكون مركبًا لا في الماهية ولا في المقدار . لأن التركيب بجميع وجوهه يضادّ وجوب الوجود . اليس المركب محتاجًا إلى اجزائه وإلى فاعل يؤلفها . فاين يكون وجوب الوجود . ومن ذلك يتضح ان واجب الوجود يلزم ان يكون في غاية البساطة والاندس من التركيب من جميع الوجوه

﴿ الدكتور ﴾ ياغبطة القس ويا عمانوئيل هل انتم مذعنون بما ذكره الشيخ من الدعوى والاحتجاج

﴿ القس ﴾ هل يمكن العدول عن جادة الحق اليقين والحجة الوضحة

﴿ الدكتور ﴾ إذن فاسئلكم عن التثليث والاقانيم التى يقول بها اصحابكم النصارى كما قال بها البراهمة والبوذيون وكثير من الأمم الوثنية . هل هذه الاقانيم الثلاثة ترجع إلى التركيب في الماهية والجوهر بحيث تكون الاقانيم عبارة عن اجزاء هذا المركب . ام ترجع إلى ان الأله الواجب متعدّد في الوجود بحيث تكون الاقانيم افراد جنس الأله الواجب كافراد الأنسان

﴿ القس ﴾ قل ما تعرفه في هذا المقام يا عمانوئيل

﴿ عمانوئيل ﴾ يقول اصحابنا إن امر الاقانيم والثالوث فوق عقولنا لكنه

موافق للعقل وقد نطق به الكتاب المقدس فوجب إتباعه . هكذا يقولون

﴿ الدكتور ﴾ ما معنا قولهم « فوق عقولنا » هل يقولون ان العقل يراه ممتنعاً ومستلزماً للمحال لانه اما ان يرجع إلى كون الأله مركباً فلا يكون واجب الوجود ولا إلهاً ولا قديماً ولا ازلياً . واما ان يرجع إلى تعدد الآلهة وهو باطل . إذن فكيف تقبلون قول كتابكم بهذا الذي يراه العقل ممتنعاً ومحالا . اليس العقل هو ميزان الحقائق وميزان صدق الكتاب وكذبه . ما كنت احسب ان فى الناس من يصدق كتاباً فى قوله الذي يحكم العقل بامتناعه وكذبه

ام يقولون ان امر الاقانيم والثالوث يراه العقل جائزاً ممكناً ولكنه لا يهتدي إلى إثباته سبيلا فجاء الكتاب النبوي فكشف الغطاء للعقل عن هذه الحقيقة المجهولة فوجب على الناس قبولها . إذن فعليهم « اولا » ان يوضحوا مرادهم من الاقانيم والثالوث . ويبينوا إمكان مايقولون وعدم إمتناعه عند العقل . حتى إذا وصلت النوبة إلى بيان الكتاب النبوي كان عليهم « ثانياً » ان يبينوا سند هذا الكتاب باجمعه إلى النبوة الحقيقية واتصاله بطريق العلم واليقين لا بالتعاليل الواهية والتخمينات الباردة . ومن شروط نسبة الكتاب إلى النبوة ان لا يكون فيه شيء مما يضادّ العقل ويحكم العقل بكذبه وبطلانه . ولا شيء مضاد لأصول الدين المعلومة من اساسيات تلك النبوة . ولا لأساسيات ذلك الكتاب فى تعليمه وان لا يكون متناقض التعليم الديني . بل يكون كاملاً فى شرف الكتب الألهية النبوية « وعليهم ثالثاً » ان يوضحوا صراحة الكتاب في امر الاقانيم والثالوث صراحة مفيدة فى تأسيس التعليم وإعلان الديانة ــــ يا عمانوئيل هل هذه الأمور الثلاثة مستطاعة لاصحابك

(عمانوئيل) احب تأخير الكلام في هذا حتى يتضح لنا الحال في امر توحيد الأله وحكاية تعدده وتجسده وحينئذ تتم مباني الكلام وتتمهد اساسياته

إمتناع تجسد الأله

﴿ الدكتور ﴾ هذا الأله الواجب هل يتجسد وهل يلبس الطبيعه البشرية لكي يرفع قدرها ويظهر مجده وقدرته . كما يقوله البراهمة والبوذيون وكثير من الرومان والأمم والنصارى

﴿ الشيخ ﴾ انّما كونه تعالى شأنه جسداً من الأزل بمعنى كونه مادّياً من الازل فقد تقدم إمتناعه على الواجب الوجود فانه يلزم من كونه جسداً كونه مركباً في المقدار او في الماهية ومقدوراً لمن يلجئه إلى السكون في المكان الخاص او الحركة الخاصة — واما حدوث التجسد له وتغير كيانه الاول فقد مرّ في كلامنا وكلامك ان واجب الوجود لا يمكن ان يتغير كيانه . ولزيادة الأيضاح نقول إنا قد ذكرنا ان واجب الوجود لا بد من ان يكون منزّهاً عن التركيب وفي غاية البساطة من كل جهة . فذلك الكيان بتلك الحقيقة البسيطة هو واجب الوجود ومن وجوب وجوده يلزم كونه ابدياً . فمن الواضح إذن انه يستحيل ان يتبدل هذا الكيان إلى كيان آخر وإن كان بسيطاً ايضاً فان الكيان الأول يخرج عن كونه ابديا وواجب الوجود. واما الكيان الثاني فهو حادث بالضرورة فلا يكون واجب الوجود . بل يجري نحو هذا البيان حتى لو فرضنا الكيان الأول لواجب الوجود مركباً فانه بفرض تغيره إلى كيان آخر مركب او بسيط يخرج عن فرض كونه واجب الوجود . وهذا بديهيّ وقد ذكرته انت في صحيفة ١٣٣

ويا للعجب من قولك « ويظهر مجده وقدرته » اي مجد وقدرة يظهر ان

بالتجسد . هل يظهران بالخضوع لفقر البشرية وحاجتها إلى الطعام والشراب . ام بذلة الآلام والأضطهاد . ام بالصلب والأستهزاء والقتل كما إبتلي به من زعم الناس انه إله متجسد مثل بوذا . وكرشنا . واندرا . والمسيح . وغيرهم ممن الّهه المكسيك والرومان وغيرهم

(عمانوئيل) يذكر الفصل الرابع عشر من كتاب اعمال الرسل ان « بولس . وبرنابا » دخلا « لسترة » وشفى فيها مقعد عاجز الرجلين فقال الجموع من اهل لسترة ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا . فكانوا بناءً على وثنيتهم يدعون برنابا « زفس » اي المشتري . ويدعون بولس « هرمس » اي عطارد . فقال بولس وبرنابا للجموع فى التوبيخ على ضلالهم والأحتجاج عليهم « لما ذا تفعلون هذا نحن ايضاً بشر تحت آلام مثلكم » فوجدت فى هذا الكلام إحتجاجاً عيناً على بطلان تأليه البشر فانه يستلفت الأذهان الغافلة إلى الأمر البديهيّ وهو ان البشر الخاضع بطبيعته لسلطة الآلام وتقلبات التغير الدائم كيف يكون إلهاً

﴿ الدكتور ﴾ هله تفتخر يا عمانوئيل بوجود هذا الكلام وهذه الحجة فى العهد الجديد وهل تجعله دليلاً على سداد العهد الجديد في تعليمه فى الألهية

﴿ عمانوئيل ﴾ إني اعرف مواقع إشاراتك فى هذا الكلام . ولا تحسب اني اخضع لأسماء الكتب وكل ما انطوى فيها . وإنما اخضع للتعليم الصحيح حيثما اظهر مجده بحجته الواضحة بالسير العلميّ . لا بطفرة الشجاعة الأدبية . ولا تحسب إنا فى غفلة عما تشير اليه فانا قد إنتقدنا على اناجيل متى . ومرقس . ولوقا . وكتاب اعمال الرسل تعليمها بتعدد الأرباب وجعل البشر ربّاً واشرنا إلى تحريفها وسقوط حجتها — كما إنتقدنا على إنجيل يوحنا تعليمه بتعدد الآلهة واشرنا إلى تحريفه للمعنى

وسقوط حجته . فانظر إلى الأول في صحيفة ٧٢ و ٧٣ و ١٧٠ — وننتقد ايضاً على كتاب اعمال الرسل قوله فى شأن المسيح فى العدد السادس والثلاثين من الفصل العاشر « هذا هو ربّ الكل » — وعلى رسالة رومية قولها فى العدد الخامس من الفصل التاسع « ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » — وعلى رسالة العبرانيين قولها فى العدد الثامن من الفصل الاول فى المسيح « واما للابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور — ١٠ وانت يا رب في البدء اسست السموات والأرض هي عمل يديك » — وهل ترانا لا ننتقد على رسالة فليبي قولها فى الفصل الثاني « المسيح يسوع ٦ الذي إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله لكنه اخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس » — اولا ننتقد على إنجيل يوحنا قوله فى اول الفصل الاول « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله — ١٤ والكلمة صار جسداً » او لا ننتقد على رسالة تيموثاوس الاولى قولها فى العدد السادس عشر من الفصل الرابع « الله ظهر في الجسد »

امتناع الحلول والأتحاد

﴿ الدكتور ﴾ هذا الأله الواجب الوجود الذي يمتنع ان يتغير كيانه هل يتحد مع شيء فيكون هو وذلك الشيء واحداً

﴿ الشيخ ﴾ ما هو معنى الاتحاد هل يتغير كيان واجب الوجود إلى كيان ذلك الشيء . او يتغير كيان ذلك الشيء إلى كيان واجب الوجود . او يتغير كيان الواجب وكيان ذلك الشيء بالاتحاد فيحدث كيان آخر — إذا كان يمتنع ان يتغير كيان واجب الوجود او يكون الشيء الحادث بالغير واجب الوجود فكيف يمكن ان يقال باحد الوجوه الثلاثة . إذا هان التناقض على الأهواء فانه لا يهون على النفوس الشريفة والعقول

المستقيمة

﴿ الدكتور ﴾ هذا الأله الواجب الذي يمتنع إفتقاره إلى غـيره ويمتنع ان يتغير كيانه هل يحلّ فى الأجسام الحادثة مطلقاً كما يقوله بعض الوثنيين او يحلّ في بعض البشر كما يقول بعض النصارى بحلوله فى يسوع (عيسى) المسيح . او كما يقول بعض المتصوفة بحلوله في ابدان العارفين منهم

﴿ الشيخ ﴾ ما هو معنى الحـلول الذي يقول به هؤلاء ؟ هـذا الحلول الذي يخصونه ببعض الأجسام دون بعض هـل يمكن ان يكون مع تقدس واجب الوجود من كل ما يضادّ وجوب وجوده . هل يحلّ الأله حلول البياض بالجسم والعرض بالجوهر . ألا تدري ان البياض الذي هو عرض لا يتقدم بنفسه ولا يمكن ان يكون له تحقق ووجود بدون الجسم بل هو مفتقر فى تحققه ووجوده إلى الجسم . ام هل يحلّ حلول الصورة بالمادّة . ألا تدري انّ الصورة مفتقرة فى وجودها إلى المادّة . هل يكون واجب الوجود مفتقراً في وجوده إلى غيره . إذن فاين وجوب وجوده . ماذا كان واجب الوجود قبل هذا الحلول الموهوم . هل كان متقوماً بنفسه غير محتاج إلى غيره ثم تغير كيانه إلى الحـال الذي يفتقر إلى غيره . إذن فاين يكون وجوب وجوده . الذي يتغير كيـانه كيف يكون واجب الوجود ام تقول انه لم يكن متقوّماً بنفسه بل كان منذ القديم محتاجاً إلى التقوم بغـيره . إذن فاين يكون وجوب الوجود — ام تقول ان حلوله فى البشر الخاص يكون من نحو تعلق النفس ببـدن ذلك البشر . فنقول إذن فتـكون اعماله وعلومه عند الحلول متوقفة على آلية البدن كما هو الشأن فى نفس الأنسان المتعلقة ببدنه . هذا التوقف في اعماله وعلومه هل كان من إقتضاء كيانه منذ القديم ؟ إذن فلا يكون هو العلة الاولى فى الخلق ولا يصح الوقوف عليه بالتعليل . وبماذا نعلل

وجود البدن وآليته . هل البدن هو واجب الوجود ؟ المادّي المركب فى الماهية والمقدار والآلات كيف يكون واجب الوجود . ام ان التوقف في الأعمال والعلوم حدث للأله الواجب الوجود عند تطوره بالحلول فى البدن . اليس هذا تغيراً فى كيان الواجب ؟ كيف يكون التغير اذن . من يتغير كيانه لايكون واجب الوجود — ام تقول ان المراد من الحلول هو عناية الأله ببعض البشر وترشيحهم لتعليم الناس بتعاليمه الروحية الصالحة . إذن فلا تختص هذه الكرامة بالمسيح بل هي عامة لكل رسول ولكل نبيّ . او ولكل صالح فما هي الحاجة إلى التعبير بالحلول . هذا التعبير المشوّه

﴿ الدكتور ﴾ ما تقول انت يا عمانوئيل فقد جاء في العدد العاشر من الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا عن قول المسيح « الكلام الذي اكلمكم به لست اتكلم به من نفسي لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال »

(عمانوئيل) قد تكلمنا فى صحيفة ٧٢ من الجزء الاول على ان إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح « وحاشاه » تعليمه بتعدد الآلهة وإستناده إلى تشبث تحريفي واهٍ . فهل من بعد هذا احمل مسئوليةً من اجل انجيل يوحنا . وايضاً لا ينبغي ان ننظر إلى مسئلة الحلول من انجيل يوحنا . بل ينبغي ان ننظر إلى انجيل يوحنا من مسئلة الحلول

وايضاً ان انجيل يوحنا ومطلق كتب العهد الجديد قد تقلبت واضطربت فى اساليب الكلام إذن فلا يؤخذ منها نتيجة فى كلام ولا استقامة فى مبدء . فان انجيل يوحنا يوّسع نطاق الأتحاد والحلول ويذكر فى الفصل السابع عشر عن لسان المسيح في شأن التلاميذ والمؤمنين « ٢١ ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايّها الأب فيّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً

واحداً فينا ٢٢ ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد ٢٣ انا فيهم وانت فيّ » وفي الفصل الرابع من رسالة يوحنا الاولى « ٨ ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة ١٦ الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه » فلا يعرف من هذه الكلمات فساد المبدء او تشويه الكلام بالتعبيرات السخيفة . . ومن ذلك ما في الرسالة الاولى لأهل كورنتوش في العدد السادس عشر من الفصل الثالث « اما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » ونحوه ما في العدد الثاني والعشرين من الفصل الثاني من رسالة افسس — لكن تقف تشبثات التأويل عند العدد العشرين من الفصل السادس من رسالة كورنتوش الاولى في قولها « وفي ارواحكم التي هي الله »

الأله لا يلد

﴿ الدكتور ﴾ هذا الأله الواجب الوجود الذي لا يتجزى لا في الماهية ولا في المقدار ولا يتغير كيانه هل يلد او هل ينبثق من جوهره وكيانه الألهي موجود آخر نسميه إلهاً مولوداً من الأله

﴿ الشيخ ﴾ ما هو معنى الولادة التي تقولها . هل هو ان ينفصل جزء من الأله ويدخل ارحام النساء فيكون إنساناً ؟ كيف يكون هذا مع ان واجب الوجود لا يتجزء ولا يتغير كيانه : وما هو معنى قولك « ينبثق من جوهره وكيانه الألهي » هل تريد مثل ما ينبثق الثمر من الشجر فتكون اجزاء الشجر ثمراً بسبب تقلب النمو وتطورات اجزاء الشجر بالتغير ؟ كيف يكون هذا مع ان واجب الوجود لا يتجزء ولا يتغير كيانه

﴿ الدكتور ﴾ ما ذا تقول انت يا عمانوئيل في هذا الشأن

﴿ عمانوئيل ﴾ قد عرفت الغرض الذي ترمي اليه . وإني قد تتبعت

الكتب المنسوبة لنبوّات الديانة الاسرائيلية والديانة النصرانية فوجدتها مضطربة المبدء قلقة الكلام في معنى الولادة من الله — « فتارة » يلوح منها انها تريد بالنبوة لله والولادة منه معنىً جائزاً وإن تشوهت عبارته بسخافة المبالغة . تريد بذلك محض إرتباط الملة او الشخص بالأيمان والتوحيد والصلاح وإمتيازه بذلك عن البشر فتشير بذلك إلى إمتياز هؤلآء بالأرتباط بالله بالايمان وصلاح الطاعة كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه وشرف مكانه عند الأب . وربما يكون من ذلك ما يحكى عن قول الله في شأن بني إسرائيل . في التورية في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين من رابع الخروج وفي اول الفصل الحادي عشر من كتاب هوشع « إسرائيل إبني البكر — اطلق ابني » « لما كان إسرائيل غلاماً احببته . ومن مصر دعوت ابني » وفي شأن سليمان إبن داود « لأني اخترته لي إبناً وانا اكون له اباً » كما في الفصل السابع عشر والثاني والعشرين والثامن والعشرين من سفر الأيام الأول والسابع من سفر صموئيل الثاني . وما يحكى عن المسيح في شأن المؤمنين الصالحين من قوله « لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماوات — طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون » كما في خامس متى . والعهد الجديد كثيراً ما سمى المؤمنين « اولاد الله » كما في العدد الثاني عشر والثالث عشر من الفصل الاول من إنجيل يوحنا والعدد الاول والثاني من الفصل الخامس من رسالة يوحنا الاولى . والعدد الرابع عشر والسادس عشر من الفصل الثامن من رسالة رومية

لكن تارة اخرى تذكر الولادة في العهدين بنحو التأليه التابع للتقاليد الوثنية بحيث لا يقبل إصلاح التأويل . فمن ذلك ما في العدد السادس من الفصل التاسع من اشعيا في قوله « لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون

الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديماً ابدياً » — ومن ذلك ما تضمنه الفصل العاشر من إنجيل يوحنا من العدد الثالث والثلاثين إلى السابع والثلاثين فانه يذكر ما حاصله ان اليهود قالوا للمسيح « نرجمك لأجل تجديف اي لاجل انك تتكلم بالكفر والشرك . فانك وانت إنسان تجعل نفسك إلهاً فقال يسوع اليس مكتوباً في ناموسكم انا قلت انكم آلهة . ان قال آلهة لاولئك ولا يمكن ان ينقض المكتوب فالذي قدسه الأب اتقولون له انك تجدف « تكفر وتشرك » لاني قلت اني ابن الله » فانظر إلى هذا الكلام وتعليمه السخيف بتعدد الآلهة . واحتجاجه التحريفي الواهي فانه ينادي بان المراد من ابن الله هي النبوة الوثنية الأشراكية . . — ومن ذلك ما في العدد الثالث من الفصل الاول من رسالة العبرانيين في قولها في المسيح المعبر عنه بالأبن « ورسوم جوهره » اي جوهر الله جل شأنه . او « وصورة جوهره » او « وصورة اقنومه » . . ومن الدواهي انه يوجد في العدد التاسع من الفصل الثاني من رسالة العبرانيين في المسيح « لكي يذوق بنعمة الله الموت » والنسخة الثالثة المذكورة في الجزء الأول في صحيفة ١٩ و ٢٠ تذكر في حاشيتها ان هذه العبارة تقرء هكذا « لأن الله نفسه بنعمته ذاق الموت » تعالى الله عما يصفون وهذا الغلط لو لم يكن جائزاً عند اصحابنا النصارى لما رسموا عبارته المشومة في قرائة كتب وحيهم وطبعوها لكي تنشر في العالم . فيا للأسف والعجب

﴿ الدكتور ﴾ هذا الأله الواجب الوجود الذي لا يتجزى ولا يمكن ان يكون مركباً لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار . هل يلزم ان يكون واحداً مقدساً عن الشريك في الألهية . او يجوز تعدد الآلهة والشركاء في الألهية . كما خبطت به افكار الكثير من المتدينين بالألهية

﴿ الشيخ ﴾ لما لزم الاعتراف للأله الذي هو العلة الأولى للكائنات بانه واجب الوجود ولا يمكن ان يكون متجزياً ولا مركباً لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار فكيف يتعدد الأله

ولاجل تشريح الكلام وتوضيح البيان وتتبع الاوهام في متاهاتها نقول ان تعدد الأله لا بد فيه بعد الاشراك في الالهية ان يمتاز كل واحد بمميزله عن الشريك الآخر بحيث يتحقق التعدد ويصح الحكم به

فهذا المائز هل هو بجعل فاعل متصرف . وبتصرفه وتكوينه ميز كل واحد عن صاحبه . إذن فالأله الذي هو الفاعل الاول وواجب الوجود الذي قلنا به هو ذلك الفاعل الذي ميز بتكوينه هذه الافراد التي تكون بذلك افراداً عالمية فلا يكون وصفها بالالهية ووجوب الوجود إلا من اغلاط الضلال والجهل ـــ لا تقل ان هذا الفاعل المتصرف متعدد . فانا ننقل هذا الكلام بعينه اليه . فالى اين تذهب وعلى ماذا تقف بالتعليل .

ام هل تقول ان المؤثر في امتياز كل واحد من الافراد المتعددة هو طبيعي فيه . فنقول لابد من ان يكون المائز في امتياز كل منها هو غير الجهة المشتركة بينها من الطبيعة الالهية ووجوب الوجود كما هو واضح . فيكون كل من الافراد مركباً من الطبيعة المشتركة ـــ ومائزه الطبيعي فيكون محتاجاً الى اجزائه والى فاعل يؤلفها ويركبها فلا يكون كل منها واجب الوجود

لا اراك تقول كما قيل ان المائز بين الافراد هو نفس الطبيعة المشتركة بينها : الا تدري ان الذي يتراءى سرابه للخيال من هذا الفرض الموهوم هو فرض شدة القدر المشترك في بعض الافراد وضعفه في البعض الآخر قياساً فاسداً على مثل امتياز السوادين بالشدة والضعف .

وامتياز كثير الشيئين من قليلهما . وكيف يخفى عليك ان تحقق الاشدية والاضعفية والاختلاف بهما يتوقف على امتياز الافراد ولومن حيث المكان والمقدار والحدود ثم يتحقق الامتياز بالشدة والضعف

او هل تقول ان المائز بين افراد الآلهة المتعددة إنما هو معلول لامر طبيعي . فنقول من الواضح الجلي انه لابد من ان يكون فى التعليل الطبيعي ارتباط طبيعي بين وجود العلة الخاصة ومعلولها الخاص فلا بد إذن من ان تكون علة المائز فى هذا الفرد غير علة المائز في الفرد الآخر فيلزم على فرض التعدد ان يكون في كل واحد من المتعددين جزء هو القدر المشترك بين الآلهة المتعددة وجزء يعلل بطبيعته لكل فرد مائزه الخاص به . فيكون كل واحد من الأفراد مركباً محتاجاً إلى اجزائه وإلى فاعل يؤلفها . إذن فكل واحد من الافراد لا يكون واجب الوجود . بل نقول ان كل واحد من اجزاء الماهية محتاج فى وجوده إلى الجزء الآخر فلا يكون شيء من ماهية الآلهة المتعددة واجب الوجود

فياللعجب من الأنسان . تراه يتقهقر ويضل واعلام الطريق له واضحة وانوار الحقيقة ساطعة . فها هو يضطره شعوره إلى تعليل الكائنات تعليلا مستقيما يستقر على موقف علمي تثبت فيه الاقدام . وباوليات شعوره يقدر مبدء تعليله قديماً ازلياً . حينما تكون فطرته العلمية التي تنبهه من الغفلات تناديه بان القدم والأزلية والوقوف بالتعليل لا تستقيم ولا تخرج عن الاوهام المستحيلة إلا بالاعتماد على واجب الوجود وحينما يعرفه وجدانه واعتباره فى الكائنات العالية التى تهتف باسم غاياتها ان هذا الواجب الوجود يوجد الخليقة على الحكمة والعلم بالغاية فاعترف به إلهاً وسماه فى كل لغة بأسم خاص مقدس . وحينما يناديه الشعور العلمي بان وجوب الوجود ينافيه تركيب الموجود بجميع صور التركيب . كيف

لا ينافيه ؟ ! والتركيب تلزمه الحاجة إلى الاجزاء والحاجة إلى فاعل يؤلفها . وينادي بان الافراد التي يدّعى إشتراكها في الألهية لا بد من ان تكون مركبة

فيا ايّها الأنسان لما ذا تقهقرك اوهام الاهواء عن الحقيقة رغماً على اساسياتك التي لا محيد لك عنها في شرف العلم وناموس الشعور . تتقهقر وتجعل الأله آلهة متعددة فلا تقدر حينئذ ان تصف واحداً منها بوجوب الوجود الذي هو الاساس في الألهية وعليه يبتني عرفانها . . لما ذا عدلت عن الحقيقة إلى المستحيلات ونكصت عن الجادة إلى التيه وعن المنهل إلى السراب . اين اساسياتك في الألهية . ام اين الاستقامة في الشعور ؟

هذا حال الانسان الاثيم وقد إحتج عليه إله الحق ووبخه على التقهقر التعيس في النكوص إلى تيه الضلال من نصف الطريق الواضح . فقال جلّ اسمه في الآية السابعة والثمانين من سورة الزخرف المكية (ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله) جرياً على فطرتهم في الوقوف بتعليل الخلق على واجب الوجود الذي اسمه المقدس الخاص به في العربية (الله) كما يسمى في كل لغة بأسم خاص به مقدس . فانه مهما غاب عن الانسان شيء فانه لا يغيب عنه كونه حادثاً بعد عدمه ينادي وجود مجموعه واجزائه بخلقته على الحكمة وقصد الغاية . فلا بد له من تعليل وجوده بخالقة الله إذن (فانى يؤفكون) ومن اين جائهم إفك الضلال بتعدّد الآلهة وكيف يجمعون بين الأنخداع لافك الشرك وتقديس الله بوجوب الوجود والكمال الألهي : وقال تعالى في سورة العنكبوت المكية (٦١ ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون) (٦٣ ولئن سئلتهم من نزّل من السّماء ماءً فاحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على نعمه وظهور

الحق وقيام الحجة ولله الحجة البالغة (بل اكثرهم لا يعقلون) : وجاء نحو هـذا الأحتجاج ايضاً في الآية الرابعة والعشرين من سورة لقمان المكية . والتاسعة والثلاثين من سورة الزمر المكية . . وقال جل اسمه في سورة النمل المكية من الآية الستين إلى السادسة والستين (ء الله) الذي يعرفونه ويعترفون بانه الأله الخالق (خير اما يشركون) ويجعلونه إلهاً مع الله مما لا يقدرون ان يجعلوه واجب الوجود . بل ينتج من ضلال شركهم وقولهم بتعدد الآلهة انهم لا يقدرون ان يصفوا واحداً بوجود الوجود . هذه المخلوقات التي تشركون بها هل تدّعون اوتقيمون الحجة على انها خلقت شيئاً . او افادت في العالم نفعاً (امّن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماءً فانبتنا به حدآئق ذات بهجة) بعد ان كانت ارضاً قفراء موحشة و (ما كان لكم) وبطاقتكم (ان تنبتوا شجرها) افليست الحجة قد دلت على ان الخالق العليم هو الله واجب الوجود . واعترفت الناس واقرّت به . إذن فكيف يشرك المشركون وانّى لهم بوجوب الوجود مع الأشراك (ء إله مع الله بل هم قوم يعدلون) عن الحق إلى الباطل وعن العلم إلى الجهل وعن سداد الحجة إلى وهن الاغاليط (امّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها انهاراً وجعل لها رواسي) من الجبال تنفذ منها النار السيارة في الارض لمنافعها فتكون الرواسي بحكمتها واقية للأرض من الميدان بالزلزال ومخففة لوطئته (وجعل بين البحرين حاجزاً) من القدرة يبقى معه العذب على عذوبته والملح على ملوحته والتيار على جريانه والراكد على ركوده . افلا يعترف المشركون ان الجاعل لذلك هو الله الواجب الوجود بل انهم ليعترفون . إذن فكيف يشركون (ء إله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) ولا يهتدون إلى رشدهم في العلم واتباع الحجة . تشذّ بهم الاوهام وتقلبهم التقاليد على

امقامهم . ألا . وان لتكل بشر حالات واوقات تفر بها نفسه إلى الله مولاها فتلتجئ به في حاجاتها وشدائد إضطرارها وكثيراً ما يفرج عنها وهي عارفة بنجاح التجائها وإجابة سؤلها حتى إذا تمتعت بالفرج زماناً نسيت النفوس ذلك التوجه وذلك الألتجاء وتلك الاجابة . افلا يعتبر المشركون بتلك الحالات إذ يرون نفوسهم تفر إلى مولى واحد لا تنزل حاجتها إلا بساحة رحمته ولا ترى نجاحها إلا منه . فما الذي اغفلهم عن ذكر ذلك والتبصر به في جميع الاحوال . الا ينظرون إلى من تلتجئ نفوسهم عند شدائد الأضطرار (امن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) في طبقات خلقكم وفنائكم تتعاقبون خلفاً بعد سلف تقعدون مقاعد الماضين وتتمتعون باموالهم التي كدوا فيها ومنازلهم التي تعبوا في عمارتها ورياساتهم التي اغتروا بها (ء إله مع الله) ولو احسنتم التذكر والتبصر في جميع اوقاتكم بحالات نفوسكم عند إضطراراتها ونجاح التجائها رغماً على الاسباب العادية وصدق عرفانها بمولاها في تلك الاحوال التي تتخلص فيها النفوس من اسر الأهوآء وتتوجه بحرية فطرتها إلى الله لما إختلجت في عرفانكم الشكوك ولا طمعت فيكم غواية الأهوآء واوهام الشرك ولكنكم (قليلاً ماتذكرون . امن يهديكم في ظلمات البر والبحر) بدلالة الكواكب التي خلقها (ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته) يسخر بها السحاب ليغيثكم برحمة مطره افلستم تعرفون الله (ء إله مع الله تعالى الله عما يشركون) وتقدس بوجوب وجوده وكماله الألهي . يا ايها الذين يؤمنون بالمعاد والقيامة بعد الموت (امن يبدء الخلق) كما ترون حدوث الكائنات في الخلق طبقة طبقة وفنائها طبقة طبقة (ثم يعيده) في انواع الكائنات على احسن تماثل واتم تناسب في طبقاتها ومواليدها ويعيدها في اشخاص

الأنسان من بعد الموت كما تعترفون به وتنسبون الخلق إلى الله واجب الوجود (ومن يرزقكم من السماء والأرض) ما به قوام حيوتكم (ء إله مع الله) الذي تعرفونه وتعترفون به وبانه الخالق وكاشف الضرّ ومدبّر الأمور فاين تذهب بكم الأوهام (قل) لهم يا مجادلهم سامحنا كم عن كون تعدد الآلهة من الأوهام المستحيلة وان الألهية وكمالها ووجوب الوجود منافية لتعدد الآلهة . لكن ما هي حجتكم على شرككم وإلهية من تدعونه شريكا لله ؟ ولا نطالبكم بان كلا تدعونه إلهاً مع الله هو رهن لدلائل الحدوث والحاجة إلى الأله الخالق . نغضّ الطرف عن ذلك لكن هل تكون دعواكم مقدسةً لا يسئل عن برهانها . هيهات (فأتوا ببرهانكم إن كنتم صادقين) وما هو برهانهم . هل يقدرون ان يقيموا الحجة الكافية على ان من يدعونهم آلهة مع الله قد خلقوا خلقاً بقدرتهم الذاتية الألهية فى مقابل قدرة الله وخلقه . من اين تكون لهم الحجة على ذلك . قال الله جل اسمه فى الآية الثامنة والثلاثين من سورة فاطر المكية (قل ارأيتم شركائكم الذين تدعون من دون الله اروني) بعلم اليقين (ما ذا خلقوا من) عالم (الأرض ام لهم شرك في) عالم (السماوات) وخلقه (ام آتيناهم كتاباً) يكون لهم وثيقة بالأعتراف باشتراكهم فى الخلق فى خلق شيء من الأرض والسموات (فهم) بهذا الكتاب وهذه الوثيقة الأعترافية بالاشتراك فى الخلق (على بينة منه) واين يكون ذلك ؟ ل (ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً) فى واهيات الشرك وخرافاته (إلا غروراً) وجاء نحو ذلك فى الآية الثالثة من سورة الأحقاف المكية والآية السابعة عشر من سورة الرعد المكية — هؤلاء الآلهة المتعددون بالفرض المستحيل ماذا تفرضون لهم ايها المشركون من الحال بالنسبة إلى خلق العالم وتدبيره وارتباط مخلوقاته . واطواره .

وانتظامه في ادواره ودهوره — هل تقولون انهم مشتركون في كل خلق . وفي كل عمل وفي كل تدبير في جميع العالم وفي جميع الاحوال وجميع الأزمان

مهما تنزلنا إلى المحال وتساهلنا في وجوب الوجود واستقامة التعليل فلابد في فرض تعدد الآلهة من ان يكون كل واحد من الآلهة الموهومة غير كامل في مقام الآلهية . وذلك لاجل احتجابه عن الكمال الألهي بالجزء المميز له عن الفرد الآخر . ذلك الجزء الذي لا يمكن ان يكون من مقام الألهية لأنه لو كان من مقام الألهية المشتركة لما كان مميزاً فياشتراكها

إذن فلابد من ان تختلف علوم هذه الآلهة واميالها وارادتها وقدرتها ورحمتها وغضبها وعدلها بحسب طباع تلك الأجزاء المميزة المتباينة . والمفروض انهم ليس لكل منهم كمال إلهي تامّ يوحّدهم . ولا عليهم سلطة سياسة تنظم امرهم . ولا تسديد من تسديد إله كامل في الألهية فوقهم . ولا حاجة في كيانهم وبقائهم إلى مخلوقهم واستقامة نظامه وبقائه لكي يحافظوا علي ذلك فيتنازل كل منهم عن معلوماته واميااله وإراداته واعمال قدرته ورحمته وغضبه فينقاد إلى جهل صاحبه وضعفه وتساهله او شدته . ولا تهديد يلجئهم إلى هذا التنازل لأجل التحزب وعقد الجمهورية الزمنية للمحافظة على كيان إجتماعهم من خطر التهديد المحدق بهم

وعلى هذا فان فرضناهم مشتركين في خلق جميع العالم وجميع مخلوقاته وتدبيره في اطوازه وانتظامه في ادواره لم يستقم للعالم نظام ولاالموجودات بقاء ولا للطبائع والجبلات ناموس . وهذا هو مرمى الاحتجاج بقوله تعالى في الآية الثانية والعشرين من سورة الانبياء المكية (لو كان فيهما) يعني السماء والارض (آلهة إلا الله لفسدتا) اي غير الله يكونون

آلهة مثله وفي قباله بدون ان تكون عليهم سيطرة خالقية إلهية (فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون)

وإن فرضنا إختصاص كل واحد بقسم من المخلوقات في خلقه وحفظ بقائه وتدبيره شئونه في اطواره وادواره لم يستقم للعالم ايضاً نظام ولا للمخلوقات بقاء ولا للطبايع والجبلات ناموس . فانا نرى اشتباك العالم بالعلائق وارتباط الموجودات بالتأثير واقتران الطبايع في النواميس وتشابكها في التوليد وتركب الموجودات في الخلق . وهذا هو مرمى الأحتجاج في قوله تعالى في الآية الثالثة والتسعين من سورة المؤمنون المكية (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق) حسب ما يقتضيه علمه وارادته وميله وقوته وغضبه وعدم الموحد له مع الآلهة الأخرى في الرأي والعمل كما ذكرنا فينحل نظام الكائنات ويبطل ناموس التكوين (ولعلا بعضهم على بعض) فانه لا داعي لتنازل العالم للجاهل والقوي للضعيف والمغضب للراضي والراضي للمغضب في كل موارد الاختلاف والاختصاص (سبحان الله) وتقديساً وتنزيهاً لشأنه العظيم (عما يصفون) باوهامهم من نسبة الولد والشريك له . فانه وصف لا يبقى معه للألهية شرف ولا كمال ولا معنىً معقول ولا لوجوب الوجود حقيقة . ولا لنظام العالم بقاء

ولا تحسب ان من يأله الجماد والحيوان واجرام الكواكب يقول بالآهيتها بما هي جماد لا حيوة فيه او بما هي حيوان ناقص الشعور بل يجعل لها مما وراء الحسّ شيئاً من صفات الألهية من الحيوة والعلم والقدرة والتصرف والتدبير كما هو شأن الوثنيين

فالقرآن الكريم جارى بحجته هذه بساطة افهامهم التي يستلفتها من جانب المحسوسات والتجارب في الطباع المحجوبة بنقص الجسمانية والمادّية

عن الكمال التامّ الألهي حيث لا يكون لها تعليم موحّد ولا مانع عن الأختلاف

وبقيام الحجة على ان القرآن الكريم كلام إلهي يتجسم هذا البرهان فى الحس والوقوع . فيقال ان هذا إله ينفي شركته فلو كان هنك شريك لثار الجدال والأنتصار للشرف والدفاع عن الحقوق فاستولى الفساد والانحلال على العالم فى هذه الحرب العمومية الألهية

يا عمانوئيل يطول تعجبي من اصحابك النصارى . هذه كتبهم التي اتفقوا على انها وحي الله تصرّح بان المسيح عيسى ع مخلوق لله فى صراحة العدد الخامس عشر من الفصل الأول من رسالة كولوسى انه بكر كل خليقة وفى العدد الرابع عشر من الفصل الثالث من رؤيا يوحنا انه بداية خليقة الله . وانه يلتجئ إلى الله فى مهماته ويدعوه ويتضرع له . فانظر العدد الرابع عشر والخامس عشر من الفصل الحادي عشر من إنجيل يوحنا . ويستغيث إلى الله في دفع الموت عنه انظر فى الفصل السادس والعشرين من متى والرابع من مرقس والثاني والعشرين من لوقا : وفى السابع والعشرين من متى والخامس عشر من مرقس انه استغاث بالله على الصليب قائلاً إلهي إلهي لماذا تركتني : وذكرت الأناجيل زيادة على ما ذكرنا إعترافه بان الله إلهه وان الله هو الأله الحقيقي فانظر إلى العدد السابع عشر من الفصل العشرين من إنجيل يوحنا والعدد الثالث من الفصل السابع عشر منه وان الله يسميه عبدي وفتاي فقد جاء في اول الثاني والاربعين من اشعيا عن قول الله تعالى « هوذا عبدي اعضده إلى آخر العدد الرابع » وذكر الفصل الثاني عشر من إنجيل متى ان المقصود بذلك هو المسيح انظر إلى العدد الخامس عشر إلى الثاني والعشرين وان بدل الأنجيل لفظ « عبدي » بلفظ « فتاي » بل صرحت رسالة افسس في العدد

السابع عشر من الفصل الأول بأن الله إله المسيح بل ذكر اصحابك في قاموس الكتاب المقدّس وكتاب مغني الطلاب في اسماء عيسى المسيح « الأنسان يسوع المسيح . . بداءة خليقة الله » — ومع هذا كله وياللأسف يقول اصحابك ان المسيح إله . حتى انهم في قاموس الكتاب المقدس في مادّة بيت لحم في تمجيد هذه القرية بولادة المسيح فيها قالوا « ففيها إذن تجسد اللاهوت وسكن الله مع الناس » وفي مادّة مسيح ذكروا من اسماء المسيح عيسى « ألأله القادر على كل شيء . ربّ الأرباب » وفي كتاب مغني الطلاب الذي هو تأليف روحانيهم في الكتب الدينية يذكر في عنوان القاب المسيح واسمائه الواردة في العهدين . « إله . إله مبارك إلى الأبد إله الانبياء . الأله القادر على كل شيء . إله قدير . الأله الحق . الله . ويذكر ايضاً في القاب المسيح . الشفيع . ملاك الرب . ملاك حضرته . الرسول . ذراع الرب . نبيّ . فتاك القدوس . عبدي » . واشار إلى اول الثاني والاربعين من اشعيا وكانه استنكف ان يقول عبد الله او خاف من التناقض . ويا للأسف

(عمانوئيل) التناقض ليس من اصحابنا وكتاب مغني الطلاب فقط بل جاء هذا التناقض في كتب العهدين . فان نفس التورية تأكد تعليمها بوحدة الله وتأكد النهي عن تسمية غير الله إلهاً في العدد الثالث عشر من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج عن قول الله « ولا تذكروا إسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك » وفي العدد الخامس والثلاثين والتاسع والثلاثين من الفصل الرابع من سفر التثنية « لتعلم ان الرب هو الأله ليس آخر سواه — إن الرب هو الأله في السماء من فوق وعلى الارض من تحت ليس سواه » وفي العدد التاسع والثلاثين من الفصل من سفر التثنية « انا هو الرب وليس إله معي » . ومع ذلك تذكر

التورية عن قول الله لموسى في العدد السادس عشر من رابع الخروج في شأن هرون « وانت تكون له إلهاً » وفي العدد الاول من سابع الخروج « أنا جعلتك إلهاً لفرعون و هرون يكون نبيك » — وجاء في العدد السادس والثامن من الفصل الرابع والأربعين من اشعيا عن قول الله « انا الاول وانا الآخر ولا إله غيري — هل يوجد إله غيري » ومع ذلك يذكر في اشعيا عن وحي الله في العدد السادس من الفصل التاسع « يولد لنا ولد . ويدعي اسمه إلهاً قديراً ابا ابدياً » — وهلم الخطب في العهد الجديد إذ يعلم تارة بتعدد الارباب وتعدد الآلهة كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٧٣ . وتارة يجعل المسيح إنساناً مضطهداً يتألم ويجوع ويحزن ويبكي ويتصرف به ابليس . ويعترف بان الله إلهه . وانه عبدالله وفتاه . وتارة يجعله إلهاً كما مر في صحيفة ٤٦ و ٥١

كرامة القرآن في حججه وتعاليمه

قال الله تعالى في الآية السابعة والخمسين من سورة آل عمران (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) وهي كلمة التوحيد توحيد الأله . الكلمة التي تلهج بها السنتنا والسنتكم وكتبنا وكتبكم فكانت هذه الكلمة في مبدء التعليم واساس الديانة وصراحة الكتب سواءً بيننا وبينكم . فلما ذا تحيدون عن ذلك وتهدمون اساس التوحيد وتشوّهون التعليم الحقيقي بل تعالوا إلى التمسك بحقيقة كلمة التوحيد و (ان لا نعبد إلا الله) الذي نعرف إلهيته ونعترف بوحدانيته . فلا ندعوا معه إلهاً آخر ولا رباً آخر (ولا نشرك به شيئاً) كما ذكر في فلتات كتبكم . التورية الرائجة . والكتاب المنسوب إلى اشعيا . والاناجيل الرائجة . والرسائل المنسوبة إلى بولس (ولا يتخذ بعضنا بعضاً) من البشر (ارباباً من دون الله) الذي نعترف بالهيته وقدسه فلا نجري على تحريف

الاناجيل وتعليمها بتعدد الأرباب (١) وإتخاذ البشر رباً من دون الله الذي خلقه . فان إتخاذ البشر رباً يرجع في الحقيقة إلى الجحود لشرف الألهية وجلال الله في حقيقة الربوبية (فان تولوا) ولم يأخذوا بحظهم من الهدى والرشد والسلامة من التناقض ولم يقبلوا النصيحة ولم يصغوا إلى الحجة القاطعة (فقولوا) لهم في مقام الاعذار والتوبيخ (اشهدوا بانا مسلمون) لله ربنا بحقيقة توحيده متمسكون بكلمة الأخلاص في عبادته كما نعترف لجلاله بالتوحيد . فلا نتقهقر عن ذلك ولا نخادع عقولنا

وقال تعالى في الآية التاسعة والستين بعد المائة من سورة النساء (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) في البشر المخلوق الذي تعرفون انه رهينة الضعف والآلام وفقر البشرية ولا ترفعوه إلى درجة الألهية والربوبية . وكيف تتجاوزون بالمخلوق البشر الفقير وتتعدّون به عن حدوده المعلومة إلى حدود الألهية المقدسة عن كل ضعف وفقر والمتعالية بكل جلال وكمال وعظمه . وانكم لتعترفون بهذا لمقام الألهية الشامخ وتعرفون ضعف البشرية وفقرها فكيف انخدعتم وتناقضت آرائكم فغاليتم بالبشر واجترأتم على جلال المقام الألهي وعظمة الله الذي تعترفون بجلاله ووحدانيته وقدسه . فراجعوا رشدكم واستقيموا في شعوركم ولا تغلوا في دينكم (ولا تقولوا على الله إلا الحق) الذي يليق بجلال الألهية ووحدانية الآله ولا تجعلوه والداً ولا تجعلوا له مولوداً . كيف يلد الآله ؟ وكيف يكون المسيح ولداً له . وكيف تفرضون هذه الولادة الموهومة التي تخصون بها المسيح وتألهونه بها . ليس الله مركباً مقدارياً ينفصل منه جزء ويتجزء منه شيء وينبثق منه منبثق تعالى الله عن ذلك (إنما المسيح عيسى ابن مريم) البشر الخاضع بضعف البشرية وفقر الناسوت

(١) كما مر ذلك في الجزء الاول صحيفة ٧٣

كما تعلمون (رسول الله) اكرمه بالرسالة وشرّفه بمقامها . وان سمعتم بكراماته فان ذلك من نعمة الله عليه كما تشهد اناجيلكم الرائجة باعتراف المسيح لله بالفضل والمنة عليه (١) كما اكرم موسى وايليا واليشع حسبما تذكر كتبكم (٢) وان سمعتم بولادته من غير فحل فخلق الله لآدم وحوّا اعجب من ذلك (٣) بل انه خليقة الله (٤) (وكلمته) كلمة القدرة التكوينية وهي قول الله جل شأنه بامر قدرته (كن) كما يذكر اول توراتكم فى خلق السماوات والأرض والنور وآدم ان الله تقدس اسمه يقول بقدرته (ليكن كذا) فيكون المخلوق بعد عدمه . وهذه كلمة القدرة والتكوين البديع (القها إلى مريم) واجراها فى آلات تناسلها . فالمسيح اثر كلمة القدرة وصنيعة تكوين الله (وروح) موهوبة (منه) ومحبوة بلطفه ومكونة بخلقه « ٥ » ﴿ فامنوا بالله ورسله ﴾

---

(١) وقد كثر فى الاناجيل الرائجة ذكر اعتراف المسيح بذلك فانظر اقلاً لو ٢٢ : ٣٩ . ويو ١١ : ٤١ و ٤٢ . و ١٧ : ٢ — ٢٢

« ٢ » انظر إلى التورة فى سفر الخروج من الفصل الرابع الى الخامس عشر فيما ذكر من آيات رسالة موسى . العصا . وضربات مصر . وشق البحر . وانظر إلى معجزات ايليا واليشع مما ذكر فى الفصل السابع عشر والثامن عشر من الملوك الاول . والفصل الاول والثاني والرابع إلى الثامن من الملوك الثاني ومن ذلك احياء الأموات وشفاء المرضى والبرص .

« ٣ » انظر الفصل الثاني من التورة

« ٤ » كما ذكرناه صحيفة ١٦٠ من صراحة العهد الجديد بذلك

« ٥ » فكما قال الله جل اسمه فى شأن آدم فى الآية التاسعة والعشرين من سورة آل عمران المدنية والثامنة والسبعين من سورة ص المكية

بالثبات على حقيقة التوحيد والحذر من مخادعات الهوى والشيطان ومخالسات الشرك . وبتصديق رسله فيما يجيئون به من دين الحق وحقيقة التوحيد المؤيد بدلائل المعجزات (ولا تقولوا ثلاثة) حينما تقولون وتعترفون كما تصرح به كتبكم من ان الله جل شأنه إله واحد . وكيف تقولون انه ذو اقانيم ثلاثة . الأبن على الأرض بشر يتألم ويموت . والروح القدس ينزل بشكل حمامة . وينقسم على التلاميذ كألسنة نار . والأب يبقى فى السماء . ما هذه الكلمات ؟ لماذا توقعون انفسكم فى التناقض بتوحيد الله وتثليثه . كيف يكون الواحد الحقيقي ثلاثة وكيف تكون الثلاثة واحداً حقيقياً وكيف يتعدد واجب الوجود ام كيف يتجسد ام كيف يلد ام كيف يولد (إنتهوا) عن هذه التناقضات والمستحيلات فان الانتهاء (خير لكم) فى دينكم وشرف شعوركم . فانكم محجوجون بكتبكم واعترافاتكم (إنما الله إله واحد) كما تعترفون بة وتلهج به كتبكم التي تقدسونها . لا سبيل إلى جحود الوحدانية فان جحودها يرجع إلى جحود وجوب الوجود وجحوده يرجع إلى جحود الألهية (سبحانه ان يكون له ولد) وما معنى ولادته واتخاذه الولد . فان كان ذلك بمعنى الخلق فهو خالق كل شيء (له ما فى السماوات وما فى الارض) — ام تقولون ان المقصود من البنوة لله والولدية هي علاقة الايمان به ورابطة التوحيد كما سماكم بذلك العهد القديم والعهد الجديد كما تقدم فى صحيفة ١٥٠ إذن

ونفخت فيه من روحي) المخلوقة بالقدرة قال جل اسمه فى شأن المسيح وامه فى حملها به في الآية التسعين من سورة الأنبياء والثانية عشر من سورة التحريم (فنفخنا فيها من روحنا : فنفخنا فيه من روحنا) وكنى بالنفخ عن ايلاج الروح فى البدن رعاية للطافة الروح كالريح التي تولج في الأجسام بالنفخ

فاما ذا تخصون المسيح بالولدية والبنوة وتجعلونها من القـابه الخاصة به كما يعرف ذلك من الاناجيل والرسائل واول رسالة العبرانيين . ما هذا التعبير الردي الساري من وخامة الوثنية وعدوى الشرك القديم ـــ فان القرآن الـكريم يشير بحجته القاطعة إلى تكذيبكم فى دعواكم انّ الوحي سماكم ابناء الله كما ذكرناه عن العهدين الرائجين ففى الآية الحادية والعشرين من سورة المائدة قول الله تعالى ذكره (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل) إن صدقت كتبكم الرائجة فى نسبة تسميتكم بهـذا اللقب إلى الوحى وكنتم صادقين بهذا اللقب (فلم يعذبكم بذنوبكـم) بالعذاب الدنيوي الذي طالما اشتعلت نيرانه فى بني إسرائيـل الذين تقول التورة ان الله سماهم « إبني البكر . إبني » ولما ذا يعذبكم في الآخرة كما تعـترفون به وتفزعون يا معشر النصارى إلى غفران القسوس . ان الأبن الحبيب كيف يعذّب

وقال الله جل اسمه فى الآية السبعين بعد المائة من سورة النساء (لن يستنكف المسيح ان يكون عبـداً لله) الم تسمعوا افلاً من اناجيلكم ان المسيح كان يصلي لله ويصوم ويجتهد في عبادته والصلوة ويعترف له بالألهية ويفزع اليه فى ضيقاته ومعياته ويتضرّع اليه بالدعاء والمسئلة (١) ولـكن ياللأسف صرتم انتم تستنكفون ان تسموا المسيـح عبـداً لله فانكم اردتم ان تصرفوا إلى المسيح قول اشعيـا فى اول الفصل الثـاني والاربعين « هوذا عبدي الذي اعضده . إلى آخره » فحملكم الاستنكاف على التحريف الصريح وتواطيتم على ان تكتبوا فى العدد الثامن عشر من ثاني عشر متى « هوذا فتـاي الذي . إلى آخره » وكتبتم في الثاني من رسالة فيلبي في شأن المسيح ما نصه المشوّه « لم يحسب خلسةً انيكون

(١) وقد ذكرنا فى صحيفة ١٦٠ موارد ذلك من الاناجيل فراجع

معادلاً لله لكنه اخلى انفسه آخذاً صورة عبد » فيا للأسف والعجب

وقال الله تعالى في الآية السابعة والسبعين من سورة المائدة

(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وجحدوا حقيقة التوحيد الذي يلهجون بالاعتراف به ويجعلونه دينهم الأساسي ولا تقوم حجتهم على الألهية ووجوب الوجود إلا به فتناقضوا وتهافتوا وتقهقروا إلى جحود الحقيقة الاساسية وكفروا بها كيف يقولون ذلك ؟ ! (وما من إله إلا إله واحد) لا يحتمل تعدد الأله . الأله لا يتعدد وإلا خرج عن كونه إلهاً (٧٩ ما المسيح ابن مريم) البشر الذي ولد منها طفلا ثم تدرج في النمو البشري إلى ان كبر (إلا رسول قد خلت) ومضت (من قبله الرسل) كنوح وإبراهيم وموسى وجاؤا بمعجزات تضاهي معجزات المسيح ونصحوا اممهم وتحملوا الشدائد في إرشاد الخلق . بل يقول العهد القديم انه خلت من قبله انبياء جاؤا بمثل ما جاء به من الآيات كأيليا واليشع (وامّه) امرأة بشريّة صدّيقة وقد كانا بشرين فقيرين بفقر البشريّة وحاجتها (كانا يأكلان الطعام) لرفع ضرورة الجوع وألمه وصيانةً لبدنهما من الفساد بتحليل الطبيعة البشرية . ودع عنك ما كان يعتري المسيح من الحزن والبكاء والتألم والعطش وآثار الخضوع للفقر البشري ونقص البشرية وضعفها . اهكذا يكون الأله يا ذوي الشعور (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انّى يؤفكون) وتخدعهم اهواؤهم فلا يصغون إلى الحجة الوجدانية (٨١ قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) وتقولوا فيه (بغير الحق) فتألهون البشر الضعيف وتجحدون حقيقة التوحيد والألهية (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) إذ سوّلت لهم اهواؤهم ووثنيتهم ضلالة الثالوث والاقانيم وتجسد الأله وتأليه البشر وخرافة الولادة من الله . كما لهج به

الأسلاف والبراهمة والبوذيون والرومان واليونان وغيرهم من الامم الوثنية

﴿ ولله الحجة البالغة ﴾

يا عمانوئيل وإنك قلت في صحيفة ١٤٢و١٤٣ « ان اصحابك يقولون ان امر الثالوث والاقانيم جاءت به الكتب المقدسة فوجب قبوله » يا صاحبي اين هذه الكتب المقدسة واين صراحتها في الثالوث والاقانيم ؟ ! هل هذه الكتب جامعة لشروط الاحتجاج بها ؟ إذن فاين مضت دراستكم في الجزء الأول — ام اين صراحتها — وإنا قد رأينا ما يتشبث به اصحابكم من كلمات العهدين وجمعت في رسالة قد ردتها رسالة التوحيد والتثليث المطبوعة في صيدا في مطبعة العرفان سنة ١٣٣٢ وفندت مزاعمها بتشبثاتها من حيث اللغة العبرانية ومواضيع العهد القديم ودلالته وربما نتعرض لذلك وزيادة فيما يأتي بعون الله . ولكن لا بأس بمراجعة الرسالة المذكورة عاجلا فانها مبذولة لمن يطلبها

﴿ الدكتور ﴾ يا شيخ ما هذه الضوضاء في الغلط الكثير من الالهيين إذ يشركون ويألهون الجماد والحيوان والبشر . مع ان الذي يعترف بالأله يكون إشراكه وتأليهه للبشر من خرافه الاغاليط . فلما ذا كان ذلك ؟

﴿ الشيخ ﴾ إنك ترى الناس إذا اسلسوا قيادهم للهوى . او للجهل المركب والتقليد الأعمى . او للتشامخ والكبرياء كيف تذهب بهم هذه الدواهي مذاهبها وتقحمهم في ورطات الافراط والتفريط فيتعامون عن بديهياتهم ودلائل وجدانهم ومحكمات اساسياتهم فتسهل عليهم لاجل ذلك مصاعب المستحيلات وتستحكم في اذهانهم خيالات الواهيات

ألا تنظر إلى الماديين لما علقت فكرتهم بالمبادي المادية كيف ورطهم انهماكهم بها في إنكار الوجود بعد العدم حتى صاروا يغالطون في العبارة

ويقولون يستحيل « حدوث الوجود من العدم » لكي يوافقهم الغر الغافل الذي يحسب أنهم يريدون من هذه العبارة ان الوجود لا يكون العدم مادّته ولا فاعله . ألا تراهم كيف كابروا في هذا الأنكار وجدانهم ومشاهداتهم التي لا تحصى . . وورطهم في فرض قديم ازلي لا يصفونه بوجوب الوجود حذراً من مطالبتنا لهم بلوازم وجوب الوجود . فاوقعتهم هذه الورطة بين محاذير المستحيلات وهي التسلسل إلى غير النهاية . او الدور . او إفتراض ازلي لا يمكن تصور ازليته وافتراض الوقوف عليه بالتعليل ولا يؤدي تكلف هذا الافتراض وتحمل مسؤليته للعلم إلا إلى حيرة الجهل وموقف الحيرة . وها هم قد قلقوا في مزاعم هذا الافتراض الموهوم ودارت بهم زوابعه بين نظريات الجواهر الفردة وزوابع الاثير او تكاثفه . . . وورطهم إنها كهم هذا ايضاً في تعليل وجود هذا العالم « بالصدفة » والأيجاد بلا شعور ولا قصد للغاية . فراغموا وجدانهم فيما لهذا العالم واجزائه من الخصائص الجليلة والحكم الباهرة والمقاصد الكثيرة والنظام العجيب المتقن في احواله وادواره ومواليده هذه الأمور التي تنادي بالخالق على الحكمة وقصد الغاية . ولا يرضون بالصدفة لما دون ذلك كما مرّ في صحيفة ٥٧ و٥٨ و١٠٢ و١٠٣ و١٢٨ يتشامخون في غرورهم بالعلم والشعور لاجل اكتشاف يسير من نواميس الخالق . ويفرّطون بجحود العلم والشعور لخالق العالم ونواميسه التي لا يكون سير العلم البشري في ميدانها الا كاقصر خطوة

واما المتدينون فمنهم من اقحمه جهله فيما لا سبيل اليه من معرفة الحقيقة الألهية إذ كان السير في جادّة الدلائل الحقيقية يحدّد معلوماته ويعرّفه قصوره عن الخوض في لجج هذا التيار العظيم بما عنده من مقدمات العلم البشري الصحيح فغالطته اوهامه بخيالات دلائل تقحمه اخطار الجهل

المركب وتمنيه زوراً بالامتياز بالوصول إلى اسرار العرفان فخبط وتاه ورجع القهقري في لوازم مزاعمه عن قوله بوجوب الوجود وعلم الله وخلقه بالأرادة وحقيقة توحيده

ومن النـاس من يتدلس باسم التـديّن ويمشي وراء غروره وتشامخه ولا ترضى غواية تكبره إلا بدعوى مقام الألوهية . فيغالط بمقدمات اسمها غيره لـكي يبني عليها دعواه من الحلول والاتحاد والولادة من الله

ومنهم من لا يطمع في تأسيس دعوى لنفسه ولا يقـدر ان يدلس نفسه إلا بتابعية غيره من الناس فيغالي بمتبوعه ويرفعه إلى مقام الألهية لـكي يتشامخ هو إلى اعلى مراتب البشر من الرسالة والنبوة ونحوها

﴿ الدكتور ﴾ اللازم على الألهيين في سيرهم على جادة وجوب الوجود ان يكون الأله الواجب الوجود في منتهى ما يتصور من بساطة الذات وعدم التركيب بجميع ما يتصور من انحاء التركب فليس فيه جهة تعدد اصلاً لا من حيث الاجزاء ولا من حيث الافراد فهو واحد من جميع الجهات المتصورة

﴿ الشيخ ﴾ نعم وهل يمكن العدول عن هذه الجادة والأضطهاد لهذه الحقيقة . لا . لا يمكن لا في الشعور العامي ولا في الشعور الفطري

﴿ الدكتور ﴾ هل يخفى على ذي شعور انه يجب في التعليل الطبيعي ان يكون بين العلة ومعلولها الخاص مناسبة وارتباط طبيعي

﴿ الشيخ ﴾ من الواضح انه يجب ذلك فلا يمكن ان تتعـدد المعلولات مع وحدة الجهة التي تعللها تعليلاً طبيعياً . فالبسيط الواحد من جميع الجهات لا يمكن ان يعلل طبيعياً إلا مثله بسيطاً واحداً من جميع الجهات

﴿ الدكتور ﴾ هل يخفى ان التعليل الطبيعي يلزم فيه ان تكون العلة للموجود الخارجي حقيقة موجودة متأصلة في الوجود ولا

يكفي ان تكون اعتباراً انتزاعيا يصور له العقل وجوداً طفيليا لا حقيقة ولا استقلال له في الخارج وإنما الموجود هو منشأ انتزاعه

﴿ الشيخ ﴾ نعم يلزم فيه ذلك ولا محيص عنه

﴿ الدكتور ﴾ إذن يا شيخ هذا العالم الكبير المشتمل على ما لا يحصى من الطبايع المتباينة وكل طبيعة مشتملة على ما لا يحصى من الأفراد المتباينة في الوجود . هذا كله كيف تجعلون علته واجب الوجود الذي يلزم من وجوب وجوده ان يكون في منتهى ما يتصور من البساطة والوحدة من جميع الجهات . افلا يلزم ان يكون لكل فرد من موجودات العالم جهة وجودية في واجب الوجود تناسب ذلك المعلول ولا تناسب غيره . إذن فأين البساطة واين الوحدة واين وجوب الوجود

﴿ العقول العشرة . والفلاسفة ﴾

لاخالك تقول مثل بعض الفلاسفة ان الواجب صدر منه العقل الأوّل بتعليله الطبيعي وهو واحد بسيط ولكن العقل الاول باعتبار امكانه ووجوبه بالغير وتعقله لذاته ولغيره تكون له جهات بها صلح ان يتعدّد معلوله ويعلل اشياء متعددة ولأجل ذلك صدر منه العقل الثاني مع فلك ونفس . وهكذا يتدرّج صدور العقول والافلاك بالتعليل إلى العقل العاشر وهو العقل الفعال مع الفلك التاسع وهو فلك القمر

ياشيخ . هل تدري كم على هذه المزاعم من النقود والردود . سامحناهم في بناء مزاعمهم على مزاعم الهيئة القديمة ودعواهم انحصار العالم العلوي بالأفلاك التسعة . وانتهائهم في عدد العقول بانتهاء عدد الأفلاك ــ ولكننا نقول لهم « اولاً » انّ الجهات المذكورة انما هي اعتبارات محض وانتزاعات صرفه ليس لها وجود اصيل حقيقي فلا تصلح لأن تكون معللة

للموجود بالوجود الحقيقي ولا يخرج بها الواحد البسيط عن كونه لا يعلل إلا واحداً بسيطاً مثله (١) « وثانياً » مهما تعددت جهات المعلولية ومهما تضاعفت من العقل الأول إلى العاشر فانها لا تبلغ في العاشر ان تكون الف جهة .. ولتكن عشرة آلاف فماذا يصنع هذا المقدار في تعليل الكائنات التي لاتحصى انواعها ولا تحصى افراد كل نوع منها « ثالثاً » إذا سمحتم بان تكون الأنتزاعيات جهات في الواحد البسيط يصلح بها لتعدد التعليل فماذا لا تسمحون بمثل ذلك للواجب وتقولون ان الواجب يعلل المعلول الاول بذاته ويعلل الثاني والثالث والرابع بجهات تعليله للأول وتعلقه لذاته ولغيره وهكذا فتعللون الكائنات كلها بالواجب بأعتبار ذاته وجهات تعليلاته وتعلقاته لغيره ولا تشركون معه في التعليل غيره بهذا الاشراك الوثني . من اين اخذ الامكان والوجوب بالغير والتعقل امتيازها بالصلاحية لان تكون جهات وجودية مكثرة في العقل الاول دون واجب الوجود ؟ ! ! مع انها في المقامين مشتركة في كونها انتزاعات محضة لا حظ لها في الوجود إلا بتصوير الأنتزاع العقلي

واجب الوجود خالق الكائنات بقدرته وارادته

﴿ الشيخ ﴾ الواجب الوجود الذي هو في منتهى ما يتصور من البساطة والوحدة إذا كان يعلل الموجودات بالخلق والأرادة لا بالتعليل الطبيعي

(١) قد كتب هذا قبل الأطلاع على ما كتبه العلامة الأوحد المحقق نصير الدين الطوسي قدس الله نفسه في مختصره فصول الأعتقاد . وبعد الاطلاع آثرنا التبرك بذكر كلامه طاب ثراه في هذه الطبعة الثانية تنويراً للأفكار بأشعة تحقيقه مع مزج كلامه بشيء من شرحه وايضاحه فنال في مطبوع مصر سنة ١٣٤١ في الصحيفة الـ١٠ و ١١

فهل تقول بانه يلزم ان يكون معلوله ومخلوقه بالأرادة واحداً مثله وبسيطاً مثله

﴿ الدكتور ﴾ لا . لا يلزم بل يجوز ان يخلق الكثير المتعدد والمركب

﴿ الشيخ ﴾ إذن فانا نقول بما هو الحق المعقول من ان الواجب يوجد بجميع الكائنات بالخلق والقدرة والأرادة . وان دعوى الواسطة فى الخلق بين الله والكائنات غير معقولة . ومن ادلتنا على

(قالوا لا يصدر عن الباري تعالى بلا واسطة إلا عقل واحد والعقل فيه كثرة . وهي الوجوب بالغير والأمكان الذاتي وتعقل الواجب وتعقل ذاته ولذلك « اي ولاجل الكثرة فيه بهذه الأمور » صدرعنه عقل آخر ونفس وفلك مركب من الهيولى والصورة . ويلزمهم « اي على مبنام فى هذه المزاعم من ان الواحد لا يصدر منه إلا واحد مثله ان العقل الاول واحد لايصدر إلا واحد مثله وهكذا فى جميع المعلولات ولازم ذلك » ان اي موجودين فرضا كان احدهما علة للاخر بواسطة او بغير واسطة « إذ يمتنع على مبنام ان يكون الموجودان معلولين لعلة واحدة وبطلان اللازم بديهى » و « اما زعمهم فى التخلص عن هذا الالزام ان العقل الاول فيه كثرة كما ذكرناه فيرد عليه » ايضاً « ان » التكثرات التي « زعموها » في العقل الأول « وتشبثوا بموهومها » ان كانت وجودية صادرة عن الباري جل اسمه لزم صدورها عن الواحد « وهو نقض لمبنام وهو انه لا يصدر منه تعالى شأنه إلا الواحد » وإن صدرت عن غيره لزم تعدد الواجب « إذ لا بد من إنتهاء الممكن فى التعليل إلى الواجب وقد اوضحنا ان واجب الوجود لايتعدد » وانلم تكن « تلك التكثرات » موجودة لم يكن تأثيرها معقولاً) كما ذكر فى الاصل في الاعتراض الأول

ذلك نفس ما ذكرته انت ههنا من الردود على دعاوي الفلاسفة فى ان الواجب يعلل بذاته تعليلاً طبيعياً وفى افتراضات العقول وتوسطها فى التعليل وافتراض العقل العاشر الذي يسمونه العقل الفعال — فانا نقول انه لابد من تعليل الكائنات بواجب الوجود . ولوكان تعليله لها طبيعياً بنفس ذاته لا إرادياً للزم ما ذكرته انت من المستحيلات ومخالفات المعقول . إذن فلابد من ان يكون تعليل الواجب إنما هو بالخلق والقدرة والارادة . فان التعليل لا يخلو من ان يكون على احد الوجهين . ومن بطلان كون تعليل الواجب طبيعياً نعلم ان تعليله انما هو بالقدرة والارادة وانه خالق جميع الكائنات بقدرته وإرادته . فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد تم طبعه فى ٥ جمادي الثاني سنة ١٣٤٧
فى المطبعة الحيدرية

بيان الأشارات الواقعة فى اجزاء هذا الكتاب إلى ما في العهدين

تك : إشارة لسفر التكوين . وهو الأول من اسفار التورية

خر : لسفر الخروج . وهو الثاني منها

لا : لسفر اللاويين . وهو الثالث منها

عد : لسفر العدد . وهو الرابع

تث : اسفر التثنية . وهو الخامس

مز : للمزامير . اي زبور داود

مت : لأنجيل متى

مر : لأنجيل مرقس

لو : لأنجيل لوقا   يو : لأنجيل يوحنا

اع : للكتاب المسمى اعمال الرسل . اي بعد المسيح

وكل واحد من هذه الكتب مشتمل على فصول يذكر عددها في عنوانها . وعلى فقرات مفصوله باعدادها بالرقم فاذا اردنا الأشارة إلى فقرة من الكتاب ذكرنا الأشارة إلى إسم الكتاب على ما كتبناه ههنا . ثم اشرنا إلى الفصل بعدده بالرقم . ثم وضعنا بعد رقم الفصل نقطتين احديها فوق الأخرى . ثم رسمنا بعد النقطتين عدد الفقرة المقصودة بالأشارة . مثلاً اردنا ان نشير إلى الفقرة الثالثة عشر من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج رسمنا هكذا . خر ٢٣ : ١٣ وإلى الفقرة التاسعة والثلاثين من الفصل الثاني والثلاثين من سفر التثنية فهكذا تث ٣٢ : ٣٩ وإذا جعلنا خطا عرضياً بعد الرقم الاخير فالخط بمعنى إلى . والنهاية هو الرقم الذي بعد الخط كما إذا اردنا أن نشير إلى عدة فقرات من كل واحد من الاناجيل رسمنا هكذا . يو ١٠ : ٣٣ — ٣٧ ومت ٢٢ : ٤٢ — ٤٦ ومر ١٢ : ٢٥ — ٣٨ ولو ٢٠ : ٤١ — ٤٥

﴿ فهرست الجزء الثاني من الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة ﴾

صحيفه